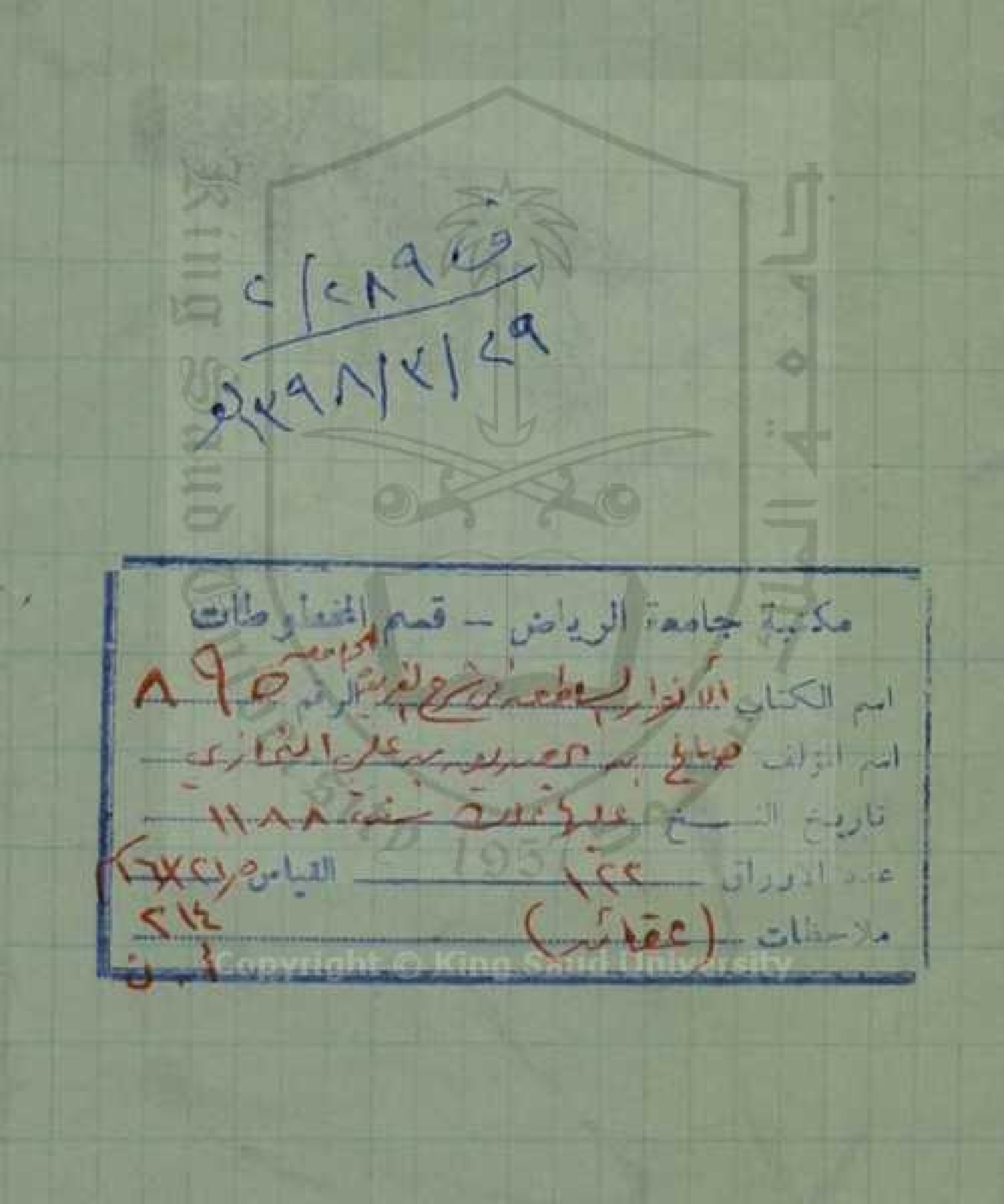

١٩٥
Copyright © King Saud University



٢١٤
خ٠

الانوار الساطعة فى شرح الفريدة الجامعة
(فى نظم العقيدة النافعة) ، تأليف
الخزرجى ، صالح بن الصديق - ٩٧٥هـ.
بخط عبد الرحمن بن محمد بن محمود بن حسن
بن حسين بن عماد الاحسائى الشافعى ، الزبيدى
فى القرن الثانى عشر الهجرى تقديرا.
١٢٢ ق ٢٣ س ٢٢ × ١٦ سم
نسخة جيدة ، خطها نسخ معتاد
١ - اصول الدين . ١ - المؤلف .
ب - الناسخ . ج . تاريخ النسخ .

٨٩٥



٢/٢٨٩٦ ف
١٤٢٩/٢/٢٩هـ
مكتبة جامعة الرياض – قسم المخطوطات
اسم الكتاب الأنوار الساطعة في شرح الفرشي الرقم ٨٩٥
اسم المؤلف
تاريخ النسخ سنة ١١٨٨
عدد الأوراق ١٢٢ القياس
ملاحظات (عقائد)
Copyright © King Saud University

عمل الرحمن الصالح

شرح المنظومة النمازية في العوامل
لناظمها العلامة الفهامة الشيخ صالح
بن الصديق النمازي الخزرجي
اليماني الشافعي رحمه الله تعالى
ونفعنا به وجعل الجنة
[illegible]
وللمسلمين
أجمعين
آمين

ثم انتقل الى حوزة العبد الفقير
الى ربه الغني مصطفى بن [illegible]
محمد [illegible]
غفر الله لهما
ولوالديهما
وللمسلمين
آمين
سنة ١٢٨٠
في ١٤

ملك الحقير الفقير
عبد الرحمن ابن
حسين الأحمر
ي المدني المكي
غفر الله لهما
أجمعين
آمين

ملك الحقير [illegible]
١٢٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لمن وجب له الوجود وفاض منه الكرم والجود وتقدس عن
الاباء والابناء والجدود وتعالى عن الاشباه والانداد والوزراء و
الاضداد والاحياز والحدود والصلاة والسلام على اكرم مولود واعظم
من دعى الى المعبود وجاهد فيه اهل الجحود صاحب اللواء المعقود
والمقام المحمود والحوض المورود محمد النبي الامين وعلى اله الابرار
الهادين واصحابه الغر الميامين وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم
الدين اما بعد فهذه نكت لطيفة ومباحث شريفة اوضحت
بها مقاصد منظومتي الموسومة بالفريدة الجامعة في نظم العقيدة
النافعة وقربت بها معانيها لقاصديها وسهلت مبانيها لقاريها
ولخصت فيها ما فتح الله به علي من معاني الذكر بعد استعمال الفكر
ومعاني ما ثبت السنة النبويه وما حرره ائمة هذا الشان بانظارهم
القوية ومباحثهم الزكيه وكشفت فيها عن ساق الاجتهاد بحسب
ما رزقت من المنة وعرفت عن التعصب والتقليد والعناد اذ لا
يليق بطالب الحق ولله الحمد والمنه وسميتها الانوار الساطعة في شرح
الفريدة الجامعة والله اسئل التوفيق والسداد والنفع بهما لكل
حاضر وباد انه كريم رحيم جواد قلت بسم الله الرحمن الرحيم
اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بخبر كل امر ذي بال لا يبدا فيه ببسم الله
الرحمن الرحيم فهو اقطع اي مقطوع البركة رواه الخطيب البغدادي
في كتابه الجامع لاخلاق الراوي واداب السامع ومعنى ذي بال اي حال
يهتم به والباء متعلقة بمحذوف تقديره انظم والاسم مشتق من
السمو وهو العلو لانه علا على مسماه فاظهره وقال الكوفيون من السمة وهي
العلامة واصله وسم ورجح الاول بتصريفه على اسامي واسما وسمي

والله

والله علم للذات الواجب الوجود المستوجب لصفات الكمال المستحق
للعبادة والرحمن الرحيم اسمان عربيان بنيا للمبالغة من الرحمة وهي لغة
رقة في القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان على من رق
له وابتداؤهما في حقه تعالى محال فالمعتبر في حقه تعالى غايتها وهو
التفضل والاحسان فرحمته لعباده اما ارادة الانعام عليهم ودفع
الضرر عنهم او نفس الانعام ودفع الضرر فهي على الاول صفة ذات وعلى
الثاني صفة فعل قال العنازي نسبته الى بعض اجدادي وهو عنازة بضم
النون وبالزاي المعجمة بن زيد بن عامر وسيأتي في الختم ان شاء الله تعالى
زيادة ايضاح واثرت قال دون يقول تفاؤلا واظهارا للقوة رجاي
حيث نزلت المستقبل منزلة الماضي كما يقول من قوي رجاوه في قضا
حاجته انقضت حاجته الفقير في كل احواله الى الله تعالى الغني على
الاطلاق صالح بن الصديق بن علي بن احمد بن حسن بن عطية فعطية
هذا صار فخذا ينسب اليه اولاده فيقال ال عطيه وبنو عطية وعنازة
قبيلة تجمع فخوذا كثيرة تنتسب اليه فيقال بنو عنازه والنسبة اليه عنازي
وديارهم الان بوادي صبيا بفتح المهملة وسكون الموحدة ثم تحتية
من المخلاف السليماني وفيهم عز ومنعة احمد ربي الله مقول
القول الى اخر القصيدة جئت به اقتداء بالكتاب العزيز ايضا لاشتمال
فاتحته على البسملة والحمدلة واخذا بمجموع ما روي في هذا الباب
ففي رواية لابي داود وابن ماجة والنساي في عمل اليوم والليلة
كل كلام لا يبدا فيه بحمد الله فهو اجذم وفي رواية لاحمد في مسنده
كل امر لا يفتتح بذكر الله فهو ابتر او قال اقطع هكذا اورده في المسند
على التردد ففي الاتيان بالبسملة والحمدلة الاحاطة بكل الروايات وكونهما
ذكر الله تعالى ظاهر واحاديث الابتداء حسنها ابن الصلاح وغيره

فان قيل الابتدا حقيقة انما هو بالبسملة فما معنى الاحتياط بالاخذ
بالروايات اجيب بان الابتدا حقيقي واضافي فالحقيقي حصل بالبسملة
والاضافي بالحمدلة والتحقيق ان الابتدا محمول على العرفي الذي يعتبر
ممتدا فالكتاب العزيز مبدأه عرفا الفاتحة بكمالها كما يشعر به
تسميتها بهذا الاسم والكتب المصنفة مبداوها الخطبة بكمالها
فهي حقيقة عرفية وحمد الله تعالى هذا لثنا عليه بصفاته وافعاله
ومورد الحمد اللسان ومتعلقه النعمة وغيرها والشكر فعل ينبئ
عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الشاكر او غيره سواء كان
باللسان ام بالجنان ام بالاركان فمتعلقه النعمة ومورده اللسان
وغيره كما قال الشاعر افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني
والضمير المحجبا فبينهما عموم وخصوص من وجه لتصادقهما
في حمد مقابل لنعمة وتفارقهما في الثنا باللسان على العلم مثلا او
في الثنا على الاحسان بالجنان والحمد في مقابلة النعمة واجب وغيره
مندوب واتيت بالجملة الفعلية لانها تدل على الحدوث والتجدد
والرب في الاصل بمعنى التربيه وهو تبليغ الشئ الى كماله شيئا
فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل والله بدل او عطف
بيان اتيت به لدفع توهم الاشتراك فيما اضيف كقوله يوسف
عليه السلام اذكرني عند ربك فهو اي الله تعالى الفاتح لابواب
الخير والبركات فلهذا استحق الحمد وان حمد غيره فهو مجاز لكونه
سببا والمحمود في الحقيقة هو الله تعالى وسياتي له زيادة تحقيق
عند قولي هذا هو التوحيد والتحقيق انشاء الله تعالى والفاتح
ايضا اي بمعنى الحاكم سبحانه اي الله والتسبيح التنزيه والتبعيد
عن السوء من سبح في الماء اذا ذهب فيه وابعد وهو مصدر منصوب

بفعل

بفعل لا يظهر واكدت حمدا بقولي حمدا يوافي نعمه اي يلاقيها
فيكون شكرا يقتضي المزيد كما يشير اليه قولي ويستمد من لدنه حكمه
وفيه امتثال لما ندب الله اليه من الشكر ووعد عليه من المزيد بقوله
تعالى لئن شكرتم لازيدنكم الايه والاستمداد طلب المدد منه تعالى
وفيه اشارة الى التبري من الحول والقوة والاعتراف بان تاهيلي للعلم
انما هو من نعمه وفيض جوده وكرمه لا مدخل لي فيه الا بالتسبب
وهو سبحانه وتعالى مسبب الاسباب ورب الارباب لا اله غيره
والحكم جمع حكمة والضمير فيها يعود الى الله تعالى والمعنى ان هذا الحمد
يطلب من الله تعالى المدد للتحقق بالحكمة وهي في العرف اتقان
العلم والعمل وجملة احمد انشائيه لفظا ومعنا فالاتيان بها بالمضارع
انسب بالمقام ويويده ما يروى من كتب النبي صلى الله عليه وسلم
الى غير واحد بصيغة اني احمد الله اليك ثم الصلاة النامية والسلام
النامي اي الزايد والمراد المتضاعف ونكرته في السلام فقط
اكتفاء على النبي المصطفى اي المختار الختام للانبياء فلا نبي بعده
كما سياتي لقوله تعالى وخاتم النبيين والنبي بالهمزة من الانبا وهو
الاخبار لانه مخبر عن الله تعالى وبالتشديد من النبوة بفتح النون
وهي الرفعة لانه مرفوع المرتبة في الدنيا والاخرة وهذه الجملة خبرية
لفظا انشائية معنى واتيت بهما بعد الثنا على الله تعالى لقوله تعالى
ورفعنا لك ذكرك اي لا اذكر الا وتذكر معي كما في صحيح ابن حبان
ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه احب ان يقدم المرء بين يدي خطبته
بكسر الخاء وكل امر طلبه غيرها حمد الله تعالى والثنا عليه والصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم انتهى والصلاة لغة الدعا بخير وقال
الازهري هي من الله رحمة ومن الملئكة استغفار ومن الادميين

تضرع ودعا انتهى وخص الانبيا من بين سائر البشر بالافراد والدعا
بالرحمة بلفظ الصلاة تعظيما لهم والسلام تحية معناها الدعا بالسلامة
وذكرتهما معا لما ذكره النووي انه يكره افراد احدهما عن الاخر اي لقوله
تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما **وعلى اله الهادين وعلى الصحابة**
واله عند الشافعي والجمهور مومنوا بني هاشم والمطلب وهم
الذين حرمت عليهم الصدقة وقيل عترته المنتسبون اليه وقيل جميع
امته قال الازهري وهو اقربها للصواب واختاره النووي
وقيل الصلحا وهم قلت وهو اولى مما قبله لما يلزمه من دخول
الفسقة فيها وهو بعيد والصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم
مومنا به ومات كذلك **وعلى تابعيهم من اولي النجابة** التابع لغة
التالي واصطلاحا من ادرك الصحابة رضي الله عنهم واخذ منهم
والنجابة الكرم والحسب والمعنى انهم كرما عند الله تعالى لقربهم
من عصر النبوة ولخبر الصحيحين خير امتي قرني ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم وهي باعتبار الاغلب والاكثر والصلاة على الال
ومن بعدهم شرعت له صلى الله عليه وسلم وفيها زيادة تعظيم له
صلى الله عليه وسلم وفيها زيادة حيث طلبت على غيره لاجله
اما الال فلخبر الصحيحين قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد و
غيرهم بالتبعية لهم ويصدق الال عليهم على قول كما ذكرنا **وبعد**
مبنية على الضم لقطعها عن الاضافة ويوتى بها للفصل بين كلامين
قيل اول من تكلم بها داود عليه السلام وانها فصل الخطاب الذي
اوتيته مع الحكمة وقيل يعرب بن قحطان وقيل سحبان وقيل قس
بن ساعدة وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ياتي باصلها في خطبته
وهو اما بعد بدليل لزوم الفا في حيزها لتضمن اما معنى الشرط

والاصل

والاصل مهما يكن من شيء بعد البسملة والحمد والصلاة **فالمفضي**
اي الموصل **الى الخلود** اي المكث الدايم **في جنة** عرضها كعرض السماء
والارض **سلامة العقود** جمع عقد وهو لغة ربط جسم الى جسم
واصطلاحا عقد القلب على الشيء **عما يزيغها** اي يميلها عن الحق
من الاراء الزايغة وفيه اشارة الى قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم
زيغ فيتبعون ما تشابه منه الاية فسلامة العقيدة مما يفسدها
سبب لدخول الجنة والخلود فيها وهو اعم من ان تدخلها ابتدا او بعد
المجازاة بخلاف الزايغ فان زيغه قد يفضي به الى الخلود في النار كالمجسم
والمراد بالعقد ما يعقد عليه القلب من الاحكام الاعتقادية كالعلم
بوجود الله تعالى وقدمه ووحدانيته وعلمه وقدرته وارادته
ونحوها مما يجب له تعالى وكذا ما يمتنع عليه كالحدوث والتعدد و
الجسمية ونحوها **فكان الواجب** على المكلف **تقديم هذا العلم** المفضي
الى الخلود في الجنة على غيره من العلوم وان كان ايضا واجبا لان تركه
وان كان معصية لا يفضي بصاحبه الى الخلود في النار وترك هذا
قد يفضي بصاحبه الى الخلود في النار والعياذ بالله واذا كان تقديمه
واجبا **فهو** اي العلم نفسه **لازب** اي لازم يعني العلم بما ذكر فرض
وتقديمه فرض اخر حتى نقل عن بعضهم انه لا يصح ايمان المقلد
والصواب ان معرفة ما ذكر ونحوه بدليل اجمالي فرض عين على كل
مكلف وبدليل تفصيلي فرض كفاية وسياتي له مزيد ايضاح **وهذه**
اشارة الى ما في الذهن لتقدم نظم الخطبة على نظم العقيدة **كما ترى**
ارجوزة افعولة من الرجز وهو نوع من بحور الشعر مركب من
مستفعلن ست ويدخله انواع من الزحاف كما قرر في محله **جامعة**
لما يحتاج اليه من هذا العلم **واضحة** اي معناها بين واضح ليس فيها

غرابة ولا يعتقد مما يغلق على السامع فهم المراد **وجيزة** اي مختصرة
تامة المعنى مع قلة الالفاظ فان حصل اطناب في بعض المواضع فهو
وجيز بالنسبة الى غيره لان الوجيز ما قل لفظه وكثر معناه والبسيط ما
كثر لفظه ومعناه والاطناب ما زاد على قدر الحاجة لغرض كقوله
موسى عليه السلام اذ قال له ربه وما تلك بيمينك يا موسى قال هي
عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي الاية فلو قال عصا كفى ولكنه
اطنب بالزايد لغرض التلذذ بخطاب الله تعالى **نظمت منها** اي في
هذه الارجوزة **بعد الاستخارة** المشروعة بالصلاة والدعاء المشهود
في صحيح البخاري وغيره **عقيدة** وهي ما يجب اعتقاده مما سيأتي **صحيحة**
اي سالمة من السهو وما يجب رده **مختارة** اي منتقاة من كتب
كثيرة وعلوم جمة والمراد مسايل ما يسمى علم الكلام وهو معرفة بانه العلم
بالعقايد الدينية عن الادلة اليقينية وهذه العقيدة المنظومة
اختارها الاستاذ اي العالم الرباني **ذو التحقيق** في علومه وهو
معرفة الشي على ما هو به ماخوذ من الحق وهو ضد الباطل **العضد
المنسوب للصديق** اي الملقب عضد الدين وفي حفظي انه من ولد
ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفي نسخة **المنسوب للتدقيق** وهو
الغوص على دقايق المعاني اختارها من كتبه المولفة في علم الكلام وهي
المواقف بسيط والجواهر وسيط وغيرهما **قبل وفاته بثنتي عشرة
ليلة** بقرينة قولي **فاصبحت في العقايد العاصمات** من الزيغ **غرة**
لناجزها ومن بها اطلاع صاحبها وتحقيقه فهي خلاصة علومه وغرة كل
شي اكرمه وهي ماخوذة من غرة الفرس وهي بياض في وجهه تنبيه
في نبذة من اخبار العضد المذكور هو عبد الرحيم بن عبد الغفار
قاضي قضاة المشرق وشيخ العلما بتلك البلاد العلامة عضد الدين

ترجمة العضد

الايجي

الايجي بكسر الهمزة فتحتية ساكنة فجيم مكسورة الشيرازي ذكره الاسنوي
وقال كان اماما في علوم متعددة وصاحب ثروة واكرام للوافدين
عليه تولى القضا بمملكة ابي سعيد فحمدت سيرته وقال التاج السبكي
في الكبرى كان اماما في المعقولات عارفا بالاصلين والمعاني والبيان
والنحو مشاركا في الفقه له في علم الكلام المواقف وغيرها وفي اصول
الفقه شرح مختصر ابن الحاجب وفي المعاني الفوايد الغياثية وكانت
له سعادة مفرطة وانعام على طلبة العلم وكلمة نافذة مولده بعد سنة
ثمان وسبعمايه واشتغل على الشيخ زين الدين الهنكي تلميذ القاضي ناصر
الدين البيضاوي توفي مسجونا بقلعة بقرب ايج غضب عليه صاحب
كرمان يعني حسدا على ما اتاه الله من العلم والجاه واستمر محبوسا الى ان
مات بها سنة ست وخمسين وسبعمايه وقال الاسنوي سنة ثلاث
وخمسين وانجب تلامذة اشتهروا في الافاق منهم شمس الدين الكرماني
وسعد الدين التفتازاني وغيرهما قلت ومن عجايب الاتفاق ان عمره
على قول السبكي كان نحو تسع واربعين سنة كعمر شيخ شيخه ناصر الدين
البيضاوي واتفق له من العلوم والتحقيق والتلاميذ كما اتفق
للبيضاوي ايضا فانه اعني البيضاوي كما ذكره بعض تلامذته القادمين
الى عدن ايام المويد الغساني اتفق له من الاصحاب والتلامذة المحققين
في عصره ما لم يتفق لغيره قال ومات وعمره تسع واربعون سنة كما ذكرنا
والعضد المذكور لا يذكره تلميذه المولى سعد الدين التفتازاني في
تصانيفه الا بالمحقق **وزدت فيها** اي في تضاعيف العقيدة المنظومة
غررا بهية اي منيرة المعاني لعلها نحو نصفها ولم اميزها بل ذكرت في موضع
منها ما يفهم الزيادة **تنيلك** اي توصلك ايها الطالب **المراتب** اي المنازل
جمع مرتبة وهي المكان والمنزلة **العلية** اي الرفيعة في الدنيا بمعرفة الحق

لعينه والتمييز به عن الجهال والاحرى بالخلود في الجنان ان شاء الله
تعالى الدال كمقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منه من قدم اللازم بمعنى
تقدم ومنه لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وبفتحها على قلة كمقدمة
الرحل في لغة من قدم المتعدي اي في امور متقدمة على المقصود
بالذات وعليهم يتوقف بها على المقصود للانتفاع بها فيه مع توقفه على
بعضها كبيان تعريفه وموضوعه ومسائله وغايته فاما تعريف هذا
العلم فقد علم مما مر واما موضوعه الذي يبحث فيه عن احواله الذاتية
فالمعلومات التي يحمل عليها ما تصير معه عقيدة دينية او سببا لذلك
فانه يبحث فيه عما يجب للباري تعالى وما يستحيل عليه كما مر وعن احوال
الجسم والعرض من الحدوث والافتقار والتركيب من الاجزاء وقبول
الفنا ونحو ذلك وكل ذلك بحث عن احوال المعلوم فاذا قيل الباري
قديم او واحد او عليم او الجسم حادث واعادته بعد فنائه حق فقد
حمل على المعلوم ما صار معه عقيدة دينية واذا قيل الجسم مركب من
الجوهر الفرد مثلا فقد حمل على المعلوم ما صار معه مبدأ لعقيدة
دينية فان تركب الجسم دليل على افتقاره الى الموحد واما مسائله فهي
القضايا النظرية الشرعية الاعتقادية واما غايته ففي الدنيا انتصاب
الايمان والتصديق باحكام الشرعية محكما وفي الاخرى الفوز بالسعادة
الابدية والنعم السرمدية في مقعد صدق عند مليك مقتدر
وانا لم اقصد بالمقدمة المذكورة شيئا مما ذكر بل اردت بها بيان السبب
المقتضي للاهتمام بهذا العلم والبحث عنه بالنظر والاجتهاد وترك التقليد
واتباع الاباء واهل الاهواء الذين اشار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم في الاحاديث
الاتية واشارت اليهم الاية المارة وبيان ان الحق مع فرقة واحدة من
الفرق الاتية وانها هي الناجية وان زعم كل فرقة انه هو الناجي اذ العبرة

بالواقع

بالواقع لا بالاعتقاد الفاسد ومعلوم ان الحق انما هو مع النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه فمن كان على ما كانوا عليه فهو الناجي ومن حاد عنه
فهو الهالك ولكن لا نعلم ذلك الا بالانصاف وطلب الحق لعينه وترك
التقليد جملة واحدة اذ المعلوم من احوال الصحابة رضي الله عنهم الاخذ
بالقران العزيز واتباع السنة النبوية قولا وفعلا وتقريرا ومن زاغ
عن شيء من ذلك هجروه ونابذوه وربما جاهدوه وقاتلوه كمانعي الزكوة
زمن ابي بكر رضي الله عنه وكالخوارج الاخذين بما في القران فقط
زمن علي رضي الله عنه فانهما جاهداهم واستباحا دماءهم لخروجهم
عما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقد قال تعالى فماذا
بعد الحق الا الضلال وقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا والى معنى ما ذكرت اشرت بقولي فقد جاء في الحديث ان امتي
ستفترق بالسكون للوزن سبعين اي من فرقة اعني سبعين فرقة
وجئت بمن المقدرة في تمييز للوزن بعد ثلاث في الحساب زايدة وكلها
في النار الا فرقة واحدة وهي الفرقة الناجية وهي اي الفرقة الواحدة
التي على ما كان النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه وصحبه رضي الله
عنهم عليه من الحق حال كونهم اي صحبه من اعوانه على الحق المذكور
ولا يكون كذلك الا من كان على الكتاب والسنة مع تركه التقليد راسا
واجتهاده في طلب الحق وتحكيم السنة على نفسه وتاميرها على هواه
وحديثه والحديث المشار اليه رواه الترمذي في الايمان من حديث
عبد الله بن عمرو قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ليأتين على امتي كما اتى
على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من اتى امه علانية
لكان في امتي من يصنع ذلك وان بني اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين
ملة وتفترق امتي على ثلث وسبعين ملة كلهم في النار الا ملة واحدة

قالوا ومن هي يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي اي هي التي على
ما انا عليه واصحابي قال الترمذي بعده هذا حديث غريب لا نعرف
مثل هذا الا من هذا الوجه انتهى وفي مسنده عبد الرحمن بن زياد
الافريقي ونقم يحيى بن سعيد القطان وضعف غيره والمراد من
الامة امة الاجابة وهم اهل القبلة ولا يجوز ان يراد امة الدعوة
لاندراج ساير ارباب الملل من غير اهل ملتنا فيه ويزيد العدد بكثير
والملة ما شرع اسم لعباده على لسان النبي صلى ليتوصلوا به الى
السعادة بالنجاة ثم توسع فيها يفيد ذلك فاستعملت في الملل الباطلة
ولهذه النكتة مبنية بفرقة كما في رواية وان كان الاكثر الى روايات ملة
والحذو بالحاء المهملة المفتوحة والذال المعجمة الساكنة هو القطع و
حذوت النعل بالنعل اذا قدرت كل واحدة على صاحبتها والمراد
قفوا اثرهم وكل فرقة من الفرق المذكورة تدين بجملة فيما تدين
به الاخرى ومعنى كون غير الناجية في النار انهم يتعرضون لما
يدخلهم النار من الافعال الردية والعقايد الزايغة او يدخلونها
بذنوبهم ثم يخرج منها من لم يكفر ببدعته كما سياتي تحقيقه وروي
هذا الحديث ايضا ابو داود في السنة من حديث معوية بن ابي سفين
بلفظ الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا خطيبا فقال
الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان
هذه الملة ستفترق على ثلث وسبعين ثنتان وسبعون في النار
وواحدة في الجنة وهي الجماعة وانه سيخرج في امتي اقوام تتجارى بهم
تلك الاهوى كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل
الا دخله وسكت عليه ابو داود وكذا المنذري في اختصاره لسننه
ويكون صالحا للحجة عندهما وشاهد الحديث ابن عمر ومعنى يتجارى

الى

الى اخره انهم يتوافقون في الاهوا الفاسدة ويتداعون فيها كما
يتجارى الكلب بصاحبه والكلب بالتحريك دا يعرض للانسان من
عرض الكلب وهو الذي يصيبه شبه الجنون فلا ياكل لحم الانسان
فلا يعض احدا الا كلب ويعرض له اعراض ردية ويمتنع من شرب
الما حتى يموت عطشا واجمعت العرب على ان دواه قطرة من دم ملك
تخلط بما فيسقاه والى زيادة ابي داود اشرت بقولي وهم ذوا السنة
والجماعة اي من ذلك الزمان اي زمان النبوة والصحابة حتى الساعة
اي الى ساعتنا هذه المولف فيها هذه المنظومة او الى قيام الساعة
بمعنى الى قريب اشراطها الكبرى وانما كانت الناجية واحدة لكون الحق
من القضيتين المتقابلتين واحدا اذ لا يجتمع النقيضان في الصدق
والكذب ويستحيل الحكم على المتخاصمين في اصول المعقولات بانهما
محقان واذا كان الحق في كل مسئلة اعتقادية واحدا فالحق في جميع
المسايل يجب ان يكون مع فرقة واحدة ممن عصمهم الله تعالى من الزيغ
والضلال قال شارح الاصل اصول الفرق الاسلامية ثمانية المعتزلة
والشيعة والخوارج والمرجية والنجارية والجبرية والمشبهة والناجية
فالمعتزلة اصحاب واصل بن عطا افترقوا عشرين فرقة لزمهم هذا
اللقب لما اعتزل واصل مجلس الحسن البصري بتقرير ان مرتكب الكبيرة
ليس بمومن ولا كافر ويثبت منزلة بين المنزلتين فقال الحسن قد
اعتزل عنا واصل فلزمهم ذلك والشيعة اثنين وعشرين والخوارج
سبعا والمرجية ست عشرة والنجارية ثلاثا اي والجبرية والمشبهة بحالهما
وكذا الناجية ثم قال وتفصيل ذلك موكول الى كتاب الملل والنحل انتهى
قلت والذي في مختصر الملل والنحل خلاف هذا التقسيم والعدد فانه
قال الخوارج خمس عشرة والمرجية ثنتا عشرة والشيعة اثنان وثلثون

والمعتزلة ستة والمشبهة ثلاث والجهمية والضرارية والكلابية
والنجارية كل واحدة فرقة تواضب على الاخذ بالسنة وهي عن اقوال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعاله ونقرراته بتفاصيلها المعروفة
في محلها والجماعة الاتفاق عليها فلذلك حصت بالنجاة واستحقت
اسم الناجية ومنهم اي من هذه الفرقة وهم اهل السنة طايفة
الاشاعره اي الجماعة المنتمية الى ابي الحسن الاشعري واسمه علي بن
اسمعيل بن اسحق بن سالم بن عبد الله بن موسى بن بلال بن ابي بردة
بن ابي موسى عبد الله بن قيس الصحابي رضي الله عنه كان ابو الحسن
المذكور امام المتكلمين في عصره وناصر سنة سيد المرسلين والذاب
عن الدين والمصحح لعقايد المسلمين مولده سنة ستين وقيل سبعين
ومايتين سكن البصره ثم انتقل الى بغداد حتى توفي بها سنة اربع
وعشرين وقيل سنة عشرين او ثلثين وثلثمايه اخذ الكلام اوله عن
ابي علي الجبائي شيخ المعتزلة ثم فارقه ورجع عن الاعتزال واظهر ذلك
وشرع في الرد عليهم قال الصيرفي وهو من نظراء الاشعري كان المعتزلة
قد رفعوا روسهم حتى اظهر الله تعالى الاشعري فحجرهم في اقماع
السمسم وكان لا يتكلم في علم الكلام الا حيث وجب عليه نصر الحق وقد
ترجم الحافظ ابو القاسم بن عساكر بترجمة حسنة في مجلد لطيف سماه
تبيين كذب المفتري على ابي الحسن الاشعري ورد على من تعرض له
بالطعن وذكر فضائله ومصنفاته ومتابعته فيها السنة وانتصاره
لها وذبه عنها ومن اخذ عنه من العلماء الاعلام وقد صرح الاستاذ
ابو اسحق وابو بكر بن فورك في طبقات المتكلمين بان الاشعري
شافعي ومناظرته مع الجبائي مشهورة في ثلاثة اخوة مات احدهم
كبيرا طايعا والثاني كبيرا عاصيا والثالث صغيرا وكان الجبائي يقول

بوجوب

بوجوب الاصلح فقال الطايع في منزلة رفيعة في الجنة والصغير دونه
والعاصي في النار فقال له الاشعري اذا قال الصغير يا رب لم امتني
صغيرا ولم تتركني حتى اكبر واطيعك واكون مع اخي الطايع في منزلة
رفيعة في الجنة فقال يقول علمت ان موتك صغيرا اصلح لك ولو
كبرت كنت عاصيا تستحق النار قال فاذا صاح العاصي من دركات
جهنم وقال يا رب لم لا امتني صغيرا حتى لا اعصيك وهو الاصلح لي فاكون
في منزلة الصغير بل ارضى بدونها فانقطع الجبائي فتاب الاشعري
عن مذهب الاعتزال واخذ في نقض قواعده ويحكى انه راى النبي
صلى الله عليه وسلم قبل ذلك في المنام فقال يا ابا الحسن انصر سنتي فقال
يا رسول الله قل اولت اية كذا وحديث كذا فاعرض عنه النبي صلى الله
عليه وسلم ثم راه مرة اخرى وهو يامره كذا فاجابه بذلك فاعرض
عنه ثم راه ثالثة وهو يامره كذلك ففهم ان مراده صلى الله عليه وسلم
نصر مذهب اهل الحديث فاخذ في نصرته والرد على من خالفه
من جميع الفرق وقولي اولو القوي والعضد في المناظره يشير
الى مدح طايفة الاشاعره ووصفهم بالقدرة والتمكن والانصاف
في المناظرة لعضدهم للحق وبنا قواعدهم على الكتاب والسنة و
اجماع الامة فهي اصولهم التي يرجعون اليها ببيان ما اجمعوا
عليه يعني اهل السنة والجماعة من عصر النبوة وهلم جرا فاجمعوا
في ذلك العصر على ان الله الخلوق اي المخلوق ذو
العرش جل وعلا وفيه الجناس التام وهو اي ذو العرش تعالى
وعز وجل الله اي ذو العرش هو الله عز وجل تعالى قال سبحانه و
تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر
ليقولن الله وقال ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فالاقرار بوجوده

وجوده

تعالى مركوز في العقول وانما حصل الجهل بالاختلاف في الطريق الموصل
اليه كما نبه عليه ما حكاه عنهم في الاصنام من قولهم ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى **وخلقه** اي مخلوقه **بالقطع** اي بالدليل القاطع
الاتي بيانه **ماسواه** من جواهر واعراض **و** اجمعوا على **انه** اي الله
اوجدا اي اوجد ماسواه من مخلوقاته **من بعد ما قد كان معدوما**
فهو حادث بقدرة الله تعالى والحادث ما كان عدمه سابقا على وجوده
وان شئت قلت ما كان بعد ان لم يكن وهو اوفق للبيت وانما كان حادثا
لان جميع ماسوى الله تعالى مستند الى الفاعل المختار كما سيجي والقديم
لا يستند اليه فان القديم يمنع تاثير الفاعل المختار لان فعل المختار مسبوق
بالقصد الى الايجاد المقارن للعدم وما ثبت قدمه امتنع عدمه **وبدعا**
اي الخلق المذكور اي بينما **العالما** بفتح اللام اي **لعلمنا صانعه به**
كانبهنا بان في خلق السما وات والارض واختلاف الليل
والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من
السماء من ماء فاحيى به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة
وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم
يعقلون واخذ المتكلمون هذه التسمية من قوله تعالى صنع الله
الذي اتقن كل شيء ولا يخفى انه مفيد بما سياتي فلا ينبغي ان يذكر
الا مقيدا كصانع العالم فالعالم وهو كل ماسوى الله تعالى انما سمي
عالما لكونه يعلم به صانعه كما ذكرنا واشارت اليه الاية الكريمة واعلم
ان دلالة هذه الايات على وجود الاله تعالى ووحدته من وجوه كثيرة
يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة ووجد كل منها
بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز
مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس
حركاتها وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه

لبسا

لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها
على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته ويقال ايضا في تقرير
حدوث العالم العالم اعراض واعيان فالاعراض يدرك حدوث
بعضها بالمشاهدة في الانفس كانقلاب النطفة علقة ثم مضغة ثم لحما
ودما وفي الافاق كالحركة بعد السكون والضوء بعد الظلمة وساير
ما يشاهد من احوال الافلاك والعناصر والحيوان والنبات والمعادن
وبعضها بالدليل وهو تجري نظرا بان العدم فان العدم ينافي القدم
واما الاعيان فلانها لا تخلو عن الحوادث وكل ما لا يخلو عن الحوادث فهو
حادث اما الصغرى فلانها لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان لما
عرفت واما الكبرى فلان ما لا يخلو عن الحوادث لو ثبت في الازل لزم ثبوت
الحوادث في الازل وهو محال وملزوم المحال محال فثبت ان العالم حادث
وان له صانعا قديما وهو الله تعالى اذ لو كان حادثا لاحتاج الى محدث اذ
لا بد لكل حادث من محدث كما سياتي وكما مر فان كان ذلك المحدث قديما
ثبت المطلوب وان كان حادثا افتقر الى محدث اخر ولزم التسلسل وهو
مح **و** اجمعوا ايضا على ان العالم **يقبل الفنا** اي الاعدام **ان به قفي** اي تبع
بمعنى قصد لانه ما هيته من حيث هي قابلة للعدم والعدم قبل كالعدم
بعد فما صح على احدهما صح على الاخر **و** اجمعوا ايضا على **انما نتظر**
بالفكرة في معرفة الله جل وعلا نظرا **وجوبا** لانه **باحثي بها** اي بالفكرة
هذه اي المعرفة **نصيبا** اي حتى نصيب اي نجد المعرفة بهذه الفكرة
قال الله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض وقال ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك وقال تعالى
الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا
ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما والعلم بالصفة يستلزم

العلم بالموصوف على ما يأتي بيانه وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
فاعلم انه لا اله الا الله وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقال تعالى
فاتبعوه لعلكم تفلحون وذم سبحانه متبعي الظن فيما يطلب منه
اليقين فقال ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا
والمراد بالنظر ملاحظة العقل لما هو حاصل ليحصل ما ليس بحاصل
وبالفكرة حركة النفس في المعقول لان تخلف فحركتها في المحسوسات
فتسمى تخيلا والمراد من معرفة الله تعالى معرفة وجوده وما يجب
له من اثبات امور ونفي امور وهي المعرفة الايمانية او البرهانية لا الادراك
والاحاطة بكنه الحقيقة لانه ممتنع شرعا وعقلا وقولهم من عرف ربه
لما يعرف به من صفاته ينبه على ذلك ولما كانت المعرفة واجبة وهي
متوقفة وجب هو ايضا لان ما لا يتم الواجب المطلق الا به واجب اذ المعرفة
غير مقدورة بالذات بل بايجاب السبب فايجابها ايجاب سببها كمن
يؤمر بالقتل فانه مأمور بالضرب بالسيف قطعا لا بايجاد الموت ومع
هذا وجوب السبب هل يوجب السبب فمن قال لا قال اول الواجبات
على المكلف المعرفة اي معرفة الله تعالى على الحد الذي ذكرنا وانما كانت
اول الواجبات لانها مبنى سائر الواجبات اذ لا يصح بدونها واجب
بل ولا مندوب لان الاتيان بالمأمور على وجه الامتثال والانكفاف
عن المنهي على وجه الانزجار لا يتأتى الا بعد معرفة الآمر والناهي
ومن قال نعم قال اول الواجبات النظر المؤدي الى المعرفة لانه مقدمتها
وقيل اول النظر لتوقف النظر عليه او لا جزائه وقيل القصد الى النظر
لتوقف النظر على قصده **فليس نحتاج اذا** اي اذ نظرنا نظرا صحيحا **معلما**
يعلمنا معرفة الله تعالى كما زعمت التعليمية من ان النظر لا يفيد في معرفة
الله تعالى ووجوده انه اذا صحت مادته وصورته حصلت المعرفة قطعا

ضرورة

ضرورة ان من علم المقدمات الصحيحة المناسبة بمعرفة الله تعالى على
صورة مستلزمة استلزاما ضروريا حصلت له المعرفة قطعا كقولنا
العالم حادث وكل حادث لا بد له من محدث ينتج قطعا العالم له محدث
وقدم انه يجب ان يكون ذلك المحدث قديما والا لزم التسلسل وهو محال
فلم يزل اي محدث العالم وهو الله تعالى موجودا عالما **ولا يزال**
باقيا اذ ما ثبت قدمه امتنع عدمه **فاعلما** فانه لا يكفي الظن في هذا
المقام لما مر واصله فاعلمن امر مؤكد بالنون الخفيفة فقلبت الفا في
الوقف تنبيه هذه المعرفة هي المشهورة بين عامة اهل العلم وبها
يخرج المكلف عن عهدة الواجب المذكور والتي منه معرفة اخرى يثمرها التحقق
بهذه المعرفة وملاحظتها بنظر العقل فتصير هذه اصلا لتلك بمعنى ان
تلك من هذه بمنزلة النتيجة من المقدمتين وهي ما اخذ القلب واثر فيه كتأثير
الجوارح فالعلم اي المعرفة الاولى كرؤية نار او موج بحر والمعرفة اي الخاصة
كالاصطلاء بالنار والغوص في البحر ثمرة البصيرة والمكاشفة ثم المشاهدة ثم
المعاينة وبما قررناه علم ان قول الغزالي في بعض مؤلفاته النظر طويل عند من
لا يعرفه وقصير عند العارف به فانك اذا عرفت انك محدث فالمحدث
لا يستغني عن المحدث فقد حصل لك البرهان على الايمان بالله فاقرب
هاتين المعرفتين اعني انك محدث وان المحدث لا يستغني عن المحدث دينه
قصور عما قلنا ان الواجب معرفة وجوده وما يجب له الى آخره **العقود في وجوب** بحث
وجوده تعالى ووحدانيته واجمعوا ايضا على انه تعالى **واجب وجوده لذاته**
لا لشيء آخر واجمعوا على انه **ممتنع عدمه لذاته** كذلك لان كل ما يتصور
العقل اما ان يقتضي ذاته وجوده وهو الواجب لذاته او عدمه وهو
الممتنع لذاته او لا يقتضي وجوده ولا عدمه وهو الممكن وصانع العالم
واجب لذاته والا لكان ممكنا او ممتنعا واللازم بقسميه باطل اما الثاني

فظاهر واما الاول فلانه حينئذ يحتاج الى مخصص اخر وذلك الى اخر الى ان
ينتهي الى واجب او يتسلسل والثاني محال فثبت الاول وهو المطلوب و
اجمعوا ايضا على انه **متفرد بالخلق والابداع** اي الاخراج من العدم فلا
خالق بهذا المعنى سواه قال الله تعالى خالق كل شيء وقال ام جعلوا لله شركاء
خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وقال وخلق كل شيء
فقدره تقديرا وقال هل من خالق غير الله ولانه لا يجوز وجود قادرين اذ
لو وجدا ووقع مقدور واحد بينهما ونسبة المقدورات اليهما سوا لان
المقتضي للقدرة ذاتهما وللمقدور به الامكان فحينئذ اما ان يقع المقدور
بهما او باحدهما لا سبيل الى الثاني والا لزم الترجيح بلا مرجح ولا الى الاول اذ
هو باطل لامتناع اجتماع فاعلين على مقدور واحد اذ لا يعلل المعلول الواحد
بالشخص بعلتين مستقلتين والا لاستغنى المعلول بوجود كل منهما عن
وجود الاخر واللازم باطل اما الشرطية فلان وجود كل من العلتين
يوجب وجود المعلول فيستغني عن الاخر واما بطلان اللازم فلانه يلزم
ان يكون كل من العلتين محتاجا اليها مستغنى عنها هذا خلف وفي قولي
والابداع اشارة الجواب سوال مقدر وهو ان قوله تعالى فتبارك الله
احسن الخالقين يقتضي كثرة الخالقين وانما تميز الباري تعالى بكونه احسنهم
والجواب ان الخلق في الاية بمعنى التقدير لا الاخراج من العدم الى الوجود
تنبيه قال شارح الاصل الدوا سبب شفاء من الله تعالى ورؤية الشفا من
الدواء ومن الطبيب كفر لانه اتخذ شريكا مع الله تعالى وكذا الكسب سبب
الرزق من الله تعالى ورؤية الرزق من الكسب كفر ولبس الثياب سبب
دفع الحر والبرد ورؤية دفعهما من الثياب كفر فالدافع هو الله تعالى
انتهى **و** الله تعالى اي مسمى هذا الاسم الشريف **واحد** لا ثاني له في الوجود
وكونه واحدا ثابت **بالعقل** اذ لو جاز كونه اثنين لجاز ان يريد احدهما
والاخر

والاخر ضده الذي لا يضاد له غيره كحركة زيد وسكونه فيمتنع وقوع المرادين
وعدم وقوعهما لامتناع ارتفاع الضدين المذكورين واجتماعهما فيتعين
وقوع احدهما فيكون مريده هو الاله دون الاخر لعجزه فلا يكون الاله الا
واحدا وان جوز اتفاق مرادهما لزم منه التطارد وهو اجتماع فاعلين على
مقدور واحد وقد مر بطلانه وثابت بالنص الاتي وغيره كقوله انما هو الله
واحد وقوله الله لا اله الا هو وقوله وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما
خلق الاية **والاجماع** ايضا المعلوم من الدين ضرورة **دليله** اي التوحيد
المدلول عليه بما مر **تمانع قد ذكرا** اي ذكره المتكلمون وذكرناه انفا
من فرض وقوع مقدور بين قادرين توافقت ارادتهما او تخالفت **وفي
القران** بنقل حركة الهمزة الى الرا **اصله** اي اصل دليل التوحيد **قد
سطرا** بقوله تعالى **لو كان فيهما** الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش
عما يصفون **فقس** على هذا ما يشابهه من حجج القران التي بهرت العقول
وعلت على كل معقول **ومن هذا التنزيل** يعني القران اي من هدايته ودلالته
نور الذي هو الحق **اقتبس** لقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء
وزيدت اللام في المعمول لتقويته العامل فان الفعل لما اخر عن معموله
ضعف كقوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون وفيه اشارة الى ان ادلة القران
ادلة محكمة وكل من تحذلق من المتكلمين وغيرهم انما تقتبس ذلك من
القران فانه لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد ومعنى الاية الشريفة ان عدم فسادهما يعني السموات والارض وهو
اي فسادهما خروجهما عن النظام المحسوس دليل على عدم تعدد الاله لان
تعدده موجب للفساد لما يكون بينهما من التخالف والتمانع كما هو الواقع
في ملكين متحادين واليه يشير قوله تعالى اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى
بعضهم على بعض وقوله لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي

العرش سبيلا اي كما يكون بين الملوك من المعازة والمعارة فالفساد
لازم للتعدد وبانتفائه انتفى اللازم وثبت ضده وهو كون الاله واحدا
تنبيهان الاول الا في قوله تعالى الا الله صفة بمعنى غير وصف بها لعدم
شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ما يلازمه الفساد لكون الالهة
فيهما دون المراد ملازم لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير
عملا كما استثنى بغير حملا لها على الا ولا يجوز الرفع على البدل لانه
متفرع على الاستثنا ومشروط بان يكون في كلام غير موجب
الثاني في بيان ما قيل في دلالة الاية الكريمة وتوضيحه
ذكر الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح العقايد ان الاية
حجة اقناعية وكفره بعض معاصريه وهو الشيخ عبد اللطيف
الكرماني واكثر من التشنيع عليه فانتصر له بعض تلامذته
وهو العلامة المحقق الزاهد محمد بن محمد البخاري
الحنفي الملقب علاء الدين بما رايت ان اسوقه بلفظه كما ساقه
العلامة الشريفي في شرح المسايرة لكثرة فوايده وتحقيقه
فقال الافاضة في الجواب على وجه يرشد الى الصواب يتوقف
على ما اورده الامام حجة الاسلام يعني الغزالي رضي الله عنه
وحاصله ان الادلة على وجود الصانع وتوحيده تجري
مجرى الادوية التي يعالج بها مرض القلب والطبيب ان لم يكن
حاذقا مستعملا للادوية على قدر قوة الطبيعة وضعفها
كان افساده اكثر من اصلاحه كذلك الارشاد بالادلة الى
الهداية اذا لم يكن على قدر ادراك العقول كان الافساد للعقايد
بالادلة اكثر من اصلاحها وحينئذ يجب ان لا يكون الطريق
لكل احد على وتيرة واحدة فالمومن المصدق سماعا او تقليدا

لا ينبغي ان تحرك عقيدته بتحرير الادلة فان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يطالب العرب في مخاطبته اياهم باكثر من التصديق ولم يفرق
بين ان يكون ذلك بايمان وعقد تقليدي او يقيني برهاني
والجافي الغليظ الضعيف العقل الجامد على التقليد المصر
على الباطل مما لا ينفع معه الحجة والبرهان وانما ينفع معه السيف
والسنان والساكون الذين فيهم نوع ذكا ولا تقبل عقولهم الى
فهم البرهان العقلي المفيد للقطع واليقين ينبغي ان يتلطف
في معالجتهم بما امكن من الكلام المقنع المقبول عندهم لا بالادلة
اليقينية لقصور افهامهم عن ادراكها لان الاهتدا بنور العقل
المجرد عن الامور العادية لا يخص الله تعالى به الا الاحاد من
عباده والغالب على الخلق القصور والجهل فهم لقصورهم لا يدركون
براهين العقول كما لا يدرك نور الشمس ابصار الخفافيش بل
تضرهم الادلة العقلية البرهانية كما تضر ريح الورد بالجعل
وفي مثل هذا قيل قائله الشافعي رضي الله عنه ٭ فمن منح الجهال علما اضاعه
ومن منع المستوجبين فقد ظلم ٭ واما الفطن الذي لا يقنعه الكلام
الخطابي فيجب المحاجة معه بالدليل القطعي البرهاني قلت ويدل
لتقسيم الحجة قول الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن فالحكمة لاهل الذكا والفطن
وهم الاقل والموعظة وهي الادلة الخطابية لمن فيه نوع ذكا وهم
كثير والمجادلة بالحسنى لبقية العامة وهم الجم الغفير ثم السيف
بعدها والله اعلم ثم قال اذا تم هذا فنقول لا يخفى ان التكليف
بالتصديق بوجود الصانع وبتوحيده يشمل الكافة من العامة
والخاصة وان النبي صلى الله عليه وسلم مامور بالدعوة للناس

اجمعين والمحاجة مع المشركين الذين عامتهم عن ادراك الادلة العقلية
البرهانية قاصرون ولا يجدي فيهم الا الادلة الخطابية المبنية
على الامور العادية والمقبولة التي الفوها وحسبوا انها قطعية
وان القران العظيم يشتمل على الادلة العقلية القطعية برهانية التي
لا يعقلها الا العالمون وقليل ما هم بطريق الاشارة على ما بينه
الامام الرازي في عدة ايات من القران وعلى الادلة الخطابية النافعة
مع العامة لوصول عقولهم الى ادراكها بطريق العبارة تكميلا للحجة
على الخاصة والعامة على ما يشير بذلك قوله ولا رطب ولا يابس
الا في كتاب مبين وقد اشتمل على كليهما عليهما عبارة واشارة قوله
تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا اما الدليل الخطابي المدلول
عليه بطريق العبارة فهو لزوم فساد السموات والارض بخروجهما
عن النظام المحسوس عند تعدد الالهة ولا يخفى ان لزوم فسادهما
انما يكون على تقدير لزوم الاختلاف ومن البين ان الاختلاف
ليس بلازم قطعا لامكان الاتفاق فلزوم الفساد لزوم عادي
وقد اشار اليه الامام الرازي حيث قال اجرى الله تعالى الممكن مجرى
الواقع بناء على الظاهر ولا يخفى على ذوي العقول السليمة ان ما لا يكون
في نفس الامر لازما وقطعيا لا يصير بجعل الجاعل وتسميته برهانا
دليلا قطعيا زعما ان تسميته قطعيا وبرهانا صلابة في الدين
ونصرة للاسلام والمسلمين هيهات هيهات فان ذلك مدرجة لطعن
الطاعنين ونصرة الدين لا يحتاج الى ادعاء ما ليس بقطعي قطعيا
لاشتمال القران على الادلة القطعية العقلية التي لا يعقلها الا العالمون
بطريق الاشارة النافعة للخاصة وعلى الادلة الخطابية النافعة للعامة
بطريق العبارة واما البرهاني العقلي المدلول عليه بطريق الاشارة

فهو

فهو برهان التمانع القطعي باجماع المتكلمين المستلزم لكون مقدور بين قادرين
ولعجزهما او عجز احدهما على ما بين في علم الكلام كلاهما محالان عقلا على ما بين
فيه ايضا الا التمانع الذي تدل عليه الاية بطريق العبارة بل التمانع قد يكون
برهانيا وقد يكون خطابيا ولا ينبغي ان يتوهم ان كل تمانع عند المتكلمين برهاني
وقطعية لزوم الفساد المدلول عليها بالاشارة ولا تنافي خطابية لزوم
الفساد المدلول عليه بالعبارة لان الفساد المدلول عليه بالاشارة هو كون
مقدور بين قادرين وعجز الالهين المفروضين او عجز احدهما والفساد المدلول
عليه بالعبارة هو خروج السموات اي عند تعدد الالهة عن النظام المحسوس
فاين احدهما عن الاخر وحينئذ لا ينبغي ان يتوهم انه يلزم من انتفاء
جواز الاتفاق على تقدير الفساد المدلول عليه بطريق العبارة لعدم استلزامه
امتناع التعدد عقلا وانما يستلزمه عادة والاستلزام العادي لا ينافي
عدم الاستلزام العقلي انتهى فليتامل ما اشرت بقولي اصله اي التمانع
قد سطر الى هذا التحقيق فهو في غاية النفاسة والله الموفق والهادي

القول في صفاته العليه وتنزيهه عن الجسميه والجوهريه
والعرضيه لان هذه الثلاثة اقسام العالم وقد ثبت ان العالم باقسامه
حادث وان صانعه قديم لذاته متعال عن مجانسة المحدثات متصف بصفات
الكمال كما اشرت اليه بقولي هو **متصف بكل وصف فائق** اي بالغ نهاية ما ينبغي
من الكمال **كالعالم الحي القدير الرازق** اما كونه عالما فلانه متقن في افعاله
وكل متقن فهو عالم اما الاولى فظاهر لمن نظر في الافاق والانفس كما يرشد
اليه قوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم فلا تبصرون وتامل
في ربط العلويات بالسفليات وخلق البسائط والمركبات لا سيما الحيوانات
خصوصا الانسان واما الثانية فضرورية ولكن ينبه عليها بان من رأى
خطا حسنا بالفاظ رشيقة تدل على معان دقيقة علم بالضرورة ان كاتبه

الشيء لم عالم بتاليف الكلام والكتابة قادر عليهما واليه يرشد قوله تعالى الا يعلم
من خلق والكتاب العزيز طافح بانه عالم بعلم خلافا للمعتزلة في قولهم عالم بذاته
وكذا الكلام في القدرة والارادة وسائر صفات الذات وقالوا هو متكلم لكن
بمعنى انه خالق للكلام في جسم كالشجرة مثلا التي سمع الكلام منها موسى عليه
السلام بناء على ان الكلام عندهم ليس الا الحروف والاصوات الممتنع اتصافه
تعالى بها في الحقيقة لم يخالفوا فيما هنا لان صفة الكلام بمعنى خلقه ثابتة
له تعالى ولكن الاشعري يثبت وراء ذلك شيئا اخر وهو الكلام النفسي لانه
هو الحقيقة اذ لا يقال لخالق الكلام في شيء ان ما خلقه فيه كلام له نفسي بل
لفظي وبقية الصفات الذاتية لا يسعهم نفيها لموافقتهم على تنزيههم تعالى
عن اضدادها وانما ينفون زيادتها على الذات ويزعمون انها نفس الذات
مرسى ترتبها على الذات ككونه عالما قادرا فروا بذلك من تعدد القدماء و
جوابه ان المحذور في ذوات كما يقول النصارى بالاقانيم الثلثة لا في ذات
وصفات ويدل لكونه تعالى عالما بعلم قوله لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله
بعلمه وقوله وسع ربي كل شيء علما ومثله وان الله قد احاط بكل شيء علما فان
علما في الايتين تمييز محول عن الفاعل اي وسع علم ربي كل شيء واحاط علمه
بكل شيء ومنه فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وقوله اليه يرد
علم الساعة وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه
فصرح في هذه الايات بانه عالم بعلم ومنه يوخذ ان من لم يقم به وصف لا يجوز
ان يشتق له منه اسم فلا يقال عالم لمن لا علم له ولا بصير لمن لا بصر له واما كونه
حيا فلانه عالم وقادر وكل عالم قادر فهو حي ضرورة وقد صرح القران الكريم
بكونه حيا في غير اية والحيوة في حقنا اعتدال المزاج النوعي ولا يتصور في حقه
تعالى بل هي صفة حقيقية تقتضي صحة العلم لموصوفها وقيل هي صحة العلم و
القدرة وكل ما يصح له تعالى فهو واجب الثبوت لانه ازلي ولا موجب لامتناعه

عن القوة والامكان وتمدح تعالى بقوله هو الحي لا اله الا هو مراده هذا المعنى
اي كونه حيا لا يموت وغيره وان كان حيا فمحكوم عليه بالموت ولهذا خاطب
من يموت وان كان حيا بقوله انك ميت وانهم ميتون لكنه
حكي انه مات لبعضهم ابن فحزن عليه وبكى حتى عمي فقال له بعضهم الذنب لك
حيث احببت حيا يموت هلا احببت حيا لا يموت حتى لا تقع في هذا الحزن
واما كونه قادرا او قديرا فلانه لو لم يكن كذلك لكان عاجزا ولزم النقص او موجبا
ولزم قدم الحادث او التسلسل لان تاثيره تعالى في وجود الحادث اما ان
يتوقف على شرط اولا فان لم يتوقف لزم من قدمه قدمه والا تخلف المعلول
عن العلة وان توقف على شرط فذلك الشرط ان كان قديما عاد الالزام وان كان
حادثا كان الكلام في حدوثه كالكلام في الاول وتسلسل واما كونه رازقا ورزاقا
فلان الرزق من جملة الحادثات وقد مر اسناد الحوادث كلها اليه وقد قال
تعالى ان الله هو الرزاق العظيم وتعريف الخبر يدل على انه تعالى لا رازق
سواه والتنبيه يشير صريحا قوله تعالى امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه
وسياتي له زيادة ايضاح وهو سبحانه منزه اي مبرا عن كل نقص وحدث
لتعاليه عنهما وقيام البرهان القاطع على وجوب قدمه واتصافه بصفات الكمال كالكبرياء
والعظمة واعلم ان الصفات الثبوتية كالعلم والحيوة تسمى صفات الاكرام والسلبية
ككونه ليس بجسم مثلا تسمى صفات الجلال والى الاول اشرت بقولي صفات
ذاته لدى من قد بحث من علماء هذا الشان سبع وفي تا منها
وهو التفاهم نظر ياتي تحقيق الكلام عليه ان شاء الله تعالى علم وهو
صفة تحيط بالشيء على ما هو عليه وهذا وهذا التعريف اوفق لقوله تعالى
وان الله قد احاط بكل شيء علما من تعريف بعضهم لهذه الصفة بقوله
صفة ينكشف بها الشيء عند تعلقها به لان الانكشاف يوهم انضاحا
بعد خفاء وحياته وقدم تعريف الحيوة مطلقا وسمع وبصر وهاتان

الصفتان وورد السمع بهما في غير اية نحو انه هو السميع البصير وانني معكما اسمع
وارى وهما صفتا كمال في المخلوق فالله تعالى احق والا لزم ان يكون
للمخلوق من صفات الكمال ما لا يكون للخالق وقد قال تعالى وتلك حجتنا
اتيناها ابراهيم على قومه اي حين الزم اباه الحجة بقوله لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر فافاد ان عدمهما نقص لا يليق بالمعبود وعرفوهما بانهما صفتان
يتزيد بهما الانكشاف على الانكشاف بالعلم وفيه ما مر واوضح ذلك في شرح
الاصل فقال واعلم انا نعرف حقيقة الصوت فاذا سمعناه وجدنا حالة زايدة
على ما كان حاصلا قبل العلم وتلك الحالة مزيد انكشاف وظهور فسمينا هذا
الانكشاف والظهور بالسمع فلفظ السمع موضوع في اللغة لهذا الانكشاف
فاورد في حقه تعالى منه اعتقدنا انه ثبوت جنس الانكشاف في حقه تعالى
قال والحاصل عند عقول الخلق من معاني صفات الله تعالى خيالات ضعيفة
ورسوم خفية جلت صفاته عن مناسبة صفات المحدثات وتقدست
صمديته عن مشابهة الممكنات وكذا تحقيق الكلام في الابصار تحقق فالقران
والحديث مملوان باثباتهما بحيث لا يمكن انكاره ولا تاويله وهذا مما علم من دين
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة قلت وفي كلامه اشارة الى فايدتين احداهما
ما اشار اليه في المواقف بناء على انهما صفتان زايدتان على العلم وهما ان يقال
لما ورد النقل بهما امنا بذلك وعرفنا انهما لا يكونان بالالتين المعروفتين
واعترفنا بعدم الوقوف على حقيقتهما اي فاثبات العلم اجمالا لا يغني في العقيدة
عن اثباتهما تفصيلا بلفظيهما الواردين في الكتاب والسنة لانا متعبدون بما
ورد فيهما فلا بد من الايمان بهذين النوعين تفصيلا اي وان اعترفنا بالعجز
عن حقيقتهما الثانية التصريح بما يوجد منه موافقة للجمهور من اهل
السنة وهو القول بزيادتهما على العلم ومخالفة فيلسوف الاسلام وابي الحسين
البصري والكعبي من المعتزلة حيث قالوا برجوعهما الى العلم **وارادة** وهي

صفة

صفة تخصص احد طرفي الشيء من الفعل والترك بالوقوع **وقدرة** وهي
صفة تؤثر في الشيء عند تعلقها به **وكلام** وهو صفة عبر عنها بالنظم المعروف
المسمى بكلام الله ويسميان بالقران ايضا فصفة الكلام ثابتة لله تعالى فهو
متكلم بكلام ازلي قايم بذاته لا يشبه كلام المخلوقين اذ ليس بصوت يسمع
في اشكال هؤلاء واصطكاك اجرام ولا بحرف ينقطع بانطباق شفة او تحريك
لسان لاجماع الانبيا عليهم الصلاة والسلام على انه تعالى امر ناه واعد متوعد
مخبر وهذه اقسام الكلام واظهار المعجزة على وفق دعواهم دليل صدقهم
سواء كانت المعجزة من جنس الكلام كالقران الخارج عن طوق البشر ام لم تكن
كفلق البحر واحياء الموتى ولانه وصف كمال ينافي الافة فوجب اعتقاده وهو
اي المعنى القايم بالذات يدل عليه بالعبارة تارة وبالاشارة والكتابة اخرى
فهو غير العبارات لانها تتغير وهو لا يتغير والمتغير يغاير غير المتغير
والقايم بالذات لا يوصف بانه متبعض ولا متجز ولا بانه عبري ولا سوري
ولا عربي انما العبري والسوري والعربي هو اللفظ الدال عليه والعبارات
الدالة عليه تختلف باختلاف الازمنة فالاخبار عن ارسال نوح مثلا
بقوله انا ارسلنا نوحا موجود ازلا باق ابدا ولا يتصف ازلا بالماضي
ولا بالحال ولا بالمستقبل لعدم الزمان وانما يتصف بذلك فيما لا يزال
بحسب التعلقات فيقال قام بذات الله تعالى اخبار عن ارسال نوح مطلقا
فقبل الارسال كانت العبارة الدالة عليه انا نرسل وبعد الارسال انا ارسلنا
فالتغيير في لفظ الخبر لا في الاخبار القايم بالذات وهذا كما يقال في علمه تعالى
انه قام بذاته ازلا العلم بان نوحا مرسل وهذا العلم باق ابدا فقبل وجوده علم
انه سيوجد وبعد وجوده علم بذلك العلم انه وجد وارسل والتغيير
في المعلوم لا في العلم **والثامن** المختلف فيه وهو اخرها **البقاء** وهو في التحقيق
عبارة عن استمرار الوجود لان ما ثبت قدمه يستحيل عدمه **والسلام** على

من ابتع الهدى وقال الشيخ انه تعالى باق ببقاء قام به ونفاه القاضي وامام الحرمين
والامام واحتجوا بان البقا لو كان موجودا لكان باقيا ببقا ولزم التسلسل وبان
كونه باقيا لو كان ببقاء قام به لكان واجب الوجود لذاته واجبا بغيره هذا خلف
فالمعقول من بقاء البارئ تعالى امتناع عدمه ومن بقا الحوادث مقارنة
وجودها لاكثر من زمان واحد بعد الزمان الاول وذلك لا يعقل فيما ليس بزماني
وقد علم ان الامتناع والمقارنة المذكورة من الامور المذكورة الاعتبارية
التي لا وجود لها في الخارج وفي قولنا صفة اشارة الى ان كلا من صفات ذاته
قديم لامتناع قيام الحوادث بذاته كما سياتي عند قول النظم وهو على يجل عن
ان يقوم حادث بذاته اما صفات الافعال كالخلق والرزق والاحياء والاماتة
فليست قديمة خلافا للحنفية بل هي حادثة اي متجددة لانها اضافات تعرض
للقدرة وهي تعلقاتها بوجود المقدورات لاوقات وجود ذاتها ولا محذور
في اتصاف البارئ تعالى بالاضافات ككونه قبل العالم ومعه وبعده واما
اسمائه الراجعة الى صفات الافعال كالخالق والرازق من حيث رجوعها الى
القدرة لا الفعل فالخالق والرازق مثلا من شانه الخلق والرزق اي هو الذي
بالصفة التي بها يصح الخلق والرزق وهي القدرة كما يقال في الماء في الكوز مرو
اي هو بالصفة التي تحصل بها الارواء عند مصادفة الباطن وفي السيف
في الغمد اي هو بالصفة التي بها يحصل القطع عند ملاقاته المحل فان اريد
بالخالق من صدر منه الخلق فليس صدوره ازليا اي والا لزم منه القول
بقدم العالم ذكر ذلك الغزالي وبين رجوع الاسماء كلها الى الذات وصفاتها
في المقصد الاسنى **تنبيه** قولي كالعالم الحي القدير الرازق بعد قولي
بكل وصف موافق لقول اهل العربية الوصف لفظ دل على ذات باعتبار صفة
كالعالم والخالق والاسم ما دل لا باعتبار المذكور وبعضهم جعل ما دل على
الذات باعتبار صفة كالعالم والخالق من الاسما وهو موافق للحديث

ان

ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما والمقصود لا يختلف عند التحقيق
كما اشار اليه الغزالي فيما مر **فعلمه لكل معلوم شمل** واجبا كان او ممتنعا
او ممكنا كليا او جزئيا اذ الموجب للعلم ذاته وللمعلومية ذوات المعلومات
ومفهوماتها ونسبة الذات الى الكل سواء كما يشير اليه قوله تعالى وعنده
مفاتح الغيب الاية لكن علمه تعالى يخالف علم العباد من وجوه الاول
انه بالعلم الواحد يعلم جميع المعلومات الثاني علمه لا يتغير بتغير المعلومات
الثالث علمه غير مستفاد من الحواس ولا من الكفر الرابع علمه ضروري الثبوت
ممتنع الزوال الخامس لا يشغله علم عن علم ومعلوماته غير متناهية بخلاف
العباد في جميع ذلك **وسمعه بكل مسموع كفل** اي لا يعزب عن سمعه مسموع
وان رق فيسمع دبيب النملة العجفا على الصخرة الملسا في الليل الاسود **بكل
مرئي** وان دق **احاط بصره من** غير **تحديق** وتقليب اجفان **فلا تصوره**
كما انه يسمع من غير اصمخة واذان وفي قولي فلا تصوره اشارة الى انه لا يمكن
تصوير ذلك لعدم الوقوف على حقيقته كما مر **وكل كاين** من خير او شر
ايمان او كفر نفع او ضر **فقد اراده** وما لم يرده لم يكن والارادة والمشيئة
بمعنى وقد اجمع السلف ونطق الخبر بما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن **وهي**
اي الارادة **لتخصيص** لان تقدم بعض افعاله على بعض مع جواز تاخره يحوج
الى مرجح وليس بالقدرة ولا بالحياة لان نسبتهما الى الاوقات سوا ولا العلم
بالوقوع لانه تبع للوقوع التابع للارادة ولا العلم بالمصلحة لامتناع كون فعله
تعالى معللا بغرض وكذا السمع والبصر ولا بالكلام اذ لا تعلق له بالايجاد فهي
صفة اخرى مسماه بالارادة فهي اذن صفة مرجحة لاحد المقدورين كما مر
فلا نفاده اي فلا انتقاد للمعتزلة في التعبير بانه مريد للكفر والمعاصي مثلا
بعد تحقيق معنى الارادة وقد يوضح بمثال يقرب الى الفهم وهو ما اذا كان
اخوان مثلا احدهما كافر والاخر مسلم فاسلم الكافر وارتد المسلم ومن الجاير

ان يبقى كل منهما على ما كان وان يسلم الكافر مع اسلام اخيه وان يرتد المسلم
مع بقا ذلك وكذا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بان الله يعز الاسلام بابي
جهل او بعمر فاسلم عمر دون ابي جهل ومن الجايز العكس وبقاوهما واسلامهما
فالمخصص لاحد الجايزات **وكل مقدور** اي ما من شانه ان يقدر عليه
وهو الممكن دون الواجب والممتنع **فقد تعلقت قدرته به** اذ المقتضى
للقدرة هو الذات والمصحح للمقدورية هو الامكان ونسبة الذات الى
جميع الممكنات على السوية وانما اختصت القدرة بالممكن لان الواجب والممتنع
غير مقدورين بمعنى ان القدرة لا تتوجه اليهما لان تحصيل الحاصل وقصد
الممتنع محال واشرت بقولي **وكم قد مزقت** اي قدرته تعالى من جبار
عنيد وعات في الارض مريد الى قوله تعالى ومزقناهم كل ممزق لان
اثرها يظهر في الامور المفرقة والحوايج المقطعة اكثر من ظهوره في غيرها
لفوت النفوس منها واهتماما بها في كل عضو بذكرها كما قال وجعلناهم
احاديث وضربت بهم الامثال حتى قيل تفرقوا ايدي سبا ولما كانت صفة
الكلام محتاجة لمزيد بسط لما فيها من الاضطراب بين الناس حتى
ان هذا العلم سمي بها فقيل علم الكلام على بعض التاويلات فصلتها عن
سائر الصفات واشرت اليها بقولي **اما كلامه** اي الموصوف بما مر
والمراد ها هنا ما هو اعم من القايم بالذات على ما سياتي **فمنه وحيه**
واشرت بذلك الى تقسيم اية الشورى للتكليم في قوله تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما يشاء **وفيه** اي وفي كلامه تعالى **امره** نحو اقيموا الصلوة **وفيه نهيه**
نحو لا تقربوا الزنا والامر والنهي من اقسام الكلام كما مر فان قيل كيف تكون
صفة قديمة بالذات وبتصور الامر والنهي في القدم ولا مامور ولا منهي
فالجواب انه بتنزيل المعدوم الذي سيوجد منزلة الموجود من

حيث

17

حيث تعلقه في الازل او فيما لا يزال بشي على وجه الاقتضا يسمى امرا او بتركه
يسمى نهيا وهذا معنى قولهم يتعلق الامر بالمعدوم تعلقا معنويا اي اذا
وجد بشروط التكليف يكون مامورا بذلك الامر النفسي الازلي لا تعلقا
تنجيزيا بان يكون حال عدمه مامورا وهذا ما ذهب اليه الاشعري واتباعه
وهو ان الخطاب في الازل يتعلق بالمعدوم الذي سيوجد لا يقال التعلق
ينقطع بخروج المكلف عن الاهلية التكليف بموت ونحوه ولو كان قديما
لما انقطع لانا نقول المنقطع التعلق التنجيزي وهو حادث اما المعنوي
الازلي فلا ينقطع ولا يتغير لما مر في الكلام على الاخبار القايم بالذات من ان
التغير في اللفظ الدال عليه لا في نفسه وان التغير في المعلوم لا في العلم
فانه يوخذ من ذلك ان التغير في متعلق الكلام وتعلقه التنجيزي لا في
التعلق المعنوي الازلي **ومنه** اي ومن كلامه تعالى حقيقة شرعية **ذا القران**
الذي بين اظهرنا المعرف بانه اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للاعجاز
بسورة منه المتعبد بتلاوته **قد انزله بعلمه** كما قال تعالى لكن الله يشهد
بما انزل اليك انزله بعلمه **ورحمة فصله** كما قال تعالى كتاب فصلت اياته
وكتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير وفي هذا الكلام اشارة
الى ان كلامه من القايم بالذات والدال عليه يسمى كلام الله ولكن هل اطلاقه
عليهما بالاشتراك اللفظي او المعنوي او هو حقيقة في الاول مجاز في الثاني
اي لغة وان كان حقيقة شرعية فيه بخصوصه كما مر لقول الشاعر
ان الكلام لفي الفواد وانما جعل اللسان على الفواد دليلا قال الاشعري
بالاول مرة وبالثالث اخرى اي في مطلق الكلام واختاره بعضهم وقال الامام
كونه مشتركا عليه المحققون وقالت المعتزلة هو حقيقة في اللساني لتبادره
الى الاذهان لانكارهم النفسي الذي اثبته الاشعري واجيب بانه قد يكثر
استعمال اللفظ في معناه المجازي او في احد معنييه الحقيقيين فيتبادر الى

الاذهان والتحقيق ان الكلام مطلقا مشترك اشتراكا معنويا لا متواطيا
بين النفسي واللفظي فهو حقيقة فيهما مع وحدة الموضع اذ الوضع للقدر
المشترك بينهما وهو متعلق التكلم اعم من كون ذلك المتعلق معنا نفسيا
او لفظيا بخلاف الاشتراك اللفظي فان الوضع فيه متعدد والاصل في الوضع
عدم التعدد والاصل في الاطلاق الحقيقة فعلى هذا استعماله فيهما حقيقة لغوية
ثم القران بمعنى القايم بالذات محل نظر علما اصول الدين وبمعنى الدال عليه محل
نظر علما العربية والفقه واصوله ووجه الاضافة في تسمية كلام الله بالمعنى
الاول انه صفة لله تعالى وبالمعنى الثاني انه انشاه برقومه في اللوح المحفوظ
لقوله تعالى في لوح محفوظ او بحروفه في لسان الملك لاية انه لقول رسول
كريم او لسان النبي صلى الله عليه وسلم لاية نزل به الروح الامين على قلبك و
المنزل على القلب هو المعنى دون اللفظ ثم هل يعتبر في التسمية بالقران
بالمعنى الثاني خصوص المحل كما قيل انه اسم لهذا المولف القايم باول لسانه
اعتبره الله فيه او لا يعتبر في التسمية الا خصوص التاليف الذي لا يختلف
باختلاف المتلفظين الصحيح الثاني لانا نقطع بان ما يقراوه كل واحد
منا هو المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الاول يكون مثل القران لا نفسه
ومنع السلف اطلاق القول بخلق القران بالمعنى الثاني في اللسان او في
المصحف وبكونه مخلوقا ادبا واحترازا عن ذهاب الوهم الى القران
بالمعنى الاول وعلى هذا بقرينة المقام فقد **ليس** القران **بمخلوق** اما بالمعنى
الثاني فلما مر انفا واما بالمعنى الاول فلانه صفة من صفاته تعالى الذاتية
فلو كان مخلوقا لكان حادثا ولزم قيام الحادث بذاته وهو باطل كما سياتي
ومن يبتدع يقوله اي بقول هو مخلوق وهو **خلاف ما قد اجمعوا عليه**
يعني السلف اما بالمعنى الاول فظاهر للزوم المحذور المذكور واما بالمعنى
الثاني فللادب المار والقايل به المعتزلة فانهم قالوا كلام الله تعالى اصوات وحروف

كلمها

بخلقها في غيره كاللوح المحفوظ وجبريل او الرسول وهو حادث عندهم
خلافا للحنابلة وهذا لا ننكره نحن ولكن نسميه كلاما لفظيا ونثبت وراءه
المعنوي وهو القايم بالنفس فهو قديم قايم بذاته تعالى كما مر وانما كان قايله
مبتدعا فانه لم يخالف في معنى ما قصده لمخالفة السلف حيث منعوا اطلاق
ذلك كما مر **وكونه** اي القران بالمعنى الاول **باللفظ** الكاين بالحروف والاصوات
مستحيل لانه لا يكون كذلك الا على جسم وهو باطل **من قاله مبتدع جهول**
اما كونه مبتدعا فظاهر بل بدعته اشد من بدعة المعتزلة المارة واما كونه
جهولا وهو بناء مبالغة تدل على توغل هذا القايل في الجهل فلانه جاء بكلام
غير معقول والاشارة بهذا الى مبتدعة الحنابلة فانهم قالوا كلام الله تعالى
حروف واصوات تقوم بذاته وهو قديم وبالغوا حتى قال بعضهم جهلا
الجلد والغلاف قديمان فضلا عن المصحف وهذا قول باطل بالضرورة
والكرامية وافقت الحنابلة في ان تكلمه تعالى بحروف واصوات لكنهم سموا
ذلك قولا لا كلاما وسلموا انه حادث وقالوا قايم بذاته لتجويزهم قيام الحوادث
بذاته تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وزعموا ان كلام الله هو قدرته
على الكلام وهم يثبتون قدم القدرة ففرقوا بين القول والكلام **وكونه**
اي المعنى الاول **في النفس** اي قايما بالذات كما مر **لا يمتنع** بل هو الواقع لما مر
من انه صفة كمال تنافي الافة **وتركه تورعا** عن ان يسبق الوهم الى ان الذي
بالمعنى الثاني لا يسمى قرانا ولا كلام الله تعالى مع انه كلام الله تعالى حقيقة
وقرانا كذلك لما مر من انه مشترك بينهما اشتراكا معنويا على التحقيق
المشار اليه فيما مر او على ما قال بعضهم هو بالمعنى الاول حقيقة عقلية
وبالمعنى الثاني حقيقة شرعية وقد مرت الاشارة اليه والامر سهل مع
الاعتراف بكونه حقيقة فيهما وان اختلف التوجيه فترك ذلك **متسع**
اي واسع اي جايز خوفا من المحذور المذكور **فقل** القران **كلام** اي

كلام الله تعالى وكفى اي ويكفي ذلك في صحة العقيدة مع اعتقاد الواقع ثم
رأيت في بعض شروح الجمع ما يوافق ما اشرت اليه فقال والطريق العدل
ترك الخوض في ذلك والاقتدا باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم
لم يخوضوا في ذلك ولا يخفى ان العبد اذا قال القرآن كلام الله واعتقد وجوب
الانقياد اليه ولا يتعرض لقدم ولا حدوث لا يضره ذلك فاذا افترضت
لذلك ثار عليك خصمك فكفرك وكفرته ثم تناقضتما فتواددتما وتواكلتما
وتظاهرتما فتم تجريا في العمل على مقتضى العلم فبؤتما جميعا بالاثم وما اشبه
هذين بمن اتاهم كتاب من سلطان اي لامر يندبهم فيه اليه فاخذوا يتشاجرون
في ان الكتاب كيف خطه وكيف عبارته واي شيء فيه من الفصاحة وهل كتبه
بخط امراء وزيره وهل هو قديم التاريخ او حديثه وصرفوا همهم عن
الانتداب لما ندبهم اليه واما السلف فمن خاض فيه فانما فعله للضرورة
والابتلاء باهل الاهواء وقد امن هذا المحذور في هذه الاعصار والحمد لله
انتهى اي فان حدث ما يوجب الخوض فلا باس ببيان وجه الصواب
والله الموفق والهادي وفي الصدور حفظا اي حفظ كلام الله المسمى
بالقرآن قد عرفا فيقال القرآن كلام الله تعالى ومع ذلك هو محفوظ في
صدورنا نعم ومقروء لنا بالالسن كذلك هو مكتوب بمصحف سني
اي رفيع وذلك المقروء بالالسن والمكتوب بالمصحف غير القراءة التي
هي فعل الانسان فلا يريب اي فلا يدخل ذلك ريبا اي شكا في العقيدة
وغير ما يري من الكتابة التي هي حركة اليد لان المقروء والمكتوب قديم والقراءة
والكتابة حادثان فتغايرا وذلك القديم لا يقبل الانفصال والفراق بالانتقال
الى القلوب والاوراق وليس بموضوع في المصاحف كان الله تعالى مذكور
بالالسن معروف بالقلوب معبود في الاماكن وليس فيها وقد عمم منع
السلف اطلاق القول بذلك بالمعنى الثاني ايضا تنبيهات الاول

اتصاف

اتصاف القرآن بهذه الاوصاف الثلاثة اي كونه محفوظا ومقروءا ومكتوبا
بكذا وبانه غير مخلوق اي موجود ازلا وابدا اتصاف له باعتبار وجودات
الموجود الاربعة فان لكل موجود وجودا في الخارج ووجودا في الذهن ووجودا
في العبارة ووجودا في الكتابة فهي تدل على العبارة وهي على ما في الذهن
وهو على ما في الخارج الثاني قد علم مما مر قدم كلامه النفسي وتعلقه
بالمعدوم تعلقا معنويا ونزيده بيانا فنقول لا شك انه يعقل قيام طلب
التعلم بذات الاب مثلا من ابن سيولد قبل ان يخلق ذلك الولد حتى لو فرض
خلقه وعلمه بما قام بابيه من ذلك الطلب بان خلق الله تعالى له علما به في قلب
ابنه من الطلب صار ذلك الولد مأمورا بذلك الطلب الذي قام بذات ابيه
وعاد وجوده الى وقت علم الولد به وحينئذ يتعلق به تعلقا تنجيزيا
فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله تعالى اخلع نعليك بذات الله تعالى
ازلا ومصير موسى عليه الصلاة والسلام مخاطبا به بعد وجوده وخلق
معرفته به الثالث هل الكلام بالمعنى الاول اعني النفسي مما يسمع اختلف فيه
اهل السنة فقال الاشعري نعم قياسا على رؤية ما ليس بلون قال فكما عقل رؤية
ما ليس بلون ولا جسم فليعقل سماع ما ليس بصوت ولا حرف وهو لا يكون
الا بطريق خرق العادة كما نبه عليه القاضي ابو بكر الباقلاني وهذا القياس
الزم به الاشعري من خالفه من اهل السنة لاتفاقهم على جواز الرؤية ووقوعها
في الاخرة ونقل بعضهم عن الشيخ ابي منصور الماتريدي من الحنفية استحالة
ذلك وهو الذي ذهب اليه الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني من الشافعية
واستدل له بعضهم بان المخصوص باسم السمع من العلم ما كونه ادراك صوت
وادراك ما ليس صوتا قد يخص باسم الرؤية وقد يكون له الاسم الاعم اعني
العلم مطلقا قال هؤلاء وموسى عليه الصلاة والسلام اذ ناداه ربه بالواد
المقدس انما سمع صوتا دالا على كلام الله تعالى ويوافقه ظاهر قوله تعالى

نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة وانما خص باسم
الكليم على هذا لانه سمعه بغير واسطة الكتاب والملك بل خرقت له فيه
العادة واما بالمعنى الثاني فهو مسموع لقوله حتى يسمع كلام الله وهو
مرجح لما قدمنا من تصحيح ان القاري يقرا كلام الله تعالى لا مثله وحقق
الشريف في شرح المسايرة هذا المحل فقال لا يتحقق ما يصلح ان يكون
محلا للخلاف لانه اما ان يفرض في الاستحالة عقلا فلا يناقي انكارا مكانه
ان يخلق الله تعالى للقوة ادراك الكلام النفسي او يفرض في الاستحالة
عادة ولا ينافي ايضا انكار امكان ذلك خرقا للعادة بل قد ساق صاحب
التبصرة من كلام الماتريدي في كتاب التوحيد ما يقتضي جواز سماع
ما ليس بصوت ثم قال فحوره يعني الماتريدي سماع ما ليس بصوت فعلى
هذا سمع موسى عليه السلام الكلام النفسي ويويده التاكيد في قوله تعالى
وكلم الله موسى تكليما فالحمل على الحقيقة ممكن ولا موجب للعدول عنه فعليه
اختصاصه بالكليم ظاهر قال والخلاف انما هو في الواقع لموسى عليه السلام
وقولهم المخصوص باسم السمع الى اخره جوابه ان يقال بل المخصوص باسم
السمع من العلم ما يكون ادراكا بالقوة المودعة في مقعر الصماخ وقد يخلق
لها ادراك ما ليس بصوت خرقا للعادة فيسمى سمعا ولا مانع من ذلك انتهى
قلت وهذا بعينه يقال به في الروية لانها نوع علم فهل يجوز ان يودع في القوة
الباصرة ادراك ما ليس بجسم ولا لون ولا بارتسام ولا في جهة خرقا للعادة
الصواب نعم كما سياتي تحقيقه لانه غير مستحيل عقلا فالقدرة تصلح له ومن
هذا يوخذ ان قول الشارح الاصل في القران هو كلام الله وهو المعنى القايم
بالذات اسمعه جبريل بالصوت والحرف فحفظه جبريل عليه السلام ونزل
به على محمد صلى الله عليه وسلم انزال الوحي والرسالة وتلاه عليه فحفظه النبي
صلى الله عليه وسلم وتلاه على اصحابه فحفظوه وتلوه على التابعين والتابعون

ع

على الصالحين وهلم جرا حتى وصل الينا يوافق قول الماتريدي المنقول عنه
ويكون معنى قوله اسمعه جبريل بالصوت والحرف انه بواسطة كاللوح
مثلا والله اعلم وقول الشارح المذكور والتحقيق ان معنى اذا كان
في النفس فعلم فاذا انتهى الى الفكر فروية فاذا جرى به اللسان فكلام وان
كتب بالبنان فكتاب واذا عبرت قراءته فقران فاذا لوحظ كونه فارقا بين الحق
والباطل ففرقان فهو بالذات شي واحد ويختلف عليه هذه الاسامي
بحسب اختلاف الاحوال والاعتبارات مخالف لما تقرر من ان ما في النفس
يسمى كله ما حقيقة ولما كان هذا الكلام مظنة لزلل الاقدام لاختلاف
الناس في الافهام اشرت بقولي وكل اي امر ما اشكل عليك من هذا
ونحوه الى الله تعالى وتوقف عند ما تشابه من القران والاحاديث
الواردة في الصفات كما يشير اليه قوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب
منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الاية بناء على ان
الوقف على قوله الا الله فالمتشابه اذن ما استاثر الله تعالى بعلمه وقيل ما يطلع
عليه بعض اصفيائه وعليه فالوقف على قوله والراسخون في العلم ويويد
حسن التوقف الذي اشرت اليه حديث الامر ثلثة امر بين رشده
فاتبعه وامر بين غيه فاجتنبه وامر اختلف فيه فكله الى الله عز وجل
رواه الامام احمد بن حنبل من حديث ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه
تنبيه ما ذكرته من التوقف عند سماع المشكل هو مذهب السلف
لانهم قالوا ما ورد في الكتاب العزيز وصح في السنة الشريفة ولم يشكل معناه
وجب اعتقاده وما اشكل نحو الرحمن على العرش استوى ويبقى وجه ربك
ولتصنع على عيني يد الله فوق ايديهم ونحو حديث ان قلوب بني ادم
كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشا
وحديث ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسي النهار ويبسط

يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم
فرضنا ان المراد منه الى الله تعالى وتنزهه تعالى عن ظاهره واتفقوا على
ان جهلنا بتفصيله لا يقدح في اعتقادنا المراد منه مجمله وما اختاره
اختاره قبلي امام الحرمين في الرسالة النظامية فقال الذي نرتضيه رايا
وندين الله به عقدا اتباع سلف الامة فانهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها
انتهى وهذا المذهب اسلم واختار ائمة الخلف التاويل قالوا وهو اعلم اي
احوج الى مزيد علم ومال اليه ابن عبد السلام في بعض فتاويه فقال طريق
التاويل بشرطها اقربهما الى الحق ويعني بشرطها ان تكون على مقتضى لسان
العرب وتوسط ابن دقيق العيد فقال يقبل التاويل اذا كان المعنى الذي
اول به قريبا مفهوما من تخاطب العرب ويتوقف فيه اذا كان بعيدا
وعلى كل حال ففي التفويض السلامة لعسر الوقوف على هذه الشروط وعلى
مذهب الخلف اولوا في الايات الاستوا بالاستيلا ومنه قوله
قد استوى بشر على العراق ⁘ من غير سيف ودم مهراق
والوجه بالذات والعين بالبصر واليد بالقدرة والحديثان من باب التمثيل
المذكور في علم البيان نحو اراك تقدم رجلا وتوخر اخرى يقال للمتردد
في امر تشبيها له بمن يفعل ذلك لاقدامه واحجامه فالمراد من الحديث
الاول والظرف فيه حز كالجار والمجرور ان قلوب العباد كلها بالنسبة
الى قدرته تعالى شيء يسير يصرفه كيف شا كما يقلب الواحد من عباده
اليسير بين اصبعين من اصابعه والمراد من الثاني انه تعالى يقبل
التوبة عن عباده في الليل والنهار الى طلوع الشمس من مغربها فلا يرد
تايبا كما يبسط الواحد من عباده يده للعطا اي للاخذ فلا يرده معطيا
وفصل بعضهم فقال اذا خيف على العامة عدم فهم الاستوى مثلا
اذا لم يكن بمعنى الاستيلا الا بالاتصال ونحوه من لوازم الجسمية فلا

بصرف

بصرف فهمهم الى الاستيلا صيانة لهم عن المحذور فان فقد ثبت اطلاقه
وارادته لغة كالبيت المار وكقول الاخر فلما علونا واستوينا عليهم
جعلناهم مرعى لنسر وطائره والا فالتفويض وقد فرغت مما اختبار
لقولي فكنهه اي المتشابه او حقيقة الباري تعالى وصفاته العلى
عن اي صعب ادراكه على العقول لانه لم يجعل لها اليه سبيل وليكفنا
في صحة الاعتقاد مع ما ندركه بقوتنا بعقولنا ما جاء في التنزيل اي
القران من انه سبحانه لا ند له ولا ضد له ولا شريك له بل ولا مثل له
ولا ظهير له وهذه الالفاظ مترادفة وقيل الند والمثل الشريك في الذات
والضد والشبه الشريك في الصفات والظهير الشريك في الافعال
فهو بمعنى الوزير وقد نفي كلا منها في التنزيل عن ذاته وصفاته فقال
تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون اي وانتم من اهل العلم بانه لا يصح
ذلك ولا يجوز نسبتها معه وقال فلم يكن له شريك في الملك انما هو اله واحد
وما كان معه من اله ليس كمثله شيء وما له فيهما من شرك وما له منهم من
ظهير والحاصل انه تعالى واحد اي يمتنع وجود الهين مستجمعين
شرايط الالهية اذ لو وجد لكان نسبة المقدورات اليهما سوا اذ المقتضي
للقدرة ذاتهما وللمقدورية الامكان وحينئذ يلزم وقوع هذا المقدور
المعين اما بهما وهو باطل لامتناع مقدور بين قادرين واما باحدهما
ويلزم الترجيح بلا مرجح وقد مر تحقيقه بل ولا يحل هو لا ذاته تعالى
ولا صفاته في غيره اما ذاته فلان الحلول هو الحصول تبعا وهو ينافي
الوجوب الذاتي وقد كان ولا غيره اما صفاته فلان الانتقال من
خواص الذوات بل الاجسام اذ المعقود من الحلول انه قيام موجود
بموجود على سبيل التبعية بشرط امتناع قيامه بذاته وهو محال في الواجب
وهو عز وعلا يجل عن ان يقوم حادث بذاته اي تعالى عن ذلك

بمعنى لا يصح ذلك عليه والا لكان ذاته خالية عنه واللازم باطل لان
صفاته صفات كمال فخلوها عنه نقص فسبحان من لا يزال في نعوت
جلاله منزها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن ارادة الاستكمال
او ان يشبه المخلوق في صفاته لان المخلوق محتاج الى الاستكمال بصفاته
وهو في حال خلوه عنها ناقص والباري تعالى منزه عنهما كما مر **او ان**
يرى بغيره يتحد بل لا يتحد اثنان مطلقا ضرورة ان الاختلاف
بين الماهيتين والهويتين اختلاف بالذات فلا يزول وقد بينته عليه
بانهما ان بقيا بعد الاتحاد فهما شيئان لا واحد وهذا ينافي الاتحاد
وان لم يبقيا او احدهما لم يتحد لان المعدوم لا يتحد بالموجود ولا
بالمعدوم بيانه انما نقول اذا عدما ووجد ثالث فليسا بمتحدين
لان المعدوم لا يتحد بالمعدوم وان بقي احدهما وكان الاول والثاني
هو المعدوم لم يتحقق الاتحاد اصلا وان كان المعدوم هو الاول والباقي
هو الثاني فكذلك لان المعدوم لا يتحد بالموجود اذ الفرض ان الاول
لم يصر عين الثاني بل عدم فلم يتصور معنى الاتحاد **كما يقول فريق ملحد**
اي مائل عن الحق زايغ بما يقوله وهو محكي عن النصارى وجمع من المتصوفة
اما النصارى فقالوا اتحدت الاقانيم الثلثة الاب والابن وروح القدس
واتحد ناسوت المسيح واللاهوت وحل الباري في عيسى تعالى الله
عما يقولون علوا كبيرا ويريدون بالاب اقنوم الذات وبالابن اقنوم العلم
وبروح القدس اقنوم الحيوة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم وقيل هم
فرقتان فرقة قالت الاتحاد وهي اليعقوبية المعنية بقوله تعالى لقد كفر
الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وفرقة قالت بالاقانيم الثلاثة وهي
النسطورية والملكانية وهي المعنية بقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلاثة اي احد ثلاثة وما من اله الا اله واحد اي ما في الوجود ذات واجب

مستحق

مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا الله موصوف
بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق ٥ واما
فرقة المتصوفة فقالوا اذا انتهى العارف الى نهاية معارفه انتفت هويته
وصار الموجود هو الله وحده وهذه المرتبة هي الفنا في التوحيد وقالوا
ان الله تعالى يحل في العارفين فان ارادوا بالحلول والاتحاد ما ذكرناه فقد
بان فساده وان ارادوا به غيره فلا بد من تصوره اولا ليتاتى التصديق
به نفيا او اثباتا فانه لا يمكن نفيه او اثباته الا بعد تصور ما هو المراد
وقد اجيب عن فرقة المتصوفة بالنسبة الى الاتحاد بانهم
ارادوا غير ما ذكرتم وهي معان اصطلحوا عليها ولها تعلق باللغة في الجملة
فالسالك الذي يفنى عن محابه بمحاب مولاه وعن مراداته بمرادات مولاه
ويفنى عن حظوظ نفسه هوا فقه مولاه يتحد مراده بمراد مولاه كما يشير
اليه خبر فاذا احببته كنت سمعه الحديث فهذا الاتحاد لا يشك العاقل
في صحة اطلاقه لاطباقهم على ان المتصافيين يصح ان يقال بينهما اتحاد
لاتحاد مراد كل منهما بمراد الاخر فيحب ما يحبه الاخر ويكره ما يكرهه وقد عبر
المحدثون باتحاد المخرج في الحديث والفقهاء باتحاد نوع الماشية والنحاة
باتحاد العامل لفظا ومعنى وكذا الاتحاد في العلم وفي الخبر عن شيء فيكون
المرادان والمعلومان والمذكوران في الخبر واحدا مع تباين الارادتين
والعلمين والخبرين فالمحبة الصادقة تقتضي اتحاد مراد المحب بمراد المحبوب
كقول من قال ٥ انا من اهوى ومن اهوى انا ٥ لان المحبة لما اقتضت
الاتحاد صدقت المشابهة التي يكتفى فيها بمجرد العلاقة فالفى باب المحبة
من الاحيا من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال
امره لا يرى الا الله ويعلم انه ليس في الوجود الا الله وافعاله اثر من
اثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها اي لذلك الاثر بالحقيقة دونه

تعالى وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ثم قال من نظر
الى العالم من حيث انه فعل الله واحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا
الا في الله ولا عارفا الا بالله ولا محبا الا لله وكان هو الموحد الحق الذي
لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه
عبد الله فهذا هو الذي يقال انه فني في التوحيد وانه فني عن نفسه
انتهى ه قال بعضهم وهذه الحالة قد يتفق لمخلوق في مخلوق بان يدهش
به حتى لا يحس بنفسه كما فعل النسوة من تقطيع ايديهن حيث شاهدن
جمال يوسف فكيف من شاهد جلال الله وعظمته وتصريف العالم على حسب
ما اقتضته حكمته وسبقت به مشيئته ومن عبر منهم بالوصول فمراده هذا
المقام ولهذا قال في العوارف من ظن من الوصول غير ما ذكرناه او تخايل
له غير هذا فقد تعرض لمذهب النصارى في اللاهوت والناسوت واشارات
الشيوخ في الاستغراق والفناء كلها عايدة الى تحقيق مقام المحبة باستيلاء
نور اليقين وخلاصة الذكر على القلب وتحقيق حق اليقين بزوال اعوجاج
البقايا انتهى قلت الفناء في التوحيد لا ننكره وانما ننكر اطلاق
الاتحاد والتوجيهات المذكورة لا تنفي انكاره شرعا حذرا من التشبيه
بمقالة النصارى واطلاق الحلول اشد خطا لانهما تصرف في جانب الربوبية
من غير اذن شرعي وان اراد واغير معناهما المذكور فيهما بل اطلاق الحلول
كفر وزندقة وان اريد به ثمرة الكينونة في حديث البخاري كنت سمعه الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي
يمشي عليها الحديث وهي انفعال الاشياء له خرقا للعادة بسبب السر الذي
اودع فيه من الموافقة لمولاه والتقرب اليه بكثرة النوافل فيسمع ما لا يسمع
غيره ويبصر كذلك وان نظر الى شيء نظر رحمة واصلاح اصلحه او عكسه
فعكسه وكذا في البطش والمشي فتنفعل له الاشيا بربه لا به كما تنفعل

لحالتها فينا اراده منها وهذا ما تحصل لي من معنى هذا الحديث الشريف و
ان كان المشايخ قد تكلموا بحسب ما فهموه وفوق كل ذي علم عليم فالاطلاق
على هذا المعنى ايضا لا يجوز خوفا من ذلك المحذور وان قام الدليل القاطع
على فساد القول بالحلول والاتحاد بالذات المقدسة فاطلاقهما لا يخلوا عن
كفر او بدعة والله سبحانه ولي التوفيق والهداية ولما انتهى الكلام في صفات
الاكرام وما يتعلق بها وهي الصفات الثبوتية شرعت في الكلام على صفات
الجلال وهي السلبية فقلت **ليس** هو اي البارئ تعالى **بجوهر** وهو ممكن
لو وجد لم يكن الا في حيز وحيز معناه عند المتكلمين هو الفراغ المتوهم الذي
يشغله الجوهر لانه لو كان جوهرا لكان اما متحركا في حيزه واما ساكنا وهما
حادثان كما عرفت وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وقد علم ايضا والجوهر
يطلق على الجزء الذي لا يتجزأ وهو احقر الاشيا مقدارا فتعالى الله عن ذلك علوا
كبيرا **ولا جسم** والا لكان له جزء ولزم حدوثه ولانه اذا بطل كونه جوهرا
مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم فهو مختص بحيز ومركب من جواهر
فردة لا تتجزأ كما مر مع ما في الجسمية من لوازم تقتضي الحدوث كالهيئة والمقدار
والاجتماع والافتراق وكل منها ينافي الوجوب الذاتي لاقتضائها الاحتياج
واعلم ان الجسم ينقسم الى سطوح وكل سطح الى خطوط وكل خط الى جواهر
فردة فالجوهر جزء من الخط لا يتجزأ ويسمى نقطة ايضا **ولا بعرض** والا لكان
في موضع لان العرض لا يقوم بنفسه فلا يتحقق وجوده الا بما يقومه وهو
الجوهر والجوهر محتاج الى الحيز كما مر فيستحيل وجوده قبله ضرورة استحالة
وجود ما يتوقف وجوده على شيء قبل ذلك الشيء ولان البارئ تعالى موصوف
بالحيوة والعلم والقدرة وغيرها وليس العرض كذلك اذ لا يتعقل هذه الاوصاف
الا لموصوف قايم بنفسه وقد علم مما تقرر ان هذه الثلثة اقسام العالم
اذ هو اما قايم بنفسه او بغيره والثاني العرض والاول يسمى بالعين وهو

محل الثاني المقوم له امامركب وهو الجسم او غير مركب وهو الجوهر وقد
تقيد بالفرد ومنه يؤخذ ان كلا من السطح والخط يسمى جسما ايضا والباري
سبحانه وتعالى يخالفها فهو موجود قايم بنفسه ليس جوهرا ولا عرضا
ولا جسما بل ذاته مخالفة لسائر الذوات فلا يشبه شيئا ولا يشبهه شي
لا اله الا هو كما قال تعالى ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء يناسبه ويزاوجه
والمراد من مثله ذاته المقدسة كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة
في نفيه بطريق الكناية فانه اذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه
عنه اولى وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة والمخالفة بينه وبين سائر
الذوات لذاته المخصوصة تعالى لا لامر زايد كما ذهب اليه الشيخ ومن
وافقه **منزه عن جهة وعن حيز** اي لا يوصف بكونه في حيز والا لزم
قدم الحيز واحتياجه اليه وكان متحركا او ساكنا وقد بينا فسادها **و** عن
جهة والا لكان في حيز وقد ابطلناه لان الجهات الست احياز وهي ايضا
حادثة باحداث الانسان ونحوه مما يمشي على رجلين فان معنى الفوق ما
يحاذي راسه من فوقه والتحت ما يحاذي رجليه وما يمشي على اربع او على بطنه فوقه
ما يحاذي ظهره فقبل خلق العالم لم يكن فوق ولا تحت اذ لم يكن ثم حيوان
فلم يكن راس ولا رجل ولا ظهر مع ان الجهات اعتبارية لا حقيقية فالنملة
اذا مشت على بطن سقف كان الفوق بالنسبة اليها جهة الارض لانها
المحاذية لظهرها ولو كان كل حادث مستديرا كالكرة لم توجد واحدة من
هذه الجهات اذ لا راس ولا رجل ولا يمين ولا شمال ولا ظهر ولا وجه وقد كان
الباري تعالى موجودا في الازل ولم يكن شيء من الموجودات سواه فكان
لا في جهة لثبوت حدوث الجهة واشرت بقولي **والعرش** اي وما تحته
من العوالم وهو مستدرك **من خلقه** وقولي **طالب** حين بعد حين **كذاك
الفرش** وهو جهة التحت بالنسبة الينا الى ان العرش من جملة الحادثات

فلا يصح التعلق بظاهر قوله تعالى الرحمن على العرش استوى لكونه في جهة
لما مر من ابطاله وقد اسلفنا من مذهبي السلف والخلف في هذا ونحوه ما يغني
عن اعادته وسئل مالك عنه فقال الاستوى غير مجهول والكيفية غير
معقول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة وقال للسائل وهو جهم
بن صفوان ما اراك الا ضالا وامر بصفعه وسئل علي رضي الله عنه اين كان
ربنا قبل خلق العرش فقال اين سوال عن المكان وكان الله تعالى ولا مكان ولا
زمان وهو الان كما كان ولعل تقديم الارض على السما في نحو قوله من الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون الايات ونحو فان استطعت ان تبتغي نفقا في
الارض او سلما في السما فتاتيهم باية اشارة الى نفي قولهم جهة العلو وفيما
ذكرناه التنبيه على الجواب عن تمسك القائلين بالجهة والمكان فان
الكرامية يثبتون جهة العلو من غير استقرار على العرش والحشوية وهم
المجسمة يصرحون بالاستقرار على العرش متمسكين بظواهر كالاية وكحديث
الصحيحين ينزل ربنا كل ليلة الحديث واجيب عنه بما مر من الاجوبة التفصيلية
قال بعضهم ويجاب عنه بجواب اجمالي هو كالمقدمة للاجوبة التفصيلية
وهو ان الشرع انما ثبت بالعقل فان ثبوته يتوقف على دلالة المعجزة على صدق
المبلغ وانما تثبت هذه الدلالة بالعقل فلو اتى الشرع بما يكذب العقل وهو
شاهده لبطل الشرع والعقل معا اذا تقرر هذا فنقول كل لفظ ورد في الشرع
مما يسند الى الذات المقدسة او يطلق اسما او صفة لها وهو مخالف
للعقل ويسمى المتشابه لا يخلو اما ان يتواتر او ينقل احادا والاحاد ان كان
نصا لا يحتمل التاويل قطعنا بافتراء ناقله او سهوه او غلطه وان كان ظاهرا
فظاهره غير مراد واما المتواتر فلا يتصور ان يكون نصا لا يحتمل التاويل
بل لا بد وان يكون ظاهرا وحينئذ نقول الاحتمال الذي ينفيه العقل ليس
مرادا منه ثم ان بقي بعد انتفائه احتمال واحد تعين انه المراد بحكم الحال

وان بقي احتمالان فصاعدا فلا يخلو اما ان يدل قاطع على واحد منهما او لا
فان دل حمل عليه وان لم يدل قاطع على التعيين فهل يعين بالنظر والاجتهاد
دفعا للخبط عن العقائد او لا خشية الالحاد في الاسماء والصفات فيه
مذهبا السلف والخلف المارّان انتهى مثاله الاستواء في الاية قد نفى العقل
منه ما يقتضي الاستقرار والمماسة اللذين من لوازم الجسمية وبقي احتمالان
وهما الاستيلاء والقصد كقوله ثم استوى الى السماء بناء على ان حروف الجر
قد ينوب بعضها عن بعض فهل يعين المراد منهما بالنظر او يتوقف خوف
المحذور المذكور فيه المذهبان **وعن اشارة اليه بهنا** التي للمكان
القريب **او بهناك** التي للمتوسط او للبعيد على الخلاف **جل ربي ذو العلى**
بالقصر اي جل وعلا عن ان يشار اليه بما يشار به للقريب او للبعيد
لانهما في جهة وحيز وقد مر بطلانهما في حقه تعالى فان قيل نفي
الجهة مؤد الى محال وهو اثبات موجود يخلو عن الجهات الست ويكون
لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه وذلك محال قلنا
مسلم ان كل موجود يقبل الاتصال بجهة فوجوده لا متصلا ولا منفصلا
محال وان كل موجود يقبل الاختصاص بجهة فوجوده مع خروج الجهات
الست محال فاما موجود لا يقبل الاختصاص بالجهة فخلوه عن طرفي
النقيض غير محال وهو كقول القائل يستحيل موجود لا يكون عاجزا ولا
قادرا ولا عالما ولا جاهلا فان احد المتضادين لا يخلو الشيء عنه فيقال
له ان كان ذلك الشيء قابلا للمتضادين فيستحيل خلوه عنهما وان كان
لا يقبلهما كالجماد الذي لا يقبل واحدا منهما لفقده شرطهما وهو الحيوة
فخلوه عنهما ليس بمحال فكذلك شرط الاتصال والاختصاص بالجهات
التحيز والقيام بالتحيز فاذا فقد هذا لم يستحل الخلو عن متضاداته
فيرجع النظر اذن الى ان موجودا ليس بمتحيز ولا هو في متحيز بل

فاقد

فاقد شرط الاتصال والانفصال هل هو محال او لا فان زعم الخصم انه محال
فقد ابطلناه لانه مهما بان ان كل متحيز حادث وان كل حادث يفتقر
الى فاعل ليس بحادث فقد لزم بالضرورة من هاتين المقدمتين ثبوت
موجود ليس بمتحيز اما الاصلان فقد اثبتناهما واللازم لا سبيل الى جحده
مع الاقرار بهما فان قيل هذا الموجود غير مفهوم لانه غير متصور ولا متخيل
ولا داخل في الوهم قلنا مسلم اذ لا يدخل في الوهم والتصور والخيال
الا جسم له لون وقدر فالمنفك عن اللون والقدر لا يتصوره الخيال فان
الخيال قد انس بالمبصرات فلا يتوهم الشيء الا على وفق ما راه ولا يستطيع
ان يتوهم ما لا يوافقه وان اراد الخصم انه ليس بمعقول اي ليس بمعلوم
بدليل العقل فمردود ولما قدمناه من الدليل على ثبوته اذ لا معنى للمعقول
الا ما اضطر العقل الى الاذعان للتصديق به بموجب الدليل الذي
لا يمكن مخالفته وقد تحقق هذا **ولا يصح** عليه تعالى **الانتقال** لما
يلزمه من الحدوث الا ترى كيف استدل ابراهيم عليه الصلاة والسلام
على المتنقل من مكان الى مكان بانه ليس برب حيث قال لا احب الافلين
لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما افلت قال يا قوم اني
بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات الايات
وفي نحو قوله تعالى وجاء ربك وقوله فاتى الله بنيانهم ونحو حديث
الصحيحين ينزل ربنا كل ليلة وحديث ينزل ربنا ليلة النصف من شعبان
الى سماء الدنيا فيقول هل من تائب فيتاب عليه الحديث المذهبان
فالمفوض يحكيها وينزه عن لوازمها والمؤول يقول جاء ربك اي امره
كما قال في الاية الاخرى ولما جاء امرنا هل ينظرون الا ان تاتيهم الملئكة
او ياتي امر ربك اتى امر الله يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك
فاتى الله بنيانهم اي اهلكهم واستاصلهم فلم يبق منهم نافخ نار ولا ساكن

دار ومثله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا اي حذرهم وقذف في
قلوبهم الرعب والمن ولا في الحديث معنا ما الاطلاع والاقبال على العباد
اي ينظر الى عباده بالرحمة كذا نقل عن علي رضي الله عنه ويحتمل ان
تكونه من باب التمثيل كما في نحو قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه
ولا يصح الكذب عليه تعالى عن ذلك لانه صفة نقص بلا حاجة والنقص
عليه محال ولانه لو كذب لعدم كذبه فامتنع صدقه وهو ضروري البطلان
ولانه يعلم الاشياء على حقايقها فيخبر عنها على ما هي عليه ولا يصح عليه الجهل
لما مر من شمول علمه بجميع المعلومات ولا يصح عليه حزن ولا طرب
لانهما من صفات الاجسام ذوات الامزجة والغضب والضحك الوارد
ان في النصوص على المذهبين والمؤول يقول المراد من الغضب
نهايته وهو الانتقام ومن الضحك لازمه وهو الرضا وهكذا نحو
عجب ربك وما شاكله ولا يصح عليه تعالى النوم ولا الغفلة
بما يلزمهما من النقص لكونهما افتين اذ النوم حال تعرض للحيوان
من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث
تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا فمن لحقه كان ماوف
الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولهذا نفاه عن نفسه تعالى
بقوله لا تاخذه سنة ولا نوم والغفلة عدم الشعور وقدم الله
المقتضى للعلم ذاته وللمعلومية ذوات المعلومات فلا تصح الغفلة
عليه واليه يشير قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
اذ الممكن لا بد له حال بقائه من الاحتياج الى المؤثر كما سياتي في النظم الا
شارة اليه ولولا حفظه تعالى لزالتا كما قال تعالى ولئن زالتا ان امسكهما
من احد من بعده فيلزم من ان ادنى غفلة زوالهما ولهذا روى الحافظ
ابو القسم اسمعيل بن محمد بن ابي الفضل في كتابه الحجة باسناده الى

الطبراني باسناده الى ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى عليه السلام على المنبر قال وقع في نفس
موسى عليه السلام هل ينام الله عز وجل فارسل الله تعالى اليه ملكا فارقه
ثلثا فاعطاه قارورتين في كل يد قارورة وامره ان يحتفظ بهما فجعل
ينام وتكاد يداه تلتقيان فيحبس احداهما عن الاخرى ثم نام نومة فاصطكت
يداه فانكسرت القارورتان فاوحى الله عز وجل اليه يا موسى لو نمت لم
تتمسك السموات والارض انتهى قلت ويتقدير صحة الخبر فلعل الواقع
في نفس موسى خاطر لم يستقر وكان المراد منه تنبيه غيره على ان هذه
الافة لا تجوز على الله تعالى فان موسى لا يجهل هذا والله اعلم ولا يصح عليه تعالى
خلف الوعد قال الله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد ولانه نقص ينافي الالهية
والاله يجب له اعلا الكمالات ولا يصح عليه تحرك كما في الضد وهو السكون
فانه لا يصح عليه ايضا لما مر من انهما حادثان وان ما قام به فهو حادث
لان ما لا يخلو عن الحوادث حادث والباري تعالى قديم فلا يصحان عليه
ولا يصح عليه تبعض ولا تجز اي ليس مركبا من الابعاض والاجزاء
اذ لو كان مركبا من الابعاض والاجزاء لافتقر الى كل واحد من تلك الاجزا
وكل مفتقر الى الغير ممكن وقوله كل شيء هالك الا وجهه ويبقى وجه ربك
وحديث خلق الله ادم بيده فيه المذهبان فالمؤول يقول المراد بالوجه
الذات وباليد القدرة وانما اضاف خلقه الى اليد لتشريفه وزيادة الاعتنا
به كما قال ونفخت فيه من روحي والمفوض يقول نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته
فعن محمد بن الحسن نؤمن بما جاء من عند الله ومن عند رسوله ولا
نشتغل بكيفيته بل نقول هو على ما اراد الله فيما جاء منه وعلى ما اراد رسوله
صلى الله عليه وسلم فيما جاء منه ولا يصح عليه نهاية ولا تحدد
اي لا حد له ولا نهاية وحد الشيء لغة منتهاه واصطلاحا معرف يحتوي

على اجزاء الماهية كقولنا في تعريف الانسان حيوان ناطق وهنا يحتمل
الوجهين بحسب السابق واللاحق وكل منهما عليه تعالى محال كالوجود
مما مر **بل له الولاية** بالفتح النصرة اي لا يقدر عليها غيره كما قال تعالى
ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده
وبالكسر السلطان والملك اي فلا يغلب ولا يمتنع منه وقرئ بهما في السبع
قوله تعالى هنالك الولاية لله والكسر قراءة حمزة والكسائي **و** اجمع السلف
من اهل السنة والجماعة على **انه** سبحانه **يراه في القيمة** قبل دخول الجنة
وبعده **المومنون** دون الكفرين لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون الموافق لعموم لا تدركه الابصار وهذه الروية **لهم** اي للمومنين
كرامة من ربهم بمعنى اكرام واستدل السلف على جواز الروية ووقوعها بالنقل
والعقل اما النقل فايات منها قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة اي وجوه ذات نضرة وهي التهلل والبهاء الى ربها ناظرة اي مستغرقة
في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه فتقديم المعمول على هذا للحصر ادعاء
ويصح كونه لمجرد الاهتمام ومراعاة الفاصلة دون الحصر ويكون المعنى
مكرمة بالنظر الى ربها والنظر اذا عدي بالى فهو للروية وهو مخصص
لعموم لا تدركه الابصار اي لا تراه ابصار الكفار وان فسر الادراك بالاحاطة
او بانه في الدنيا فلا عموم ومنها سوال موسى عليه السلام بقوله رب ارني
انظر اليك اذ لا يجهل ما يستحيل وما يجوز على ربه تعالى وهو نبي مرسل
من اولي العزم قال بعضهم وجعل السوال لتبكيت قومه الذين قالوا
ارنا الله جهرة خطا اذ لو كانت الروية ممتنعة لوجب ان يجهلهم
ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة ولا يتبع
كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها
اشد خطا اذ لا يدل الاخبار عن عدم رويته اياه على ان لا يراه ابدا ولا

ان لا يراه غيره اصلا فضلا من ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة
فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الروية انتهى وفي قوله بحقيقة الروية
اشارة الى ما ستحققه من انها نوع علم الى اخره ومنها تعليق الروية
باستقرار الجبل وهو امر ممكن فالروية ممكنة واحاديث في الصحيحين
عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم تواتر معناها فوجب المصير اليها
لعدم المانع عقلا كما سياتي منها حديث ابي هريرة ان الناس قالوا
يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون
في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه
كذلك الى اخره وفيه ان ذلك قبل دخول الجنة وقوله تضارون بضم
التاء والراء مشددة من الضرار ومخففة من الضير اي الضر اي
يحصل لكم في ذلك ما يشوش عليكم الروية بحيث تشكون فيها كما
يحصل في غير ذلك وفي رواية هل تضامون بالميم مخففة بدل الراء
من الضيم وهو الضير وحديث صهيب في مسلم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى
تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة
وتنجينا من النار فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من
النظر الى ربهم تعالى وفي رواية ثم تلا هذه الاية للذين احسنوا
الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر اليه تعالى ويحصل بان
ينكشف انكشافا تاما **بلا موازاة** اي مقابلة **ولا في جهة**
من الجهات الست لتنزهه كما مر **ولا ارتسام منه في الناصرة** وان
كان بعض المرئيات في الشاهد لا يكون الا كذلك لانه على سبيل الاتفاق
والعادة لا انه لازم عقلي كما سياتي تحقيقه وفي هذا جواب عن قوله

المعتزلة بامتناع رويته تعالى مستدلين بانها في الشاهد لا تكون الا بموازاة الى اخره قلنا عادي ولله تعالى ان يخرق العادة كما ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اني لاراكم من وراء ظهري كما اراكم من بين يدي والحجاب المذكور في الخبر المار ونحوه في حق المخلوق لا في حق الخالق سبحانه فالخلق هم المحجوبون والباري سبحانه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكنه حجب على ابصارهم وبصائرهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء وتحقيق معنى الرؤية انا نتحقق انا اذا نظرنا الى الشمس مثلا فرايناها ثم اغمضنا العين فانا نعلم الشمس عند التغميض علما جليا لكن في الحالة الاولى امر زايد وكذا اذا علمنا شيئا علما تاما جليا ثم رايناه فانا ندرك بالبديهة تفرقة بين الحالتين وهذا الادراك المشتمل على الزيادة نسميه الروية ولا يتعلق في الدنيا الا بمقابلة لما هو في جهة ومكان فهل يصح ان يقع بدون المقابلة والجهة والمكان ليصح تعلقه بذات الله تعالى مع التنزه عن الجهة والمكان فعندنا نعم خرقا للعادة كما قلنا في سماع الكلام النفسي وانما قلنا ذلك لانه قد اخبر الصادق بدليل المعجزة عنها اي عن الروية بما مر من الايات والاحاديث فقيل لعدم ما يمنع من العقل كما سياتي وجهلنا بكنهها اي بحقيقة الروية في الاخرة ليس يخل اي لا يدخل علينا خللا في العقيدة فالايمان بها واجب مع التنزيه عن المحذور الكاين على سبيل الاتفاق والعادة واما العقل فلان الروية نوع كشف وعلم للمدرك يخلقه الله عند مقابلة الحاسة للمرئي بطريق العادة فجاز ان يخلق هذا القدر من العلم بعينه من غير ان ينقص منه قدر من الادراك من غير مقابلة في جهة معها مسافة خاصة ومن غير احاطة بمجموع المرئي كما

اتفق

اتفق للنبي صلى الله عليه وسلم حيث راهم من وراء ظهره فلا مقابلة وكما نرى السماء فلا احاطة ولله ان يخلق في الباصرة ذلك العلم المشتمل على الادراك المذكور من غير جهة ولا احاطة خرقا للعادة فهو على كل شيء قدير واليه اشرت بقولي وليس في اثباتها اي الروية بالمعنى المذكور استحالة حتى يجب تاويل ما ورد منها كما وجب تاويل الاستوا والعين واليد والاصبع والنزول على مذهب الخلف كما مر وكما يرانا هو سبحانه من غير مقابلة من جهة باتفاق منا ومنكم ايها المعتزلة لقوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين الم يعلم بان الله يرى قد نرى تقلب وجهك في السماء انني معكما اسمع وارى الى ما لا يحصى والروية نسبة خاصة بين طرفي راء ومرئي فان فرض ان تلك النسبة يقتضي من جهة العقل كون احد طرفيها في جهة باعتبار تعلقها بان يفرض ان تعلقها لا يصح عقلا الا كذلك اقتضت كون طرفها الاخر في جهة لاشتراكهما في التعلق فاذا ثبت بوفاق الخصمين عدم لزوم ذلك في احدهما لزم في الطرف الاخر مثله لاشتراكهما في التعلق فكان الثابت بمقتضى وفاقهما نقيض ما فرض فثبت انتفاء ما فرض والا فتحكم محض لا يصار اليه فله جهالة فيما صرنا اليه من الايمان بالنصوص وتنزيلها على ما لا يخالف العقل بل هو الواجب على كل منصف فانه تعالى يرانا كما ذكرنا وقد تعالى اي تنزه عن مكان وجهة لما من حدوثهما وتنزهه عنهما واشرت ايضا بقولي والقدرة العظمى لذلك صالحة الى نوع اخر من الاستدلال وهو ان يقال كما جاز ان يعلم سبحانه من غير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك بان ينقل ذلك العلم الى الباصرة مع المزيد المار لما مر من ان الروية نوع علم خاص واما حصول المسافة والمقابلة والاحاطة ببعض المرئيات والصورة في الدنيا فلا

تقاف

كون بعض المرئيات كذلك الا لكونها معلولا عقليا لهذا النوع من العلم
المسماة رؤية لثبوته مع انتفائها في رؤيته تعالى لنا ورؤية النبي
صلى الله عليه وسلم من وراء ظهره والمعلول لا يثبت مع انتفاء علته
والا لم تكن علة له والله سبحانه اعلم خاتمة اختلف المجيزون للرؤية
في الآخرة فقال بعضهم بجوازها في الدنيا ايضا يقظة ومناما اما يقظة
فلسؤال موسى عليه السلام لانه لا يسئل مستحيلا واما مناما فلانه نوع
مشاهدة بالقلب ولا استحالة فيه لانها في الحقيقة رؤيا لا رؤية ومنع
الآخرون لان قوم موسى طلبوها فعوقبوا واجيب بان عقابهم
كان لتعنتهم وطلبهم رؤيته تعالى كرؤية الاجسام في جهة وحيز
كما يرشد اليه قوله تعالى حكاية عنهم ارنا الله جهرة والمنع في المنام لان
المرئي فيه خيال ومثال وهو على القديم محال والمختار قال لا استحالة كما مر
واما الوقوع فيدل على عدمه في اليقظة وهو قول الجمهور قوله تعالى
لا تدركه الابصار وقوله لموسى لن تراني فانهم حملوا الآيتين على عدم
الرؤية في الدنيا جمعا بينهما وبين ادلة الرؤية وروى مسلم في كتاب
الفتن من صحيحه في صفة الدجال حديث لن يرى احد منكم ربه
حتى يموت واختلف الصحابة رضي الله عنهم في وقوعها للنبي صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج سند المنع ما رواه مسلم ايضا عن ابي ذر سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال رأيت نورا وفي
رواية نور اني اراه بتشديد النون الثانية وضمير اراه لله اي حجبني
النور المغشي للبصر عن رؤيته واما وقوعها في المنام فقد ذكر للكثير
من السلف منهم الامام احمد ويروى ايضا عن ابي مجاهد المقرئ انه
رأى الباري تعالى في المنام وانه قرأ عليه ختمتين فلحن في موضعين
فاغتم لذلك فقال له الباري تعالى الكمال لي وعلى ذلك المعبرون

للرؤيا

للرؤيا وبالغ ابن الصلاح في انكاره لما مر من دليل المنع وقد مر جوابه
ايضا **القول في صفات الافعال وشيء من صفات الذات وما
يتعلق بذلك** كالكلام على التوحيد وعلى نبذة من علم التصوف اما
صفات الافعال فكالخلق والرزق اي الترزيق واما المذكور هنا من
صفات الذات فالمشيئة وهي مرادفة للارادة ومنها الامر والنهي على ما سيأتي
لانهما من قبيل صفة الكلام والى المشيئة اشرت بقولي **ما شاءه كان** اي
ما شاء الله كونه كان **وعكسه عدم** وهو ان ما لم يشأه لا يكون فلهذا قلت
فلم تكن ما لم يشأ كما علم قال ابو محمد بن قتيبة اجمع اهل الحديث
على ستة اشياء وهي ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون وعلى انه خالق الخير والشر
وعلى ان القرآن كلام الله غير مخلوق وعلى انه يرى يوم القيمة وعلى تقديم
الشيخين ابي بكر وعمر في الفضل على سائر الصحابة وعلى الايمان بعذاب القبر
لا يختلفون في هذه الاصول ومن فارقهم في شيء منها نابذوه وبدعوه
وهجروه انتهى وتحقيق الكلام في المشيئة ان يقال قد اعترف اكثر العقلاء
ومنهم المعتزلة بان الله تعالى عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات
وبما سيكون من الازل الى الابد والارادة التي هي بمعنى المشيئة من شأنها
تخصيص بعض الكائنات بوقت وجوده كما مر فاعلم انه يكون شيئا كونه
في وقته المخصوص به اذ لو لم يكن انقلب العلم جهلا وهو محال ولو لم
يرده لم يكن وهو محال ايضا لسبق العلم بكونه فالارادة تابعة للعلم كما ان
القدرة انما تؤثر على وفق الارادة **فالكفر والعصيان مخلوقان له**
لانهما من جملة الكائنات المعلومة له **كذا مراد له** لما مر انفا من ان
ما علم وقوعه اراده وانها التخصيص المذكور فيما مر **فدع عنك البله**
وهو التغفل عن الشيء اما لنوع تقليد وتعصب واما لضرب من التقصير
في النظر وكله مما لا يليق بطالب الحق **اذ لا سواه في الوجود يخلق**

لا مضى عند قولنا منفرد بالخلق والابداع من الادلة العقلية والنقلية
ومما يدل عليها قوله تعالى واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم
يخلقون ومن جملة الالهة المتخذة الملائكة وعزير والمسيح وقد اخبر الله
عنهم بانهم لا يخلقون شيئا وجمع العقلاء وضميرهم قرينة قوية على دخولهم
او انهم هم المقصودون بذلك لان الاصنام لا يشك احد في انها لا تخلق
شيئا والكفر والعصيان من جملة افعال العباد المخلوقة له تعالى لما مر
ولقوله تعالى فيها بخصوصها والله خلقكم وما تعملون سواء جعلنا
ما مصدرية ام موصولة وافعالهم ايضا موقوفة على ارادتهم وهي
حادثة فلها مؤثر وهو اما حادث فكان الكلام فيه كما في الاول ويلزم
التسلسل واما قديم ويمتنع ان يكون موجبا والا لقدمت الارادة الحادثة
وهو محال فيجب ان يكون عاقلا مختارا وقد قال تعالى ايضا وما تشاؤون
الا ان يشاء الله فهذا نص جلي على ان مشيئتهم لا تكون الا ان يشاء الله
كونها منهم فان قيل اذا كانت ارادتهم لا تكون الا بعد ارادة الله اياها منهم
فما وجه ما يحكى عن الله تعالى في مناجاة داود عليه السلام انه قال يا داود
تريد واريد ولا يكون الا ما اريد وكذا ما كان يتمثل به الشافعي رضي الله
عنه من قول ابن حازم أسلم ان اراد الله امرا فاترك ما اريد لما يريد وما
لارادتي وجه اذا ما اراد الله لي ما لا اريد فالجواب انه لا شك ان الحوادث
كلها مستندة الى ارادة الله تعالى ومن جملتها ارادة العبد ولكن قد
لا يريد الله تعالى نفاذ ارادة العبد بيانه انه اذا اراد العبد تحريك
شيء اراد الله تمكينه له توش ارادته اي العبد في تمكين ذلك الشيء
ولا في تحريكه وان كانت ارادته بارادة الله تعالى لانه سبحانه انما اراد
من العبد ارادة التحريك لا التحريك نفسه فلا تناقض فان ارادة العبد
التحريك اوقعها الله تعالى في قلب العبد ولم يرد وقوع غايتها وهو

التحريك

التحريك فلا يقع الا مراد الله تعالى وهو التمكين فعلم ان جميع الكائنات
والجزئيات مقدرة باوقات واحوال مخصوصة لا تجوز على المتقدم ان يتاخر
ولا على المتاخر ان يتقدم وهو معنى الارادة فثبت ان ارادته تعالى قديمة
وانه عالم بهذه الاحوال المخصوصة حاصل في الازل معلوم ان الامر الازلي
لا دافع له وكما علم فيما مضى انه سبحانه هو الذي لغة في الذي اي انه الذي
يرزق فلا رازق سواه كما لا خالق سواه لان الرزق من جملة الحادثات
وقد مر دليل استناد جميع الحوادث اليه تعالى فاتل من الدليل النقلي قوله
تعالى ان الله هو الرزاق فان هذا التركيب يدل على حصر الرزق بحيث لا يكون
الا منه تعالى كما يعلم من محله وقالت المعتزلة من حصل الرزق بتعب فهو
الرازق لنفسه او بغير تعب فالله هو الرازق له والرزق ما ينتفع به في التغذي
وغيره ولو حراما وقالت المعتزلة الرزق لا يكون الا حلالا لاستناده الى
الله تعالى في الجملة اي وان حصل بتعب فانه سبحانه هو الخالق لقدرة العبد
والمستند اليه لانتفاع عباده فيصح ان يكون حراما يعاقبون عليه واجيب بانه
لا قبيح بالنسبة اليه تعالى يفعل ما يشاء كما سياتي وقد يقال ليس هذا من محل
النزاع بل هو من محل الوفاق اذ كيف يرزقهم ويامرهم بالانفاق منه بنحو
وانفقوا مما رزقناكم ويعاقبهم على ما امتثلوا فيه الامر فالاولى في الجواب ان
يقال انما عاقبهم على الحرام بسوء مباشرتهم اسبابه والامر انما يتناول الحلال
بدليل من التبعيضية او ما يجب انفاقه من الحرام كالمغصوب اذا جهل
مالكه فانه يجب التصدق به عنه ويلزم المعتزلة ان المتغذي بالحرام فقط
لم يرزقه الله اصلا وهو مخالف لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا
على الله رزقها لانه تعالى لا يترك ما اخبر بانه عليه ثم اتل ايضا من
الدليل النقلي بالنسبة الى الارادة قوله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن
تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وقوله

فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا فهاتان الايتان نص على ارادته تعالى ضلالهم ومن اراد
ضلاله لا يستطيع احد هدايته لقوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد
وقوله فان الله لا يهدي من يضل وقوله افرايت من اتخذ الهه هواه واضله
الله على علم الاية فهذه نصوص لا تحتمل التاويل وقالت المعتزلة ان الله
تعالى اراد ايمان جميع العباد وان لم يقع من جميعهم وهذه النصوص
ترد عليهم وكذا قوله ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها فلو شاء لهداكم
اجمعين وتفسيرهم المشيئة بالقسر والالجاء مردود بقوله ولكن حق
القول مني لانه بهذا الاستدراك ينافي نصهم تفسيرهم بان المراد ولو شئنا
مسئلة الالجاء ويرده ايضا قوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة وكلمهم الموتى
وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشاء الله لان مشافهتهم
والموتى وجميع ما ذكر من الملجيات الى الايمان ومع ذلك فلم تنفع دون
المشيئة وكذا قوله تعالى ان الذين حقت عليهم كلمات ربك لا يومنون
ولو جاءتهم كل اية وهم المعنيون بقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا
من الجن والانس الاية وقوله تعالى وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله
بعد قوله ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا **ومن عري التقليد جد**
اي ملء ايها المصنف من نفسه الطالب للحق المعرض عن مراعاة الخلق
التارك للتقليد والتعصب المؤديين الى ستر الحق والفساد فليس بعد
بيان الله بيان ولا بعد برهانه برهان والعري جمع عروة وهي ما يدخل
فيه غيره للاستمساك ومنه عروة زر القميص والتقليد قبول قول
الغير من غير معرفة حجته ولا عصمته وهو لا يجوز في العمليات **لانها**
اي الارادة **تخصيص بعض طرفي ما هو ممكن** دون الطرف الاخر بوقت
وجوده دون غيره من الاوقات السابقة واللاحقة وقد مرت الاشارة

اليه

اليه **فهل خلف وفي** اي ثم بيننا وبينكم ايها المعتزلة بعد اتفاقنا جميعا على
انه سبحانه عالم بجميع المعلومات من الازل الى الابد وباحوالها وخصوصياتها
فلا تاثير للارادة في الايجاد بل هي في مجرد التخصيص لما علم وقوعه وانما
التاثير في الايجاد لخاصية القدرة لكنها انما تؤثر على وفق الارادة اعني في الوقت
الذي تعلقت الارادة بايجاد ذلك المقدور فيه دون ما قبله وما بعده
والعلم متعلق بهذا كله كذلك فلا ينبغي ان يتحقق خلاف بعد معرفة
حقيقة الارادة ولو اراد الله تعالى ايمان جميع العباد كما يقوله المعتزلة
لوقع منهم لقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فهذا
نص جلي على ان ما اراده تكون لا محالة فعلم منه انه لم يرد ايمان جميعهم
وانما اراد ايمان بعض وكفر البعض الاخر فكان هو الواقع كما اراد سبحانه و
بهذا التقرير يظهر ان قول بعضهم الارادة قسمان ارادة امر وتشريع و
ارادة قضاء وتقدير والاولى انما يتعلق بالطاعة دون المعصية سواء
وقعت ام لا لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر والثانية
شاملة لجميع الكاينات محيطة بجميع الحادثات طاعة ومعصية لقوله تعالى
فمن يرد الله ان يهديه وقوله ان كان الله يريد ان يغويكم فقول من قال
مراد الله من الخلق ما هم عليه صحيح بهذا المعنى دون الاول والحكم يجري
على وفق هاتين الارادتين فمن نظر الى الاعمال بهما كان بصيرا ومن نظر
الى القدر دون الشرع او عكس فهو اعور الى اخره لا يخالف ما قلنا لان
ارادة التشريع هي تخصيص هذا الدين بتخفيفات ليست في غيره وهي
واقعة لا محالة كقوله يريد الله ان يخفف عنكم وقوله والله يريد ان يتوب
عليكم وكلاهما واقع اعني التخفيف والتوبة اما التخفيف فعام واما
التوبة فالمخاطب بها الصحابة وقد تاب عليهم باخراجهم من الكفر الى الايمان
والظاهر من هذا القائل ميله الى قول بعض المعتزلة وهم الجبائية

ان الارادة هي الامر وهو مردود بما قلنا فان قيل اذا كان الله لا يريد الا
الايمان البعض والارادة تابعة للعلم وقد علم من البعض الاخر انه لا يؤمن
وانه لا يريد ايمانه فما فائدة الارسال الى الكل قلنا فائدته الزام الحجة لقوله
تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وحيازة الرسل ثواب التبليغ
مع ان الرسول لا يعلم اعيانهم وايضا فالمقصود بالذات هداية من علم الله
تعالى انه سيهتدي فالرسول سبب من اسباب الهداية ولله الحجة البالغة
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فان قيل اذا علم الله من شخص انه لا يؤمن
ثم امره بالايمان على لسان نبي عصره مثلا فقد كلفه بمحال قلنا التكليف بالمحال
لتعلق العلم بعدم وقوعه جائز واقع اتفاقا وهو المحال عقلا لا عادة كهذه
الصورة واما الخلاف في المحال لذاته وهو الممتنع عقلا وعادة كالجمع بين
النقيضين وفي المحال عادة لا عقلا كالمشي من الزمن والطيران من
الانسان وذلك الجائز الواقع لا يسلب المكلف مكنته واختياره اذ ليس
للعلم تاثير في الايجاد كما في الارادة بل اولى فان الماهر بحساب سير القمر
والشمس اذا علم بحسابه يوم الاثنين مثلا انه سيكون كسوف ليلة الجمعة
او يومها مثلا فوقع الكسوف كما علم بحسابه لا يكون علمه مؤثرا في وقوع
الكسوف وكذا ما يقع على وفق العلم القديم من كسب العبد باختياره
لا يؤثر ذلك العلم في وجوده وغاية ما فيه ان الله تعالى كامل العلم فعلمه محيط
بكل ما سيكون وذلك لا يسلب الفاعلين اختيارهم فلا جبر ولا بطلان
للتكليف كما سياتي تحقيقه ولما كان معنى الارادة والمشية يخالف معنى
الرضى والمحبة اشرت الى ذلك بقولي لكنه اي لكن الله سبحانه وتعالى **لا يرضى
المعاصي ولا يحبها** لقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر والمحبة بمعناه
ومعنى الرضا بانه ترك الاعتراض على فعل المراد فهي اخص من الارادة التي
هي التخصيص كما مر فلا تلازم بينهما اذ الاخص غير الاعم **فلوموا** ايها

المكلف

المكلفون **العاصي على ارتكابها** اي المعاصي **وليس** هو اي المرتكب لها
مجبرا اي مجبورا على فعلها ولا ملجأ اليها كما يقوله الجبرية اي القائلون
بان العبد لا فعل له اصلا وانما هو آلة محضة كالسكين في يد القاطع وانما
الفعل لغيره اي لله وهذا القول باطل لاستلزامه ابطال الشرائع والاحكام
الانبياء وللقطع بالفرق بين حركة الصاعد والمتردي والمشير والمرتعش
فكسبه اي كسب العبد **بعزمه** المصمم الذي هو محل قدرته **منه** اي من
العبد **جرى** اي وقع عقب خلق الله تعالى فيه الميل والداعية والاختيار
ومما يدل على ان الكسب هو العزم المصمم قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو
في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقوله وليس عليكم جناح فيما اخطأتم
به ولكن ما تعمدت قلوبكم فعدم المؤاخذة ورفع الجناح عن اعمال الجوارح
دون القلب يرشد الى ان العمدة في التكليف انما هو فعل القلب ويؤيده
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وحديث مسلم ومن
هم بسيئة ولم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة زاد في رواية انما تركها
من جراي اي من اجلي وهو بفتح الجيم وتشديد الراء فمفهومه انه اذا عزم
وصمم صمم وعرض دون الفعل عارض منعه عن مباشرته يؤاخذ به
وانه اذا فعل انضم الى المؤاخذة بالفعل المؤاخذة بالهم ومن فروع هذه
القاعدة ما اذا رمى مسلم صيدا مثلا فاخطاه واصاب مسلما فلا اثم عليه
لعدم هم القلب وقصده مع تحقق فعل الجارحة فائدة جعل السبكي
ما يجري في النفس ولم يتعلق بالفعل خمس مراتب الاولى الهاجس وهو
ما يلقى فيها الثانية الخاطر وهو ما يجري في النفس بعد القائه فيها
الثالثة حديث النفس وهو التردد هل يفعل او لا الرابعة قصد الفعل
اي بلا عزم مصمم فهذه الاربع لا مؤاخذة بها الخامسة العزم اي
الجزم بقصد الفعل وهو مؤاخذ به عند المحققين خبر الصحيحين

اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول الله
هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وحرصه
عزمه المصمم فمحل التكليف هو العزم المصمم فعلى هذا الباقية زائدة كما في قام
زيد بنفسه واذا عزم عزما مصمما وتوجه للفعل توجها صادقا خلق الله
له الفعل عقب خلق تلك الامور في باطنه وانما يخلقها الله تعالى في باطنه
ليظهر من المكلف ما سبق علمه تعالى بظهوره منه من مخالفة او طاعة
وليس للعلم خاصية التاثير ليكون مجبورا على ما سبق به العلم كما عرفت
ولا خلق هذه الاشيا يوجب اضطراره الى الفعل لانه تعالى اقدره فيما
يختاره ويميل اليه ويكفي في تخصيص النصوص المارة هذا القدر ليصلح التكليف
والثواب والعقاب وينتفي القول بالجبر المفضي الى ابطال الشرايع وافحام
الانبيا والقول بان العبد يخلق فعل نفسه المودي الى رد النصوص النقلية
والادلة العقلية القاطعة باستناد جميع الحوادث الى الفاعل المختار والموجب
لتخصيص عمومات الادلة النقلية بما ذكر دليل العقل وهو ان القول بالعموم
يودي الى الجبر المحض المستلزم لابطال الشرايع كما مر ولا مانع منه من
جهة العقل فان الله تعالى اذا عرف العاقل افعال الخير والشر ثم خلق له
قدرة امكنه بها من الفعل والترك ثم كلفه اتيان الخير ووعده عليه
وترك الشر واوعده عليه بناء على ذلك الاقدار المشار اليه بقوله تعالى
وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وقوله انا هديناه
السبيل اما شاكرا واما كفورا وقوله وهديناه النجدين اي طريقي الخير
والشر لم يوجب ذلك نقصا في الالوهية اذ غايته انه تعالى اقدره على بعض
مقدوراته كما اعلمه بعض معلوماته تفضلا ومنا منه سبحانه فانه بذلك
غير ملجي ولا مقهور بل فعله سبحانه باختياره في قليل لا نسبة له الى
مقدوراته لحكمة صحة التكليف واتجاه الامر والنهي مع انه تعالى لا ينقطع

نسبته

نسبته اليه بالايجاد لان ايجاد المكلف لها انما هو بتمكين الله اياه منها واقداره
عليها وصحة ما ذهبنا اليه تظهر لك بذكر ما في المسئلة من الاقوال على وجه
الاختصار فنقول قال الشيخ افعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله
تعالى وحدها وليس لقدرتهم تاثير فيها بل الله سبحانه اجرى عادته بان
يوجد في العبد قدرة واختيارا فاذا لم يكن هناك مانع اوجد فعله
المقدور مقارنا لهما فيكون فعل العبد مخلوقا لله ابداعا واحداثا ومكسوبا
للعبد والمراد بكسبه اياه مقارنته لقدرته وارادته من غير ان يكون
هناك منه تاثير ومدخل في وجوده سوى كونه محلا له انتهى ولا يخفى ما
يلزمه من الجبر المحض المودي الى المحذور المار ان لم يول قوله وارادته
بعزمه وقد انكر الشيخ ابو العباس بن تيمية الكسب الذي عناه الاشعري
وقال لا حقيقة له واكثر الناس لا يعقل فرقا بين الفعل الذي نفاه عن العبد
والكسب الذي اثبته له بلا حقيقة هذا القول قول الجبرية لان العبد لا
قدرة له ولا فعل ولا كسب وقالوا عجايب الكلام ثلاث طفرة النظام و
احوال ابي هاشم وكسب الاشعري وانشدوا
مما يقال ولا حقيقة عنده معقولة تدنو الى الافهام الكسب عند
الاشعري والحال عند البهشمي وطفرة النظام وقال الاستاذ ابو اسحق
مخالفا للاشعري فعل العبد واقع بمجموع القدرتين قدرة الله تعالى وقدرة
العبد التي خلقها له بان يتعلقا جميعا بالفعل نفسه وجوز اجتماع
موثرين على اثر واحد وقد علمت ما فيه وقال امام الحرمين فيما نقل عنه
كالحكما هو واقع على سبيل الوجوب وامتناع التخلف بقدرة يخلقها الله
في العبد اذا قارنت حصول الشرايط وارتفاع الموانع والذي في الارشاد
ولوامع الادلة لامام الحرمين الجري على قول الاشعري وقالت المعتزلة المؤثر
قدرة العبد فقط بلا ايجاب واضطرار بل باختيار والموجب المتوسط

الذي ذكرناه حوق المحذور اللازم لكل منها وقول الباقلاني هو واقع
بمجموعهما يعني ان قدرة الله تعالى تتعلق باصل الفعل وقدرة العبد
بصفته من كونه طاعة او معصية او غيرهما مما يوصف به افعال العبد كما في
لطم اليتيم تاديبا وايذا فان ذات اللطم واقعة بقدرة الله تعالى وكونه
في الصورة الاولى طاعة وفي الثانية معصية بقدرة العبد وتاثيره انتهى
هو غير ما ذكرناه من ان العزم المصمم والقصد الى الفعل هو محل قدرة
العبد فان كونه طاعة او معصية لا يصح الا بمخصص يكون من العبد
وهو نيته وقصده وللشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح العقايد نحو
مما ذهبنا اليه وهو ان صرف العبد قدرته وارادته الى الفعل كسب وايجاد
الله تعالى الفعل عقب ذلك خلق والمقدور الواحد داخل تحت قدرتين لكن
بجهتين مختلفتين والفعل مقدور الله تعالى بجهة الايجاد ومقدور العبد
بجهة الكسب قال وهذا القدر من المعنى ضروري ولم نقدر على ازيد
من ذلك في تلخيص العبارة المفصحة عن تحقيق كون فعل العبد بخلق الله
وايجاده مع ما للعبد فيه من القدرة والاختيار انتهى وقد فتح الله لنا
باوضح مما ذكره بالاشارة فان قوله صرف العبد قدرته وارادته الى
الفعل كسب هو عين ما ذكرناه بالتصريح من انه عزمه المصمم وقد حقق
ما ذكرناه محقق عصره ابن الهمام في كتاب المسايرة وبينه الشريف في
شرحها بيانا شافيا فلله الحمد والمنة وبما ذكرناه بطل احتجاج كثير من
الفساق بالقضاء والقدر لفسقهم حيث يقولون انه بقضاء الله وقدره
لم يكن بقدرتنا اذ ليس القضا والقدر مما يسلب قدرتهم على العزم عند
خلق الاختيار لهم فيكون حينئذ لا يصح الاحتجاج به من الفاسق على ما اوقع
نفسه فيه من الفسق بل هو الجاني على نفسه بايجاده ذلك العزم عند خلق
الميل والاختيار فان القضا عبارة عن علم الله بالاشيا ازلا والقدر عبارة

عما

عن وجودها في الخارج مفصلة على وفق ذلك العلم اي قدره من غير زيادة
ولا نقص كما يشير اليه قوله تعالى انا كل شي خلقناه بقدر وقوله وكان امر الله
قدرا مقدورا وقوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب
من قبل ان نبراها ان ذلك على الله يسير وقد علمت ان العلم لا تاثير له في الايجاد
فلا حجة للفساق وفيه وقد يرد القضى بمعنى الاعلام نحو وقضينا اليه ذلك
الامر وقضينا الى بني اسرايل في الكتاب وبمعنى الامر نحو وقضى ربك
الا تعبدوا الا اياه والاعلام والامر من صفة الكلام ولا تاثير له في الايجاد ايضا
كالعلم ولا حجة للفساق ايضا في محاجة ادم وموسى وهي في الصحيحين و
غيرهما بالفاظ منها للبخاري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج ادم وموسى
فقال له موسى انت ادم الذي اخرجتك خطيئتك من الجنة فقال له ادم انت
موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه ثم تلومني على امر قد قدر علي
قبل ان اخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى اي ظهر
عليه في المحاجة اذ المراد اتلومني بعد التوبة على امر قد قضي علي قبل ان اخلق
للاجماع على توجه اللوم على المعصية قبل التوبة وعلى انتفائه بعدها فيكون
قول ادم عليه السلام قدر علي الى اخره حكاية للواقع لا احتجاجا بالقدر
لدفع اللوم على المعصية مطلقا هذا ما يقتضيه الدليل لان الاجماع على
توجه اللوم على المعصية قبل التوبة يقتضي الامتناع احد الحديث على ظاهره
من الاحتجاج بالقدر مطلقا والاجماع على انتفاء اللوم بعد التوبة يقتضي
حمل الحديث على ما ذكر وفي رواية لمسلم قال موسى انت ادم الذي خلقك
الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك في جنته
ثم اهبطت الناس بخطيئتك الى الارض فقال ادم انت موسى الذي
اصطفاك الله برسالته وبكلامه واعطاك الالواح فيها تبيان كل شي
وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان اخلق قال باربعين

عاما قال ادم فهل وجدت فيها وعصى ادم ربه فغوى قال نعم قال فتلومني
على ان عملت عملا كتبه الله علي ان اعمله قبل ان يخلقني باربعين سنة انتهى
فهذه الرواية اظهر في صرف تلك الرواية عن ظاهرها لان الكتابة
حادثة وقوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى من صغر الكلام كما علمت
وهي لا تؤثر في الايجاد كما مر فان قيل اذا كانت المعاصي واقعة بقضاء
الله وقدره بتفسيرهما المار وقد تقرر انه يجب الرضا بالقضا اتفاقا
لزم الرضا بالمعاصي وهو باطل اجيب بان الواجب الرضا بالقضى
لا بالمقضي وهو المعاصي كالكفر فلا تلازم بينهما **والكسب في القران**
مربوط به جزاء ذي التكلف ربطا كاينا **نحو كسبه**
اي مشابها كسبه **ان يك** كسبه **خيرا** اي طاعة **فالجزا** له **خير** لقوله
تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها **وان يكن** كسبه **شرا** اي معصية
فذاك اي جزاؤه **ضير** اي شيء يضيره بمعنى يضره لقوله تعالى
ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون
وعملهم هو كسبهم الذي قررناه ويدل له ايضا قوله تعالى لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت وقوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وقوله
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون وقوله ثم قيل
للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون وهو
في القران كثير ولم يرد فيه ولا في السنة الثابتة ان العبد يخلق فعله
نحو بما كنتم تخلقون بل نفى عنه ذلك بقوله هل من خالق غير الله وبقوله
افمن يخلق كمن لا يخلق فلو كان العبد يخلق فعله لما تم هذا الاستدلال
والتمدح من البارئ تعالى فالقول به بدعة لمخالفة القران والسنة
والسلف الصالح بل والادلة العقلية الماضية **والعالم المذكور** وهو الممكن
كائن **في بقائه** اي دوامه **ذو حاجة** الى محدثه **اعني الى بقائه**

اي

اي ابقائه اياه والا لاستغنى لان علة احتياج الممكن في وجوده الى المؤثر
هي الامكان الذي اي الاستوا الطرفين بالنظر الى الذات فيحتاج في
بقائه الى المؤثر لان الامكان لا ينفك عن الاحتياج واليه يرشد قوله
تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وجواب خاطر
موسى عليه الصلاة والسلام المذكور فيما مر **وربنا جل** وعلا **هو**
الغني الذي عن كل شيء لا يحتاج اليه في ذاته ولا في شيء من صفاته
لانه الواجب من جميع جهاته قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله
والله هو الغني **وهو الحميد** اي المحمود المستحق للثنا فانه الموصوف
بكل كمال والمولي لكل نوال وان من شيء الا يسبح بحمده بلسان الحال
والمقال فهو الحميد المطلق وهو الكبير المتعال فالعبد اذا قطع الطمع
عما في ايدي الناس واعرض عن السوال عنهم فالتوقع منهم راسا بحيث لم
يبق له حاجة الا الى الله تعالى فاز بحظ وافر من اسم الغني مع انه على
الاطلاق لا يصدق الا عليه تعالى واذا سعى فيما يقدر عليه من تصحيح
عقايده وتهذيب اخلاقه وتحسين اعماله استضاء بقبس اسم الحميد
ثم انه بعد لم يخل من مذمة خلقية او نقيصة خلقية لا يستطيع التقصي
عنهما وربنا سبحانه هو **الحق** اي الثابت وبازايه الباطل الذي هو المعدوم
والثابت عند التحقيق هو الله سبحانه وتعالى وسائر الموجودات من حيث
انها ممكنة لا وجود لها في حد ذاتها ولا ثبوت لها من قبل انفسها واليه
يشير قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقول لبيد الا كل شيء ما خلا
الله باطل ٭ وابياه عني قائلهم ٭ الله قل ودع الوجود وما حوى ٭
ان كنت ترغب في بلوغ كماله ٭ فالكل دون الله ان حققته ٭
عدم على التفصيل والاجمال ٭ من لا وجود لذاته من ذاته ٭
فوجوده لولاه عين محال ٭ فهو بهذا المعنى من صفات الذات وقيل

معناه المحق اي المظهر للحق والموجد للشيء حسب ما تقتضيه الحكمة
فيكون من صفات الافعال وحظ العبد منه ان يرى الله حقا وما سواه
باطلا في ذاته حقا بايجاده واختراعه وان له حكمة ولطفا في كل ما يوجده
وان خفي علينا كنهه **وهو الولي** اي المحب الناصر وقيل متولي امر
الخلايق وحظ العبد منه ان يحب الله واولياءه ويجتهد في نصره
ونصر اوليائه وقهر اعدائه ويسعى في ترويج حوائج الناس ونظم مصالحهم
حتى يتشرف بهذا الاسم **فليس** ربنا سبحانه **يحتاج الى شيء** لا في ذاته
ولا في شيء من صفاته لما مر من انه الغني على الاطلاق **وقد بان** اي ظهر
بهذا التقرير والايضاح **بانا الفقرا** ابتداء وانتهاء **الى الصمد** اي
الله والصمد السيد سمي الباري تعالى بذلك لانه يصمد اليه في الحوائج
ويقصد اليه في الرغائب ومن كان يقصده الناس فيما يعن لهم من
مهام دينهم ودنياهم فله حظ من هذا الوصف **فلذ به** ايها الطالب
للنجاة والتخلص من محن الدارين اي اعتصم به وتعلق بجنابه تعالى
فقط ودع سواه اي غيره ممن هو محتاج اليه كاحتياجك **فليس يجدي**
اي ينفع **كل ما عداه** سبحانه لان ما عداه مربوب محتاج وان صدر
منه نفع فبتيسيره وتوفيقه وقسره بالقاء الداعية والميل فيه فالله تعالى
هو النافع بالحقيقة ولهذا قيل لا تعدين همتك الى غيره فالكريم لا تتخطاه
الامال ولا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع
غيره ما كان له واضعا من لا يستطيع ان يرفع حاجة عن نفسه فكيف
يستطيع ان يكون لها من غيره رافعا فسبحان من بيده ملكوت كل شيء
لا اله الا هو وحسبنا ما اتى لنا لا يعقل مبالغة في توحيده تعالى بالتصرف
في الامور والتفرد بالمنافع التي لا يكون الا ممن يعلم **هذا** الذي ذكرناه
من الافتقار الى الله تعالى في كل شيء والاعراض عن رجاء النفع من غيره ورؤية

الثبوت

الثبوت الذاتي له دون ما عداه والامر بالتعلق بجنابه والتحصن به في كل حال
لانه الذي بيده ملكوت كل شيء **هو التوحيد** الحق الكائن بلسان الحال واما
التوحيد بلسان العلم وهو اعتقاد انه تعالى واحد فقد مر عند قولنا
فواحد بالعقل والاجماع والواحد الشيء الذي لا ينقسم ولا يكون بينه
وبين غيره شبه بوجه من الوجوه **والتحقيق** المحض اللذان لا يشوبهما
شرك ولا تخليط ولا يحوم حولهما افراط ولا تفريط ومن حصل له منهما
ذرة تاه على الكون بما فيه وباح بما في قلبه بفيه **وغيره** اي وغير الغني
المطلق الولي الحق **وسائط** بصرف للوزن **تسوق** اليك ما قدر لك
على ايديها لا انها هي الفاعلة في الحقيقة فان لاحظتها او شكرتها لكونها
وسائط فلا باس وعليه يحمل خبر لا يشكر الله من لا يشكر الناس ويدل
لما ذكرناه من هذا الاصل وحررناه ما رواه الترمذي عن ابن عباس
وقال حسن صحيح انه قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
فقال يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده
تجاهك اذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان
الامة لو اجتمعت ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله
لك وان اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه
الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف وفي رواية غير الترمذي
احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخا يعرفك في الشدة واعلم
ان ما اخطاك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطيك واعلم ان
النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا تعرف الى
الله في الرخا اي تحبب اليه بلزوم طاعته واجتناب مخالفته وهو معنى
احفظ الله اي يحفظك احفظ حدوده ولا تضيعها يضيعك
وهو العلي فعيل من العلو ومعناه البالغ في علو الرتبة الى حيث

لارتبة الا وهي منحطة عنه وهو من اسماء الاضافة وحظ العبد منه ان
يبذل نفسه في طاعة الله ويبذل جهده في العلم والعمل حتى يعرف حسن
الانس في الكمالات النفسانية والمراتب العلمية والعملية **الحاكم** اي الحكم
الذي لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ومرجع الحكم اما الى القول الفاصل
بين الحق والباطل والبر والفاجر والمبين لكل نفس جزاء ما عملت من خير
وشر واما الى المميز بين الشقي والسعيد بالاثابة والعقاب وحظ العبد
منه ان يستغرض الحكم وينقاد لامره فان من لم يرض بقضائه اختيارا امضي
فيه اجبارا ومن رضي به طايعا عاش سويا عاش راضيا مرضيا **العدل** اي البالغ
في العدل وهو الذي لا يفعل الا ما له فعله مصدر نعت به للمبالغة وحظ
العارف منه ان لا يعترض على الله في تدبيره وحكمه بل يرى الكل منه حقا
وعدلا ويستعمل كل ما منح من الامور الداخلة فيه والخارجة عنه فيما
ينبغي ان يستعمل فيه شرعا وعقلا حتى يندرج تحت مسمى هذا الاسم
القوي اي ذي القوة وهي تطلق على معان مترتبة اقصاها القدرة
التامة البالغة الى الكمال ومرجعه الى الوصف بكمال القدرة **الآمر الناهي**
اي الذي امر المكلفين بعبادته ونهاهم عن معصيته لما في ذلك من
نظم مصالحهم في معاشهم ومعادهم لا النفع يعود عليه منهم
فهل من منتهيا عما نهاه عنه خوفا منه واشفاقا على نفسه ان لم يكن خيا
وتولدت اليا في القافية من اشباع الحركة للوزن **فبان** اي ظهر بهذا
التقرير **ان لا حاكم عليه** اي انه لا حاكم عليه سبحانه لانه الحاكم
العدل وكل كاين تحت قهره وحكمه فهو آمر غير مامور قاهر غير
مقهور حاكم غير محكوم عليه قهر الجبابرة واهلك الفراعنة والاكاسرة
فله الخلق والامر وبيده النفع والضر **وكل امر راجع اليه** خلقا وتدبيرا
وقضاء وتقديرا كما قال تعالى واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه

فان من بيده النفع والضر وله الخلق والامر يجب الخضوع له والرجوع
في كل الامور اليه والثقة بوعده والاقبال عليه **وعنه** اي وعن التوحيد
المشار اليه في مامر بلسان الحال **ينشا** بطرح الهمزة للوزن اي يكون
الصبر وقد مدحه الله تعالى وذكره في اكثر من سبعين موضعا من
القران وهو ينقسم الى اقسام صبر على اداء الطاعة وصبر فيها اي
لا يحمل فيها فياتي بها على غير وجهها لئلا تبطل وهؤلاء يشعر بل
يعتقد انه قد اتى بها وصبر عن المعصية وصبر عن الشهوات
المذمومة والتسلسل في المباحات وصبر على الحوادث السماوية
كالالام والمصايب قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الايات وكفى له شرفا قوله تعالى
ان الله مع الصابرين فهذه المعية حملت العارفين على معانقة الصبر
في جميع الحالات وحقيقته حبس النفس وكفها عن السخط مع وجود
الالم وتمني زوال ما وقع وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع والرضا
انشراح الصدر وسعته بالقضاء وترك تمني الزوال وان وجد الالم الطبيعي
وقد لا يوجد بالكلية لما لاحظه من حكمة من ابتلاه وخيرته لعبده فالصبر
والرضا لا يكونان الا بعد نزول القضاء وعن علي رضي الله عنه الصبر
من الايمان بمنزلة الراس من الجسد وسئل الجنيد عنه فقال تجرع
المرارة من غير تعبيس وقال ذو النون الصبر التباعد عن المخالفات
والسكون عند تجرع غصص البلية واظهار الغنى مع حلول الفقر
بساحات المعيشة وقال ابن عطا الصبر الوقوف مع البلاء بحسن
الادب وهذه رسوم له وردت بحسب حال من صدرت عنه وحقيقته
ما ذكرناه عن التوحيد ايضا ينشا **التجمل** بالجيم والحاء فالجيم
استعمال الحسن للخلق وهو بشاشة الوجه وبذل المعروف وكف الاذى هكذا

نقل تفسيره عن ابن المبارك رضي الله عنه وقد نظمته بيتا فقلت
بشاشة الوجه وكف الاذا ٥ وبذلك المعروف حسن الخلق ٥
وحسن الخلق ملاك هذا الامر ففي الصحيحين ان من خياركم احسنكم اخلاقا
وللبخاري ان من احبكم احسنكم اخلاقا ولابي داود ان المومن ليدرك
بحسن خلقه درجة قايم الليل وصايم النهار ولكن استعمال سايس ما
يومر به نظرا الى حكم الامر وبالحياء تكلف الصبر طمعا في ثوابه و عنه ايضا
ينشا الشكر لله تعالى مراعاة لحق المنعم قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم
وقال واشكروا لي ولا تكفرون وقال ان اشكر لي ولوالديك وقام النبي
صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه في خدمة مولاه بعد نزول
سورة الفتح فقيل لم تتكلف هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا وحقيقته صرف جميع ما انعم
الله به عليك فيما خلق له فالقلب للاعتقاد واللسان للثنا والجوارح
للعمل كالعين للاعتبار والاذن للاتعاظ ونحو ذلك ويقال الشكر
ثلثة اقسام شكر باللسان وهو اعتراف بالنعمة بنعت الاستكانة وشكر
بالبدن والاركان وهو اتصاف بالوفاق والخدمة وشكر بالقلب
وهو اعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة وسئل الجنيد
عنه وهو ابن سبع سنين فقال ان لا يعصى الله بنعمته وقيل هو فقد
الموجود دون المفقود وقيل قال داود عليه السلام الهي كيف
اشكرك وشكري لك نعمة من عندك توجب شكرا فاوحى الله اليه الان
قد شكرتني ولهذا المعنى قال الشافعي رضي الله عنه في بعض خطبه
الحمد لله الذي لا يودى شكر نعمة من نعمه الا بنعمة منه توجب على
مودي ماضي نعمه باداها نعمة حادثة يجب عليه شكرها ولا يبلغ
الواصفون كنه عظمته الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه

م

به خلقه انتهى وعليه انشد محمود الوراق لنفسه
اذا كان شكري نعمة الله نعمة ٥ علي له في مثلها يجب الشكر ٥
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ٥ وان طالت الايام واتصل العمر
وقال ابو عثمان شكر العامة على المطعم والمشرب وشكر الخاصة على ما
يرد على قلوبهم من المعاني و عنه ايضا ينشا الاخلاص بحفظ العمل
وتصحيحه قال الله تعالى الا لله الدين الخالص وقال وما امروا الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين وحقيقته تخليص العمل عن شوايب
الريا وتمحيضه لله تعالى وقال ذو النون ثلثة من علامات الاخلاص
استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الاعمال في الاعمال
واقتضا ثواب العمل في الاخرة وقال ابو عثمان المغربي الاخلاص
ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا اخلاص العوام واخلاص
الخواص ما يجري عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم عنها
بمعزل ولا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد وقال الفضيل ترك العمل
من اجل الناس ريا والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك
الله منهما وينبغي ان تقيد كلامهم برياء غير العارف لقول ابي سعيد
الخراز رياء العارفين افضل من اخلاص المريدين ومنه باظهار
العارف الاعمال الزكية ليقتدى به فيها فهو افضل لتعدي نفعه
وتسميته رياء مجاز لانه خالص لله والتعليم مامور به وهو ايضا
لله ومن الله وفي الله وعليه يحمل ما رواه الترمذي عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله بينا انا في بيتي في مصلاي
اذ دخل علي رجل فاعجبني الحال التي رآني عليها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رحمك الله يا ابا هريرة لك اجران اجر السر واجر
العلانية وهي ارادة التعليم كما ذكرنا و عنه ايضا ينشا التوكل

وفاء بحق الايمان قال الله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال ان الله يحب المتوكلين
وحقيقته الثقة بوعد الله ومحله القلب فلا ينافيه تعاطي
الاسباب مع النظر الى المسبب ففي الترمذي حديث جاء رجل الى
النبي صلى الله عليه وسلم على ناقة فقال يا رسول الله ادعها واتوكل
فقال اعقلها وتوكل وروى الترمذي وابن ماجة خبر لو انكم تتوكلون
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا
فاثبت لها الغدو وهو سبب من الاسباب وقال الله تعالى في اية
الخوف وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ثم قال وخذوا حذركم وظاهر
النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين يوم احد ورسم المشايخ بحسب
ما عن لهم فقال ذو النون علامة المتوكل ثلاث لا يسأل ولا يرد ولا
يحبس وعنه اول مقام في التوكل ان يكون العبد بين يدي الله تعالى
كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء لا يكون له حركة ولا تدبير
وقال حمدون القصار التوكل هو الاعتصام بالله تعالى وقيل لحاتم
الاصم من اين تاكل قال ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين
لا يفقهون وقال ابو تراب النخشبي هو طرح البدن في العبودية
وتعلق القلب بالربوبية والطمانينة الى الكفاية فان اعطي شكر و
ان منع صبر فالتوكل من فروع التوحيد كما ذكرنا فمن علم ان الحق سبحانه
يعلم حاله ويرى ما هو فيه وانه غني كريم بالمؤمنين رؤوف رحيم لا يجوز
عليه الاغفال ولا يصح عليه النسيان تعالى قوي قلبه على التوكل وعن
سهل التوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم والكسب سنته فمن بقي
على حاله فلا يتركن سنته وعنه من طعن في الحركة فقد طعن في السنة
ومن طعن في التوكل فقد طعن في الايمان كذلك ينشا من التوحيد

التفويض

التفويض وفاء بحق العبودية وحياء من منازعة احكام الربوبية فمن
فوض امره الى الله تعالى كفاه ونصره على اعدائه ومن مكرهم وقاه قال
الله تعالى حكاية عن مؤمن ال فرعون وافوض امري الى الله ان الله
بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحقيقته الاكتفاء بعلم الله
وقيل الرضا بحكمه و عنه ايضا ينشا التسليم وهو الرضا بحكمه وقيل الاكتفاء
بعلمه فهو عكس الاول وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول
عند نومه وجهت وجهي اليك واسلمت نفسي اليك وفوضت
امري اليك فالتسليم للنفس والتفويض في الامر فمن سلم نفسه لله
ولم يشغلها بشيء غير طاعة مولاه فقد ادخلها حماه وفاز منه برضاه
ومن رضي بحكمه في جميع التقادير ولم ينازع في التصاريف والتدابير
فقد سلم له حكمته وفوض اليه وحظي بالقرب لديه قال الاستاذ ابو علي
الدقاق كما في الرسالة القشيرية التوكل ثلاث درجات التوكل ثم
التسليم ثم التفويض فالتوكل يسكن الى وعده وصاحب التسليم
يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه فالتوكل بداية والتسليم
واسطة والتفويض نهاية وقال التوكل صفة المؤمنين والتسليم صفة
الاولياء والتفويض صفة الموحدين فالتوكل صفة العوام والتسليم صفة
الخواص والتفويض صفة خاص الخاص وقيل التوكل نفي الشكوك و
التفويض الى ملك الملوك قيل دخل جماعة على الجنيد فقالوا اين نطلب
الرزق فقال ان علمتم اي موضع هو فاطلبوه فقالوا فنسأل الله ذلك
فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه قالوا ندخل البيت فنتوكل قال
التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة و عنه ايضا ينشا العفو وهو
محو الجريمة قال الله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال فمن عفا واصلح
فاجره على الله وقال وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم

فمن نظر الى ان ما علمه الله تعالى بعلمه القديم الازلي من وصول بعض
الالام الى بعض العباد على يد بعض اخر لابد من وقوعه ونظر الى ما
يترتب العفو من الاجر الكبير سارع اليه واقبل بقلبه عليه وانما شرع
القصاص لما فيه من ان العلم لا تاثير له في الايجاد والانتقام والتشفي
لئلا يتسلسل الفساد بين العباد وقمعة للعدوان والاضاف وتتميما
للحجة على اهل البغي والاعتساف **و** عنه ايضا بتشا **التاخير** لما امر الله
بتاخيره **والتقديم** لما امر بتقديمه نظرا الى انه سبحانه انما امر بذلك
لمصالح اقتضتها حكم الربوبية وناسبتها احوال العبودية فمن ذلك
تاخير الجهال عن مناصب الولايات كالامامة العظمى وامامة الصلوات
والقضا والفتوى والتدريس والوعظ وساير امور الديانات وتقديم
العلما العاملين في جميع ذلك لانهم اهل الامانات قال الله تعالى ان الله
يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال تعالى فاسئلوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون وقال هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وقال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومنها تاخير
الفساق عن الولايات والشهادات وتقديم العدول اهل الصيانات
ونحوها اي ونحو ما ذكرنا من الخصال الشريفة والصفات العالية المنيفة
كالخوف لله تعالى حذرا من غضبه واليم عقابه وهو فاتحة الايمان
قال الله تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين وقال واياي فارهبون وهو
تالم القلب بتوقع نزول مكروه او فوات محبوب ثم الخوف مطلقا منه
ما يراد لذاته لانه من الايمان وهو الحامل على مطالعة صفاته تعالى الصادر
عنها نحو الاستقلال وسبق سابقته فكيف يهمل عصى ويتضع نحو المدل
بعلمه ومنه ما يراد لغيره وهو خوف سلب النعم او نزول النقم المترتبة
على الجنايات فاله وليحمل على الادب وديم المنة لله تعالى والثاني يحث

على الكف عن الجنايات ورسمه المشايخ بحسب احوالهم فعن ابي حفص
الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه وعنه الخوف سراج القلب
به يبصر ما فيه من الخير والشر وعن بشر الحافي الخوف ملك لا يسكن
الا في قلب متق وعن ابن المبارك الذي يهيج الخوف حتى يسكن في القلب
دوام المراقبة في السر والعلانية وقال الدقاق الخوف من شرط الايمان
وقضيته قال الله تعالى وخافون ان كنتم مومنين والخشية من شرط
العلم قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما والهيبة من شرط
المعرفة وقال الله تعالى ويحذركم الله نفسه وروى البخاري خبر والذي
نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد احمد وابن
ماجه والترمذي وصححه وما تلذذتم بالنسا على الفرش ولخرجتم الى
الصعدات تجارون الى الله تعالى قال ابو ذر راويه كنت ياليتني كنت
شجرة تعضد **و** **كالمراقبة** قال الله تعالى وكان الله على كل شي رقيبا
الحافظ للشي المطلع عليه وهي مفاعلة فاطلاع الله على عبده وحفظه
ما يصدر منه معلوم ومراقبة العبد علمه باطلاع الحق سبحانه عليه
واستدامته لهذا العلم هي مراقبته لربه قال الاستاذ ابو القسم القشيري
وهذا اصل كل خير له ولا يكاد يصل الى هذه الرتبة الا بعد فراغه
من المحاسبة فاذا حاسب نفسه على ما سلف واصلح حاله في الوقت
ولازم طريق الحق واحسن بينه وبين الله تعالى مراعاة القلب
وحفظ مع الله الانفاس راقب الله تعالى في عموم احواله فيعلم
انه سبحانه عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم احواله ويرى افعاله ويسمع
اقواله ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة
فكيف عن حقايق القربة وروسموها بحسب ذوقهم فعن ذي النون
المراقبة ايثار ما امر الله وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله

تعالى وعن المرتعش المراقبة مراعاة السر لملاحظة الغيب مع كل لحظة
ولفظة وعن الاستاذ ابي علي الدقاق انه قال كان لبعض الامراء وزير
فكان بين يديه يوما فالتفت الى بعض الغلمان الذين كانوا وقوفا
لا لريبة ولكن لحركة او صوت احس منهم فاتفق ان ذلك الامير نظر
الى هذا الوزير في تلك الحالة فخاف الوزير ان يتوهم انه نظر اليهم
لريبة فجعل ينظر اليه كذلك فبعد ذلك اليوم كان هذا الوزير
يدخل على الامير ابدا وهو ينظر الى جانب حتى توهم الامير ان ذلك
خلقة وحول فيه فهذه مراقبة مخلوق لمخلوق فكيف مراقبة العبد
لمولاه الذي يعلم سره ونجواه و كالعدل وهو ان لا يفعل الا ما
يجوز له فعله والاحسان اي احسان الطاعة وتكميلها بشروطها
وادابها قال الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وهو اما
بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل واما بحسب الكيفية كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل وهو في الصحيح الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهذا من باب
التعبير عن المسبب بالسبب فان اعتقاد روية الحق تعالى لاعمال
العبد سبب لاحسانها وهو الاتيان بها حسنة اي كاملة ولهذا
قال بعضهم اعتقاد روية الباري تعالى للافعال واطلاعه على الاحوال
مراقبة فعنها يكون الاحسان وقال بعضهم العدل هو التوسط
في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك
وقولا كالقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر وعملا كالتعبد
باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود
المتوسط بين البخل والتبذير [illegible] وكالشجاعة المتوسطة
بين الجبن والتهور والحيا المتوسط بين الخجل والوقاحة ونحوها

في

وفي الحديث خير الامور اوسطها ولهذا جاء في الحديث الصحيح الفردوس
اوسط الجنة اي افضلها وكانت هذه الامة امة وسطا اي خيارا
و كالمحاسبة وهي مفاعلة من الحساب والمراد منها محاسبة
العبد نفسه واما محاسبة الله اياه فمعلومة ثابتة في الكتاب والسنة
قال الله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا
يسيرا وفي الصحيحين حديث يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير
حساب ومنهما حديث ليس احد يحاسب يوم القيمة الا هلك قالت
عايشة اوليس يقول الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما ذلك العرض ولكن من نوقش في الحساب
يهلك واما محاسبة العبد نفسه فتفقد ما مضى وما يستقبل
وتجب اجماعا وتحقق بمعرفة النعم وبذنوبك وسوء الظن بالنفس
وثمرتها الاعتصام وهو التمسك بالكتاب والسنة وحفظ الحدود
واجبها ومندوبها والاعتصام به تعالى افراده بالاعتماد والقصد
والانقطاع عن الخلق فضلا لا كبرا وبذل مقدوره من خير بسطا لهم
لا رياء ورفض شواغله عن ما تمسكا بالعروة الوثقى والعلم الحامل
على المحاسبة الايمان بمحاسبة الله تعالى في القيمة واول مقامات
الخاصة الحيا وهو اطراق عين القلب خجلا منه تعالى للعلم باطلاعه
على تقصير العبد في حقوق ربه تعالى والواجب منه ما بعث على
ترك المحذور وفعل المامور وبعد صلوة الصبح يقول لنفسه
بضاعتي العمر وبفنائه يقع ياسي من بضاعتي وربحي فافرضي
كانك قد رددت بعد الموت فاجتهدي فيما بقي وكل نفس جوهرة
وتعرض عليه تعالى فان كان طاعة فنعيم او غفلة فخسران او
معصية فهلاك ولو عفا ربك فانك ثواب المحسنين فاغتنمي يومك

تسلمي وتغنمي ثم نوصها ببصره وسمعه ونطقه وبطنه وفرجه ويديه ورجليه
ويراعي كل عضو باحسن ما خلق له فتغلق عنه ابواب جهنم السبعة
بطاعة اعضائه السبعة وهي لا تصلح الا بصلاح القلب وصلاحه
بالورع والزهد والمجاهدة وروى احمد والترمذي وابن ماجة
والحاكم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله الاماني ه الكيس الكامل الظريف من
الكيس وهو العقل ودان نفسه حاسبها والعاجز الاحمق المتعهد
على الاماني الفارغة **تكملة** لما بينا في الترجمة المارة ان الله سبحانه
هو الحاكم على من عداه بينا في هذه انه تعالى لا يجب عليه شيء واليه
اشرت بقولي **واللطف** اي بالعباد **كالاصلح** اي كفعل الاصلح لهم
غير واجب عليه سبحانه اذ لو وجب عليه شيء لكان بحكم الحاكم
او لابد للوجوب من موجب واللازم باطل لما مر من انه سبحانه
هو الحاكم والقاهر والآمر ولا يجري عليه حكم حاكم ولا يتوجه اليه امر
آمر واوجب المعتزلة عليه سبحانه خمسة امور اللطف والاصلح
والعوض على الالام والثواب على الطاعة والعقاب على الكبائر لمن
مات قبل التوبة وفسروا اللطف بانه ما يختار عنده المكلف الطاعة
فعلا وتركا فان اوجب الفعل سمي توفيقا او الترك سمي عصمة
فان قرب الى احدهما يسمى لطفا مقربا ورد بان الايجاب و
التقريب يمكن ابتداء فخلق الواسطة عبث وهو عليه تعالى محال
وفيه نظر والحق ان لله لطفا لو فعل بالكفار لامنوا ولكن لا يفعل
عادة وهو في فعله متفضل وفي تركه عادل يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد وعرفه المعتزلة اصحابنا بانه ما يقع عنده صلاح العبد
آخره اي صلاح آخرته بان تقع منه الطاعة دون المعصية واما

وجوب

وجوب فعل الاصلح للعباد ترد بخلق الكافر الفقير ولا سيما اذا انضم
الى فقره عاهة كجذام او برص فان الاصلح له ان لا يخلق لئلا يكون
معذبا في الدارين **وكالتعويض بالمناسب على الذين يبلون من
الالام** فانه ايضا لا يجب عليه سبحانه كما زعمت المعتزلة من ان الالم
ان وقع جزاء السيئة لم يجب على الله تعالى عوض والا فان كان الالم
من الله وجب العوض وان كان من مكلف آخر فان كان له حسنات
اخذ منها واعطي المجني عليه والا وجب على الله اما صرف المولم
عن ايلامه او تعويضه من عنده بما يوازيه واحتجوا بانه لو وقع
من غير جرم سابق او عوض لاحق لكان ظلما وهو على الله تعالى
محال لتنزيهه عنه واجيب بان الظلم التصرف في ملك الغير
وهو في حقه تعالى محال فانه لا يخرج عن ملكه شيء حتى يكون تصرفه
فيه ظلما كما يلوح به قوله تعالى قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان
يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ويدل ايضا على
جواز الايلام من غير جرم ولا عوض وقوعه كما يشاهد من انواع
البلايا بالحيوان من الذبح والعقر والحرث وجر الاثقال وحملها وغير
ذلك ولم يتقدم لها جرم فان قالوا انها تحشر وتجازى اما في الموقف
واما في الجنة بان تدخلها في صورة حسنة يلتذ برؤيتها اهل الجنة
فتنال نعيم الجنة في مقابلة ما نالها من الالام او تدخل جنة تخصها
اجيبوا بان العقل لا يوجبه وان جوزه ولم يرد به سمع لم يجز الجزم به
قيل وما ورد من الاقتصاص للشاة الجماء من الشاة القرناء ونحوه فآحاد
لا يفيد القطع في مثل ذلك وان جوزه العقل قلت وفيه نظر
بالنسبة الى الاقتصاص بعضها من بعض لان الحديث صحيح رواه
مسلم بلفظ لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاه

الجلحاء من الشاة القرناء رواه احمد في مسنده باسناد رواته رواة الصحيح
بلفظ يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجماء من القرناء وحتى للذرة
من الذرة والحشر للبهائم مقطوع به في قوله تعالى وما من دابة في
الارض الى قوله ثم الى ربهم يحشرون فاذا ثبت الحشر بالقاطع والقصاص
بالاحاد الصحيحة والعقل يجوزه فلا وجه لرده الا انه نقل عن ابن عباس
ان المراد بالحشر ههنا الموت فان صح عنه وكان كذلك في نفس الامر
فقد يمنع النظر واما بالنسبة الى العوض على الذبح وانواع الالام المأذون
فيها شرعا كالجر والحمل فلم يرد فيه شيء والاصل عدمه فلا يجوز الجزم
باعتقاده بلا موجب والله اعلم **كذا عقابه** تعالى **على الاثام** اي
على ارتكاب الكبائر لمن مات قبل التوبة فانه غير واجب عليه سبحانه
لان العقاب حقه فله اسقاطه بل يحسن اذ ليس في استيفائه نفع
ولا في اسقاطه ضرر لاستغنائه عن احتياج النفع وتنزهه عن
لحاق الضرر بل العقل يجوز العفو عن الكفر لولا ورود السمع بمنعه
لما ذكرناه من الدليل واليه يشير قول ابراهيم عليه السلام فيما حكاه
الله تعالى عنه رب انهن يعني الاصنام اضللن كثيرا من الناس فمن
تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقوله في حق ابيه واغفر
لابي انه كان من الضالين فانه جوز غفران الشرك فلما ورد السمع
بمنعه ترك ذلك وكذا قوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى الاية لان التبين بكونهم من
اصحاب الجحيم انما عرف من السمع وكذا عيسى عليه السلام جوز
غفرانه عقلا حيث قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم
الاية وقالت المعتزلة والحنفية لا يجوز العفو عقلا مطلقا لانه
اغراء بالكفر والمعاصي ورد بان مجرد احتمال العقوبة يصلح زاجرا

للعاقل عن ارتكاب الباطل فكيف مع الايات القاطعة واحاديث الوعيد
الصحيحة الشائعة بوقوع العذاب لا محالة كقوله تعالى في جانب الكفر
ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية وفي جانب ما دونه ليس بامانيكم
ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ونحوهما من الايات واما
الاحاديث فكثيرة جدا بل تواتر معناها في وعيد اهل الكبائر ووقوع
العذاب بهم لا محالة كما سياتي في احاديث الشفاعة باخراجهم من النار
كذلك الثواب للمطيع فانه لا يجب على الله تعالى لان الطاعات
وان بلغت اقصى الغايات لا تكافي النعم السابقة فكيف اقتضت
جزاء ومكافاة ولو شئت فتامل نعم الله عليك اذ كنت معدوما محضا
فاوجدك الله تعالى ثم اعطاك الصورة الحسنة في الظاهر والعقل
الذي هو اشرف الصفات في الباطن وشق سمعك وبصرك وهداك
الى معرفته وعرضك للثواب واثنى عليك في كتابه الكريم انك اذا حركت
لسانك وقلت الحمد لله رب العالمين واعتقدت ان تحريك اللسان
بهذه الكلمات يفي بشكر هذه النعم فانت عن العقل بمعزل ومن
منهج الصواب على الف منزل واسمع قوله تعالى يا ايها الناس
اعبدوا ربكم الذي خلقكم فانه علق وجوب العبادة على مجرد
الخلق فضلا عن النعم الطارية فالعابد في الحقيقة كاجير اخذ
جعله قبل العمل فعمله لاحق في مقابلة جعله السابق **فامنع من**
الوجوب في الجميع اي في جميع الامور الخمسة على ما بيناه **بل ان اثاب**
اي الله سبحانه الطائع **فبفضله** ومنته **وان عاقب العاصي ايضا**
فعدل منه لما قدمنا من جريمته **وقمن** اي وحقيق العاصي
بالعقاب لتهجمه على مخالفة مولاه وعدم رجوعه بالتوبة المؤدية
لجنته ورضاه ويجوز في قمن فتح الميم وكسره والكسر هنا اولى

وفي الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن يدخل الجنة احدا
منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله
برحمته وفي رواية للبخاري والله لا ادري وانا رسول الله ما يفعل
بي ولا بكم وهو موافق لقوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل
الاية وهذا فيما لم يوح اليه فيه شيء واما علم عن الله فانه يدري
عاقبته ولهذا بشر اصحابه العشرة واهل بدر واحد والحديبية
بالجنة كما سياتي وتحقيق هذا الاصل ان العبد مخير مستطيع فاذا
وجد منه الجهل والسهو والتسبب في المعصية خذله الله تعالى مع
نيته وقصده المصمم الذي هو محل قدرته على ما مر فيستحق العقوبة
على فعله فعقابه عدل واذا نوى الطاعة واكتسبها يجري عون
الله وتوفيقه مع فعله تفضلا ورحمة ولو لم يوفقه لما قدر على ذلك
بل النية ايضا والميل اليها بتوفيقه فالثواب بفضله لا باستحقاقه
مع ما عليه من النعم التي لا تفي طاعته ببعضها كما مر فائدة
التوفيق عند اصحابنا خلق القدرة والداعية الى الطاعة وقال
امام الحرمين هو خلق الطاعة اذ لا تاثير للقدرة والتوفيق لغة
معناه تحصيل الموافقة وخلق القدرة الحادثة على الطاعة تحصلها
والخذلان ضد التوفيق فهو خلق القدرة على المعصية والداعية
اليها وخلق المعصية اي مع عزمه المصمم تنبيه جوزت
الاشاعرة عقلا تعذيب المطيع واثابة العاصي قالوا ولا يكون ذلك
ظلما لاستحالة الظلم في حقه تعالى لانه يتصرف في ملكه والظلم هو
التصرف في ملك الغير عدوانا كما مر تقريره ومنع المعتزلة والحنفية
ذلك عقلا اما المعتزلة قالوا يجب عليه ترك تعذيب المحسن والحنفية
قالوا انه يتعالى عن ذلك لانه غير لايق بحكمته فهو من باب التنزيهات

اذ

اذ التسوية بين المسيء والمحسن الذي استغرق عمره في طاعة مولاه طالبا
لرضاه ومخالفا لنفسه وهواه غير لايق بالحكمة في نظر العقول
السليمة وقد نص الله تعالى على قبحه حيث قال ام حسب الذين اجترحوا
السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم
ومماتهم ساء ما يحكمون وهذا التجويز وعدمه انما هو تجويز عقلي
واما الوقوع فمقطوع بعدمه وفاقا عند الاشاعرة قالوا للوعد
بخلافه وهو ما وعد به سبحانه في كتبه وعلى السنة رسله من اثابة المطيع
وعند المعتزلة والحنفية لذلك ولقبح خلافه وقالوا ليس هذا من
محل الخلاف في الحسن والقبح العقليين بل هو من محل الوفاق لانه
من باب التنزيهات لما مر من انه غير لايق بالحكمة كالكذب وخلف
الوعد قال بعضهم ابن الهمام وكثيرا ما ينذهل اكابر الاشاعرة عن محل
النزاع في مسئلتي التحسين والتقبيح العقليين لكثرة ما يشعرون
النفس ان لا حكم للعقل بحسن ولا قبح فلذلك ذهب عن خاطرهم محل
الاتفاق وهو الحسن بمعنى صفة الكمال والقبح بمعنى صفة النقص و
سياتي له زيادة تحقيق وفي قولي بل ان اثابة السنة تخلص عما يلزم
من البشاعة عند التصريح بان له تعذيب المطيع لان بين التعذيب
والاثابة واسطة وهي تركهما لولا ورود السمع وذلك الترك موافق
لما مر من ان العابد كاجير اخذ جعله قبل العمل فلا يستحق ثوابا اي
ولا عقابا بالعدم مقتضيهما **لا قبح بل لا ظلم في افعاله** سبحانه وتعالى
عن ذلك علوا كبيرا بل جميع افعاله حسنة لانه الحكم العدل مالك الملك
له الخلق والامر يفعل ما يشاء واليه يرجع الامر كله لكمال علمه وحكمته
ونفاذ قدرته ومشيئته كما قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار
ما كان لهم الخيرة اذ ليس للعباد ان يختاروا لهم ويعارضوا حكمه

وحكمة لنقصهم وقصورهم ولان الظلم وضع الشي في غير موضعه
والتصرف في ملك الغير بغير اذنه وجميع العالم علويه وسفليه
جواهره واعراضه ملكه اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وابدعه
بحكمته ابداعا فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان وهو مع
ذلك حكيم عليم بوضع الاشيا في مواضعها غني على الاطلاق فلا يكون
تصرفه في شي منه ظلما وفي الحديث القدسي الذي رواه مسلم في
صحيحه يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا
تظالموا اي تقدست عنه لان الظلم في حقه مستحيل اذ هو مجاوزة
الحد او التصرف في غير ملك وكل منهما مستحيل في حقه تعالى لا
جور في احكامه وقاله بل احكامه تعالى في غاية العدل والحسن
اذ هي مبنية على جلب مصالح العباد ودرء الاضرار عنهم والفساد و
اقواله تبارك وتعالى وكلماته التامات اي اعلى رتب البلاغة وابهى
الحكم النيرات وقال في البيت مصدر كالقول والقيل يحكم ما يريده
ويفعل سبحانه الذي يشا لا يسئل لما مر من انه الحكيم العدل فلا
يفعل الا ما اقتضته حكمته وسبقت به مشيئته كما قال تعالى لا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون لانهم مربوبون ويتصور ان يفعلوا ما
يقتضي السوال وللاعلا ان يعترض على الادنا على فعله في العكس
فهو الرب القاهر الحكيم العليم فلا يتوجه اليه سوال ولا اعتراض على
ما يصدر عنه من الافعال لانه الملك الحق الكبير المتعال وفي البيت
اقتباس القول في انه سبحانه لا غرض له في فعله وفي نفي
الحسن والقبح المقتضيين للثواب والعقاب عقلا اما كونه
لا غرض له في فعله فلان الغرض الامر بفايدة ترجع الفاعل يقتضي
استكمال الفاعل بذلك الغرض لان حصوله للفاعل اولى من عدمه فيكون

باهما

45

ناقصا لذاته مستكملا بغيره وهو عليه محال واليه يشير قوله تعالى
وان الله لغني عن العالمين وان فسر بفايدة ترجع الى غيره تعالى كما نقل
عن الفقها ان افعاله تعالى لمصالح ترجع الى العباد تفضلا منه تعالى
فقد تنفي ايضا ارادته من الفعل نظرا الى تفسير الغرض بالعلة الغائية
التي تحمل الفاعل على الفعل لانه يقتضي ان يكون حصوله بالنسبة
اليه تعالى اولى من لا حصوله فيلزم الاستكمال المحذور وقد تجوز
ارادته من الفعل نظرا الى انه منفعة مترتبة على الفعل لا علة غائية
حاملة على الفعل حتى يلزم الاستكمال المحذور واما الحسن والقبح
المقتضيان لما ذكر فسياتي بيانهما وانهما محل النزاع بيننا وبين المخالفين
واما كونهما بمعنى صفة الكمال والنقص كحسن العلم والعدل وقبح الظلم
والجهل وبمعنى ملائمة الغرض وعدمها كقتل زيد بالنسبة الى اعدائه
واوليائه وكذا ملائمة الطبع ومنافرته كحسن الحلو وقبح المر فعقليان
اتفاقا اي يستقل العقل بادراك ذلك اي حسن العلم والعدل
وقبح الظلم والجهل وملائمة ما ذكر لما ذكر وعدمها والى معنى ما ذكرت
في الترجمة اشرت بقولي كما له سبحانه نزهه عن غرض لما مر من
ان الغرض من جملة الحوادث التي لا يصح قيامها بذاته فما له في
فعله من غرض لما مر من لزوم الحدث وان فسر الغرض بما ذكر انفا
داعي اي الا دعلقه للعالم كمال الحكمة واصل الحكمة المنع ومنه الحكمة
لانها تمنع الفرس وعنوها عن التمرد ومنه الحكمة لانها تمنع الرجل عن
السفاهة وتعاطي ما لا يليق به ومنه الحكم لانه يمنع الخصمين عن
التعدي ووصف الله تعالى نفسه بالحكمة في غير اية ومدح سبحانه
من اتصف بها بعد امتنانه عليه حيث قال تؤتي الحكمة من تشاء
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وهذه الحكمة في الاصطلاح

هي اتقان العلم والعمل والخلق بمعنى التقدير او الايجاد قال الشارح
ومعنى رعاية الحكمة في خلق الاشيا خلقها بحيث يتضمن المصالح
دينيه والدنيويه قال الله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم
الينا لا ترجعون وقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
باطلا وان شيت فتامل في خلق الانسان فانه تعالى لما اراد ان
يخلقه عاقلا فهما متحملا لامانة الله تعالى مخاطبا مكلفا قدر تركيب
ذاته بمقدار مخصوص وصفات مخصوصة وتاليف اعضائه
على وجه مخصوص مطابق للمصلحة والحكمة على ما تشتمل عليه كتب
التشريح ثم ابدع مادة عنها يتكون بدن الانسان وهي الاركان
ثم افاض عليها صورة يتكون منها بدن الانسان وهي الامزجة
والقوي والتركيبات فسبحانه من خالق قدر كل شي في علمه
بالمقدار النافع المطابق للمصلحة وبارئ ابدع الاشيا واخرجها
من العدم الى الوجود ومصور احدث امزجة والقوي والتركيب
ولو تاملت في كيفية تركيباتها وتاليفاتها لوقعت في بحر لا ساحل
له فاذا عرفت هذا فاعرف مثله في جميع الاجسام العلوية
من الكواكب والافلاك والاجسام السفلية من العناصر والمعادن
والنبات والحيوان وقوله كال الحكم ليس المراد به انه لا يمكن في
مقدورات الله تعالى ما هو اكمل منه وابدع لما سياتي من ان
مقدوراته تعالى لا يتناهى بل المراد انه كان بحسب ما نشاهده
بابصارنا وبصايرنا وتدركه عقولنا وتصل اليه افهامنا حتى
تقضي بانه غاية الاحسان والكمال عندها وامانه لا يمكن احسن منه
فلا اذ هو قولنا الله سفه وسياتي تزييفه وما ذكر من ان الغزالي
احتج اليه في بعض كتب الاحيا كتاب التوكل وانه وافق الفلاسفة

في ذلك

في ذلك ذهولا عن ابتنائه على اصل يفهم لانه قد ذكر في عقيدة اهل
السنة والجماعة من كتاب الاحيا، وفي غيرها منه ومن غيره خلاف
ما ذهبوا اليه فقد اجاب عنه بعضهم فقال مراد الغزالي بقوله ليس
في الامكان ابدع مما كان انه ليس في الامكان الذي اتصفت به الممكنات
ابدع مما كان لسبقه التقدير الالهي بخلق الاشيا على وفق قضية حكمته
في الاتقان والاحكام لان العقل لا يعلم هذا الوجه بعد نقصا تنزه
الباري عنه وجل عنه اي فهو من باب التنزيهات قال وليس مراد
الغزالي ما فهمه من اعترض عليه انه ليس في القدرة اي اكمل مما
كان وانما مراده ما ذكرناه وامره للمكلفين من عباده بما فيه صلاحهم
ونهيهم عما يبعدهم من رحمته تفضل منه سبحانه عليهم
ورحمة بهم لان تكليفهم مما يعرضهم لثوابه ويحوشهم الى بابه ويطهرهم
من الاخلاق الردية ويفضي بهم الى النعم الابدية والحبور السرمدية
والرحمة على ما مر من القولين وكان الباري تعالى رحمانا رحيما في
الازل لان ارادته ازلية اي اراد في الازل ان ينعم على عباده المومنين
فيما لا يزال وعلى ما ذكر في من صفات الافعال لا انه خلق الخلق
وامر المكلفين بطاعته ونهاهم عن معصيته للوجوب عليه جل عنه
وعلا علوا كبيرا لما مر من انه سبحانه لا يجب عليه شي وعن المعتزلة
يجب عليه سبحانه ابتدا الخلق وتكليف العباد بنا منهم على انه
الاصلح وانه واجب وقد علم فساده فليس للعقل وهو غريزه
يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الالات ولا للعقلاء وهم
المتصفون به حكم لا بتحسين في حكم الله تعالى ولا بتقبيح بل الحاكم
هو الله تعالى وهذا هو محل الخلاف بيننا وبين المعتزلة واما ما هو
من كونهما بمعنى صفة الكمال والنقص الى اخره فمحل وفاق وتحقيق

محل الخلاف انهم قالوا قد يدرك العقل الحسن او القبح في حكم الله تعالى فيجزم
بثبوت حكم الله تعالى في الفعل بالمنع اذا كان الفعل يقع على وجه
ينتهض سببا للعقاب اذا ادرك قبحه ضرورة كالكذب الضار او نظرا
كالصدق الضار وبثبوت حكم تعالى فيه بالايجاب والثواب بفعله
والعقاب بتركه اذا ادرك حسنه على وجه يستلزم تركه قبحا اما
بالضرورة كالصدق النافع او بالنظر كشكر المنعم والكذب النافع
وبنوا هذا على ان للفعل في نفسه حسنا وقبحا ذاتيين كما عليه
قدماؤهم او لاجل صفة فيه حقيقية توجبهما له كما عليه الجبائية
قد يستقل العقل بادراكهما فيعلم حكم الله فيه باعتبارهما كشكر المنعم
وقد لا يستقل فلا يحكم بشيء حتى يرد الشرع كاستفادة حسن صوم
اخر يوم من رمضان وقبح صوم اول يوم من شوال وقال
اصحابنا قاطبة وبعض الحنفية يمنع ذلك بل الحسن والقبح انما يعلم
من جهة الشرع قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
اي ولا مثيبين فاستغنى عن ذكر الثواب بذكر مقابله من العذاب
الذي هو اظهر في تحقق معنى التكليف والقول بان المراد بالرسول
العقل خلاف الظاهر بلا موجب بل هو شبيه باقوال الباطنية
وبان التعذيب خاص بالدنيا تخصيص بلا مخصص كذلك ويردها
ايضا قوله تعالى في شان الكفرة كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها
الم ياتكم نذير الايتين وقوله الم ياتكم رسل منكم الاية فان الايات
المذكورة ترشد الى ان الامر الذي قامت به الحجة عليهم واستحقوا
عذاب الاخرة بعصيانهم بعده وهو ارسال الرسل لا ادراك عقولهم
عقولهم وردما ادعاه المعتزلة من الحسن والقبح الذاتيين بانهما
لو كانا كذلك لما اختلفا بان يكون فعل واحد حسنا تارة وقبحا

اخرى

اخرى لامتناع انفكاك الذاتي واللازم باطل فان الكذب قبيح وقد
يحسن كما مر بل يجب اذا كان فيه عصمة نبي من ظالم او انقاذ بري
ممن يقصد سفك دمه اوضربه او اخذ ماله ونحو ذلك مما يجب تارة
ويحرم اخرى وبان العقل يجوز العقاب بذكر العبد اسم ربه تعالى
شكرا لولا ورود السمع بالاذن فيه لان الشكر ملك المشكور تعالى
فاقدامه على الشكر بغير اذنه تصرف في ملك الغير بغير اذنه فيقتضي
العقاب ولان العبد اذا حاول مجازاة موجده المنعم عليه بجلائل
النعم دون اذن منه استحق التاديب لمحاولته ما ليس اهلا له فلولا
انه سبحانه اطلق لعبده ذكر اسمه بشرطه ووعد عليه بقوله فاذكروني
اذكركم وغيره من الايات والاحاديث بخلاف من انفتح لعقله عظم
كبريائه وجلاله من ان يسميه تعالى بلسانه اذ يرى انه احقر من
ذلك وثمرة الخلاف وتظهر فيمن لم تبلغه دعوة نبي فمات قبل ان
يومن فعند المعتزلة ومن وافقهم من الحنفية هو مخلد في النار
بتركه ما وجب عليه بالعقل وعندنا كبعض الحنفية ليس هو من اهل
النار اي ولا من اهل الجنة للاية المارة فلا يجب قبل البعثة ايمان
ولا غيره من الطاعات ولا يحرم كفر ولا غيره من المعاصي وذكر
الطاعة والمعصية مجاز لانهما فرعا الامر والنهي اذ الطاعة الاتيان
بالمامور امتثالا والكف عن المنهي كذلك والعصيان مخالفة الامر
والنهي فاطلاقهما قبل ورود امر ونهي مجاز من اطلاق الشيء على
ما يؤول اليه فكيف يكون طاعة او معصية قبل ورود امر ونهي
وتظهر ايضا في اسلامه اي اتيانه بما يمكنه الاتيان به من مسمى
الاسلام كالتصديق بالوحدانية وما يجب له سبحانه وهو بعض
مسمى الاسلام فهل يصح اسلامه بمعنى انه يثاب عليه في الاخرة

فعندهم نعم لاتيانه بالواجب عليه قالوا كما يصح اسلام الصبي
الذي يعقل معنى الاسلام والتكليف فان اسلامه صحيح عند
الحنفية فيترتب عليه احكامه وبعض اصحابنا اطلق المنع ومنهم
وفصل الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني من ائمتنا فقال اذا اضمر
الصبي الاسلام كما اظهره كان من الفائزين بالجنة وان لم يتعلق
باسلامه احكام الدنيا ويقاس به من لم تبلغه الدعوة بطريق
الاولى لكمال عقله ونحوه مما ذكرناه انه ليس للعقل حكم في شيء عند
محل الوفاق ولا اي وليس له ايضا حكم في كون ما يفعله من عقلا
يستلزم ما للاجر والعقاب اذ هما فرعا الامر والنهي ولم يوجدا
قبل البعثة فان وجدا بعدها ترتب حكم الفعل عليهما لا على حكم
العقل وقد اشرت الى ذلك كله بقولي بل الذي يفضي اي يوصل
الى الصواب والمعنى بل الصواب ان الذي حسنه الشرع حسن
لوجود الاذن فيه من جهة الشارع وما نهى الشرع عنه قبيح منهي
لوجود النهي عنه من الشارع لا لحسن وقبح ذاتيين ولا لصفة
حقيقية توجبهما لو لا لما اختلف الحكم باختلاف الامم والاعصار
ولا باختلاف الاحوال كما في الكذب النافع والصدق الضار وما
فليس للفعل في نفسه حقيقي صفة اي صفة حقيقية واعتبار
اي تلك الصفة تجي المعرفة بحسنه اي ذلك الفعل او قبحه كما يقول
الجبائية وحاصل ما ذهب اليه المعتزلة انهم حكموا العقل قبل
البعثة كما مر فقالوا ما قضى به العقل في شيء من الافعال ضروري
كالنفس في الهوى او اختياري بخصوصه بان ادرك فيه
مصلحة او مفسدة او انتفاؤهما فامر قضاه فيه ظاهر وهو
ان الضروري مقطوع باباحته والاختياري بخصوصه ينقسم

الى

الى الاقسام الخمسة الحرام وغيره لانه ان اشتمل على مفسدة فعله فحرام كالظلم
او تركه فواجب كالعدل او على مصلحة فعله فمندوب كالاحسان
او تركه فمكروه وان لم يشتمل على مفسدة ولا مصلحة فمباح وان لم يقض
في شيء منها بخصوصه بان لم يدرك فيه شيئا مما تقدم كاكل الفاكهة فاختلفوا
فيه على اقوال الحظر لان الفعل تصرف في ملك الله بغير اذنه اذ العالم اعيانه
ومنافعه ملك له تعالى والاباحة لان الله خلق العبد وما ينتفع به فلو
لم يبح له كان خلقهما عبثا اي خاليا عن الحكمة والوقف عن الحكم بواحد
منهما لتعارض دليليهما وان كان لا يخلو عن واحد منهما وعن
لا نقول بذلك لما مر من الادلة بل لو عكس الامر بان قبح الشرع
ما حسنه او حسن ما قبحه لكان الحكم بالعكس فيصير الحسن قبيحا
والقبيح حسنا فحققها اي حقق هذه القاعدة وقس ما لم يذكر
على ما ذكر فاخر الايام من شهر الصيام اي شهر رمضان مستحسن
صيامه بلا كلام يكون منا ومنكم للاتفاق على ذلك لان الشرع قد حسنه
حيث امر به وفطر يوم صومه قبيح كذلك لكونه الشرع
قد نهى عنه فهل يرى للعقل وحده فيه مرجح اي شبهة
يتعلق بها لا جد ذلك لتساوي اليومين في الحقيقة ولو امرنا بصيام
ذا اي يوم الفطر وذا اي اخر ايام شهر رمضان امرنا بفطره
او امرنا بصيامهما او بفطرهما لكان الامر بذلك امرا يحمد اي
متبعا ومقتدى به لوجود الامر ولو كان الصوم والفطر لهما حسن
ذاتي كما قالوا ولكن لما اشكل امره على العقل ورد الشرع كاشفا لما جوز
العقل خلافه فان منعوا هذا التحقيق فهو مكابرة وعناد لا يصلح
لطالب الحق والله المستعان ومن فروع هذه القاعدة في الاحكام
الشرعية ان ادم عليه السلام كان يجوز له تزويج بناته ببنيه وان

الشحوم حرمت على بني اسرائيل وان الرجل في زمن موسى عليه السلام
كان له ان يتزوج بغير عدد محصور كالسراري في حقنا وفي زمن عيسى
لا يجوز له الا واحده ثم خولف ذلك كله في شرعنا بل فيها ايضا ما يجوز
تارة ويحرم اخرى وعكسه وهو الناسخ والمنسوخ فلو كان ذلك لحسن
او قبح ذاتي لما انفك عنه لان ما بالذات لا يقبل الانفكاك واللازم باطل
فالملزوم مثله والله الموفق القول في ان صفاته سبحانه لا يتناهى
بحسب التعلقات وان اسماءه تعالى توقيفية اي يتوقف
جواز اطلاق شيء منها عليه تعالى على ورود الاذن به من جهة الكتاب
او السنة الصحيحة او الاجماع صفاته اي كل صفة من صفاته تعالى
واحدة بالذات اي ليس فيها تعدد بحسب المتعلقات والا لاستندت
الى الذات بالقدرة او بالايجاب وهما باطلان اما الاول فلان القديم
لا يستند الى القادر لما عرف واما الثاني فلان نسبة الاعداد الى
الموجب سوا فلو تعددت لزم الترجيح بلا مرجح او ثبوت صفات
غير متناهيه وقد علم مما مر انه سبحانه يعلم بالعلم الواحد جميع المعلومات
فلا تناهي صفاته تعالى بالتعلقات اي بحسب التعلقات بمعنى
انها لا تقف عند حد فالتعلقات متناهية بالفعل غير متناهية
بالقوة فكل ما يوجد من مقدوره فقل قليل ذاك من كثيره
اي كل ما في الوجود من العرش والكرسي واللوح والقلم والانوار
والظلم والسموات والكواكب والارضين والعناصر وعوالم الارواح
وما سيخلقه الى قيام الساعة واضعاف اضعاف ذلك بالقياس الى
مقدوراته تعالى كالذرة بالقياس الى البحر العظيم بل الى العرش العظيم
بل هذه النسبة باطلة لان الذرة وان كانت حقيرة فهي جسم والعرش
وان كان كبيرا فهو متناه وللمتناهي الى المتناهي نسبة لا محالة وجملة

هذه

هذه المخلوقات وجملة ما سيوجد كلها متناهية ومقدورات الله تعالى
غير متناهية ولهذا قلت بل لا يرى بينهما من نسبه لان ما وجد
متناه ومقدوراته غير متناهية ولا نسبة بين المتناهي وغير المتناهي
البتة فيا لها من قدرة معجزه اي يعجز العقل عن كيفيتها وتصور
حقيقتها فسبحانه من ملك تحيرت العقول في انوار صمديته وبطلت
الافهام في اشراق احديته وكلت الاذهان عن ادراك حقيقته و
تضعضعت البصائر عند مقابل اشعة عظمته له المزيد وله النقصان
في خلقه اي مخلوقاته بحسب الاشخاص والاصناف والانواع و
الاجناس كما حكى القران فيما يقوله يزيد في الخلق ما يشاء وقوله
وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب له مليك اي ملكه
اولو اي اصحاب اجنحة مثنى وثلاث ورباع وهو المشار اليه
بقولي لم عدل اربعه لان مثنى وثلاث ورباع معدولة عن
اثنين اثنين وثلثة ثلثة واربعة اربعة وفي هذا اقتباس من قوله تعالى
الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملئكة رسلا اولي اجنحة مثنى
الاية ولم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما زاد لان النبي صلى الله عليه
وسلم راى جبريل عليه السلام على صورته التي خلق عليها وله ستمائة
جناح وفي غالب الاحوال كان يتمثل له في صورة دحية الكلبي وفي اختصاصه
بذلك نكتة ذكرها بعضهم وهي ان دحية اسم لرئيس الجند وكان النبي
صلى الله عليه وسلم مامورا بالجهاد فياتيه جبريل عليه السلام في صورة
رئيس الجند كانه يذكره بذلك او انه من جملة الجند المجاهدين ومنهم
اي ومن الملئكة من غير قيد بما مر جبريل وميكائيل كذاك منهم اسرافيل
وهو ملك عظيم مقرب وعزرائيل وهو ملك الموت قال شارح الاصل
وهم على القول المجمل ثلثة اضرب ضرب اليهم تدبير الاجرام السماوية

وهم المقربون يعني الاربعة المذكورين ونقل الراغب عن بعض المتوسمين
بالحكمة ان المقربين سبعة الاربعة المذكورون ورضوان ومالك وروح
القدس وضرب اليهم تدبير الاركان الهوائية كالملك الذي يصوت
الرعد ويزجي السحاب وضرب اليهم تدبير الامور الارضية واليه اشار
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في صفة الجنين ثم يبعث الله اليه ملكا
فينفخ فيه الروح الحديث رواه الشيخان وكالحفيظ والرقيب والعتيد
والحفظة على كل واحد منا اثنان بالليل واثنان بالنهار كما قال تعالى
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وذلك حجة
على العباد يوم القيمة فاندفع قول المعتزلة انما يحتاج الى الحفظة من
لا يعلم بافعالهم والله غني عن ذلك **لكل فرد** اي لكل واحد **منهم**
مقام معلوم **يبلغه** ولا يتجاوزه الى غيره قال الله تعالى حكاية
عنهم وما منا الا له مقام معلوم اي في المعرفة والعبادة والانتها
الى امر الله تعالى في تدبير العالم لا يتجاوزونه **عليهم** منا الصلوة و
السلام **لا امر يحجر** وعن **لا يعصونا وكل ما يؤمرون يفعلونا** اي لا
يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها دين دونه ما يؤمرون به
وفيه اقتباس من قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون وقيل لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون
ما يؤمرون فيما يستقبل وقد وصفهم الله تعالى بقوله لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون اي لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو شان
العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليهم
وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به
للقائلين على الله ما لم يقله وبقوله لا يستكبرون عن عبادته ولا
يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وبقوله وهم

لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون اي
يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم او يخافونه وهو
فوقهم بالقهر كما قال وهو القاهر فوق عباده وهذا على مذهب
الخلف واما على مذهب السلف فيترك التعرض له في هذه الايات
دليل على ان الملئكة عليهم السلام مكلفون مدارون بين الخوف
والرجا وقيل هم مجبولون على الطاعة وليس لهم قوة الشهوة والغضب
اللذين هما مبدا المعاصي والمخالفات قال الشارح وهذا يشكل بقصة
هاروت وماروت ويجاب بانهما ركبت فيهما الشهوة للابتلا وبانه
لا يلزم من انتفاء الشهوة والغضب انتفاء المخالفة **اسماو سبحانه العليم**
اي الرفيع له فهم سماها وعلو شانه وعظم امره وعز سلطانه
جميعها كاين **بالنقل** اي هي **توقيفية** اي موقوفة على النقل الوارد
بالاذن في اطلاقها عليه تعالى **فلا تجز اطلاق اسم لم يرد اذن به**
من الشرع **عليه** متعلق بتجز اي لا تجز عليه اطلاق ذلك **بل عن ذاك**
حد اي مل ولا تتبعه لعدم ورود الاذن به وقطع همزة اسم للوزن
قال الله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها اي فسموه بتلك
الاسما وانما كانت حسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني
وذروا الذين يلحدون في اسمائه اي واتركوا تسمية الزايغين
الذين يسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا قال الشارح
وتحقيق ذلك يتوقف على الفرق بين الاسم والوصف فالاسم هو اللفظ
الموضوع للدلالة على المسمى فزيد مثلا اسم زيد وهو نفسه طويل
وابيض فلو قيل له يا زيد فقد دعي باسمه ولو قيل يا طويل فقد عدل
عن اسمه الى صفته والتسمية تستدعي ولاية فلذلك لو وضع غير الابوين
لم يجز فكيف تضع لله تعالى اسما وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

اسامي معدودة قد سماها فقال ان لي اسماء انا محمد واحمد والمقفي
والماحي والعاقب ونبي التوبة ونبي الرحمة وليس لنا ان نزيد على
ذلك في معرض التسمية بل في معرض الاخبار عن وصفه ينبغي ان
نقول هو عالم ومرشد ورشيد الى غير ذلك واذا امتنع في حق
الرسول بل في حق الاحاد فما ظنك بالله تعالى واما جواز الوصف
فلانه خبر والخبر اما صدق واما كذب والشرع قد دل على اباحة
الصدق وحرمة الكذب فكما جاز ان يقال زيد موجود جاز ان
يقال الله قديم ولو قدر ان الشرع لم يرد به وكذا سائر الصفات
التي لا توهم نقصا وقد يمنع من لفظ فاذا قامت قرينة جوز
فلا يقال له تعالى يا زارع ويا حارث اي وان كان قد قال تعالى ءانتم
تزرعونه ام نحن الزارعون لايهامه النقص ويقال ليس زيد
بحارث فالله هو الحارث اي كقوله وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى ولا يقال يا رامي وكذا لا يقال يا مذل بل يا معز يا مذل انتهى
بمعناه مع مزيد ومن المعتزلة جوز ان يطلق عليه تعالى الاسما
اللائق معناها به وان لم يرد بها الشرع وقول الشارح وتحقيق ذلك
الى اخره وكذا قوله سائر الصفات يشير الى ان الكلام ليس في اسماء
الاعلام الموضوعة في اللغات انما النزاع في الاسماء الماخوذة من
الصفات والافعال كما ذكره الشربيني في حاشيته شرح الجمع قال نبه
عليه السيد في شرح المواقف وقال في المقاصد محل النزاع ما اتصف
الباري بمعناه ولم يرد اذن ولا منع به ولا عبرة وكان مشعرا
بالجلال من غير وهم اخلال انتهى قاله فالقيد للاحتراز عما لا يليق
به تعالى كلفظ عارف اذ المعرفة قد يراد بها علم تسبقه غفلة و
كلفظ فقيه لان الفقه فهم غرض المتكلم من كلامه وذلك يشعر

سابقة

سابقة جهل وكلفظ عاقل فان العقل علم مانع من الاقدام على ما لا
ينبغي ماخوذ من العقال وانما يتصور هذا المعنى فيمن يدعوه
الداعي الى ما لا ينبغي ونحو هذه الالفاظ ومال القاضي ابو بكر الباقلاني
الى جواز اطلاق الوصف بشرط المذكور كما مشى عليه الشارح وقررناه
ايضا في هذا التوضيح وهو ظاهر النظم واصله **القول في الحشر**

بحث الحشر والنشور

وهو الجمع والسوق الى المحشر اي موقف الحساب ثم الى الجنة او النار
والنشر اي البعث **والنفخ** للصور **وجواز العفو** عن اهل الجرائم **والشفاعة**
للمذنبين وغيرهم **وعذاب القبر** واهوال البرزخ **ونحو ذلك** من
سائر السمعيات واعلم ان اللائق بهذه الترجمة وضعها بعد الكلام
على بعثة الانبيا وكذا الكلام على الاسما لان كلا منهما من فروع البعثة
ولكنا تبعنا الاصل على هذا الترتيب **والحشر للخلق حسا والاعادة** لها بعد
فنائها **ورد ارواحها** اي اليها **منقادة** اي مطيعة لخالقها عز وجل
فيما امرها به من العود الى اجسادها **من بعد نفخ الصور** مرتين **و**
من بعد **الاماتة** الكائنة من النفخة الاولى **ونشر ربنا** اي بعثه
للاجساد **به** اي بنفخ الصور يعني النفخة الثانية **رفاته** اي عظامه
المتفتتة يعني الميت المفهوم من الاماتة حق لانه ممكن وقد اخبر
الصادق عنه وكل ممكن اخبر الصادق عنه كان حقا اما الاول فلان
امكان الشيء يثبت بالنظر الى قابلية محله وقادرية فاعله وهما
حاصلتان ههنا اما قابلية المحل فلان اجزا بدن الميت قابلة
لذاتها للاجتماع والتاليف والحيوة والا لم تقبلها من قبل وما
بالذات لا يزول واما قادرية الفاعل فلانه تعالى لاحاطة علمه
جميع الجزئيات يعلم اجزاء البدن ولشمول قدرته جميع الممكنات
يقدر على جمعها وتاليفها وخلق الحيوة فيها ثانيا واما الثاني

فلا تفاق قول الانبيا عليهم السلام على ذلك قال الشارح غير موسى عليه
السلام فانه لم يذكره وما نزل عليه في التوراة واما من بعده فقد
وجد في كتبهم كحزقيل وشعيا ولذلك اقر به اليهود واما الانجيل
ففيه ان الاخيار يصيرون كالملئكة لهم الحيوة الابدية والسعادة
السرمدية ويمكن حمله على المعاد الروحاني والجسماني وعليهما جميعا
وعليه اكثر النصارى قلت وفي جميع ما قاله عن موسى نظر فان
القران يحكي عن موسى عليه السلام ما يوافق غيره من الانبيا عليهم
السلام قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام وقال موسى
اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يومن بيوم الحساب ويوم
الحساب هو يوم القيمة ولا يكون الا بعد البعث والجمع في الموقف
وكذلك حكى الله تعالى عن مومن ال فرعون ما هو صريح في ذكر
الاخرة والجنة والنار وغير ذلك في قوله تعالى عنه يا قوم انما هذه
الحيوة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار الايات ولا يمكن تلقيهم
لذلك من غير موسى ولان يكون اعلم به منه فاتفقت اقوال الانبيا
عليهم الصلاة والسلام على ذلك والله اعلم واما القران فمملو من ذلك
وهو الحاكم على ما عداه والمهيمن على كل كتاب سواه قال الله تعالى
كما بدانا اول خلق نعيده ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى ما
خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ليجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه
وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو
اهون عليه اي بتمثيل قدرتكم الى قدرته قل يحييها الذي انشاها
اول مرة فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة يوم تشقق
الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير يوم نحشر المتقين الى
الرحمن وفدا الايتين افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور واذا القبور

بعثرت

بعثرت يا ايتها النفس المطمئنة الايات وقد تواتر معناها في الكتاب
٢ و نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من
شاء الله الاية الى غيرها من الايات وقد تواتر معناها في الاحاديث
الصحيحة حتى صار مما علم من الدين بالضرورة وانعقد الاجماع على كفر
من انكر شيئا منها جوازا او وقوعا والمنكرون لذلك فرق منهم
الفلاسفة فانهم ينكرون حشر الاجساد وهو مما كفروا به وضموا اليه
القول بقدم العالم فكفرهم احسن من كفر الوثنيين المقرين بوحدة
الصانع وقدمه وحدوث ما عداه وانما الاوثان تقربهم اليه ومن
تلبيس الفلاسفة ايراده من الشبهة المشهورة وهي ما اذا اكل
الانسان انسانا بحيث صار المأكول جسما من الاكل فلو اعاد الله
ذينك الانسانين بعينهما فتلك الاجزاء التي كانت للمأكول ثم صارت
للاكل اما ان تعاد في كل واحد منهما وهو محال لاستحالة ان يكون
جزء بعينه من انسان واحد في شخصين متباينين او يعاد في احدهما
وحده فلا يكون الاخر معادا وهو خلاف بعينه والمقدر خلافه
ودفع بان المعاد هو الاجزاء الاصلية وهي الباقية من اول العمر الى
اخره دون الاجزاء الفضلية والاجزاء الاصلية التي كانت للمأكول
هي فضلة في الاكل فانا نعلم ان الانسان باق مدة عمره واجزاء الغذا
تتوارد عليه وتزول عنه فاذا كانت فضلا لم يجب اعادتها في الاكل
بل في المأكول فوجب تكفير منكر البعث لانكاره ما علم من الدين ضرورة
واوجب المعتزلة البعث عقلا بناء منهم على وجوب ثواب المطيع و
عقاب العاصي وذلك لا يكون الا بعد البعث ونحن نوجبه للاخبار
به فقط في كتبه تعالى وعلى السنة رسله لا لايجاب العقل وقوعه
واما الثانية فظاهر وعن المعتزلة اذا امر الله تعالى بالنفخة الاولى

تفنى السموات والارض والجنة والنار والارواح ثم يخلقهم الله تعالى
مرة اخرى ولا يخفى ان هذه الايات ادل على قول بعض المعتزلة كابي علي
وابي الحسين البصري الموافقين للجمهور على ان الجنة والنار مخلوقتان
اليوم وسياتي له زيادة بيان واما اهل السنة والجماعة فحكى عنهم
شارح الاصل انه لا يفنى سبعة العرش والكرسي واللوح والقلم و
الجنة والنار والارواح قال والله اعلم بحقيقة الحال تنبيه في ذكر
للاعادة ونشر الرفات وهو البعث اشارة الى جواز كل من
الكيفيتين المذكورتين في الاعادة على ما سياتي **كذا المجازاة مع المحاسبة**
للاكثر **والوزن والصراط والمعاينة الكل حق** لاخبار الصادق عنه
قال تعالى ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى وقال
جزاء وفاقا وقال فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا
يسيرا الايات وفي الصحيحين يدخل الجنة من امتي سبعون الفا
بغير حساب الحديث وسائر المؤمنين الصالحين يحاسبون حسابا
يسيرا ومصيرهم الى نعيم الابد والكفار والمجرمون يناقشون
في الحساب كما اي يحاسبون حسابا شديدا على النقير والقطمير
ويكون مرجعهم الى الجحيم وفايدة الحساب تذكير العباد ما عملوا
في الدنيا من الحسنات والسيئات وتعريف جزاء اعمالهم من
الثواب والعقاب ليكون ذلك ابلغ في سرور المؤمنين واقامة
الحجة على المجرمين وقال الله تعالى في الوزن والوزن يومئذ الحق
فمن ثقلت موازينه الايتين وقال ونضع الموازين القسط ليوم القيمة
والميزان لسان وكفتان مثل اطباق السموات والارض قال ابن
عباس احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب فيوزن فيه الاعمال بقدرة
الله تعالى توضع صحايف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور

يثقل

فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله تعالى وتطرح صحايف السيئات
في كفة الظلمة فيخف بها الميزان وذلك بفضله وهذا بعدله وفايدته
ايضا مثل ما مر وزعم بعض المعتزلة ان كل موضع ذكر الله فيه الوزن
والحساب انما اراد به العدل وايضا الاعمال اعراض فكيف يمكن وزنها
وقد تلاشت وانعدمت ورد الاول بانه من النصوص والثاني بان
الموزون الصحايف كما مر ايضا فايدة هل يعم الوزن كل مكلف نبه القرطبي
على انه لا يعم واستشهد له بقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ
بالنواصي والاقدام وبانه قد تواترت الاخبار بدخول قوم الجنة بغير
حساب قال الشربيني ولا يبعد ان يوزن عمل من لم يصدر منه ذنب
فقط لينوه بها بشرفه وسعادته على روس الاشهاد وان يوزن عمل من
ليس له حسنة اصلا لتخزيه وفضيحته على روس الاشهاد قلت وفيه نظر
اذ لا معنى لوزن ما ليس له مقابل اصلا والله اعلم قال وروى اللالكائي
في كتاب السنة عن حذيفة موقوفا ان صاحب الميزان يوم القيمة جبريل
عليه السلام قلت ومثله لا يكون من قبل الراي فيكون مرفوعا حكما والله
اعلم واما الصراط وهو جسر ممدود على متن النار اي ظهرها ادق
من الشعر واحد من السيف فقد اشار اليه القران وتواتر معناه في
الاحاديث قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا
فسره ابن عباس والحسن والقتادة بالورود على الصراط ثم ننجي الذين
اتقوا اي فلا يسقطون فيها ونذر الظالمين فيها جثيا يسقطون
وفسر بعضهم الورود بالدخول لقول جابر رضي الله عنه لما سئل عن
الورود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول
فلا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت
على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردهم ثم ننجي الذين اتقوا و

نذر الظالمين رواه احمد وابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابو يعلى والنسائي
في الكبرى والبيهقي واقتصر المنذري على عزوه لاحمد والبيهقي وقال
في اسناد احمد رجاله ثقات وفي اسناد البيهقي انه حسن قلت
ولا منافاة بينهما فقد يعبر بالدخول عن المرور على الصراط لكونه على
ظهرها ثم ينجوا المومنون بعد تضالها منهم المعبر عنه بالتصحيح و
يسقط المجرمون والله اعلم وقال الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم
واما انه جسر ممدود على متن جهنم فلانه ورد كذلك في الصحيح في حديث
طويل عن ابي هريرة قال ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم وفي
الصحيحين في حديث طويل عن ابي سعيد ثم يضرب الجسر على جهنم
واما انه ادق من الشعر واحد من السيف ففي مسلم عن ابي سعيد الخدري
بلغني انه ادق من الشعر واحد من السيف ومثله لا يقال من قبل
الراي فله حكم المرفوع وروى الحاكم من حديث سلمان عن النبي صلى الله
عليه وسلم يوضع الميزان يوم القيمة فلو وزن فيه السموات والارض
لوسعهن فتقول الملئكة يا رب لمن يزن هذا فيقول لمن شئت من
خلقي فتقول الملئكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ويوضع الصراط
مثل حد الموسى قال الحاكم على شرط مسلم وروى الطبراني من حديث
ابن مسعود موقوفا يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف
وفي الصحيحين وصف الصراط بانه دحض مزلة اي تدحض وتزل به
الاقدام المجرمين فتهوي بهم في جهنم وتثبت عليه اقدام المومنين
فيمرون على قدر اعمالهم الى دار النعيم ففي الصحيحين وغيرهما عن
ابي سعيد في حديثه في الجسر ثم يضرب الجسر على جهنم الى ان قال
فيمر المومنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكاجاويد الخيل والركاب
فناج مسلم ومخدوش ومرسل ومكدوس في نار جهنم والدحض

بسكون

بسكون الحاء المهملة الزلق والمزلة الموضع الذي لا تقع عليه القدم الا
زلت وانكره بعض المعتزلة كعبد الجبار والجبائي وابنه في احد الروايتين
عنهما وغيرهم وقالوا المراد بصراط الجحيم طريقها لما فيه من تعذيب الصلحا
ولا عذاب عليهم ولانه لا يعقل امكان المرور على ما هو ادق من الشعر
واحد من السيف واجيب بانه قد تواتر معناه فلا وجه لرده واما امكان
المرور فالقدرة تصلح لذلك فان من قدر على تسيير الطير في الهوى يقدر
على ان يسير الانسان على الصراط ولا يخلق في ذاته هويا الى اسفل ولا
في الهوى انخراقا فليس المشي على الصراط باعجب من سير الطير في
الهوى كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر ان الكافر يحشر على وجهه
يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيمة قال اليس الذي امشاه
على الرجلين في الدنيا قادرا على ان يمشيه على وجهه يوم القيمة وتاول
بعض اهل السنة كونه ادق من الشعر واحد من السيف بما يوافق
الحديث الاخر في قيام الملئكة على جنبيه وكون الكلاليب والحسك
فيه واعطاء المار عليه من النور قدر موضع قدميه فقال معنى
كونه ادق من الشعر ان ذلك يضرب مثلا للخفي الغامض والمعنى ان
يسر الجواز وعسره على قدر الطاعات والمعاصي وان دق كل من
القسمين ولا يعلم حدود ذلك الا الله تعالى ومعنى كونه احد من السيف
انفاذ الملئكة امر الله تعالى باجازة الناس عليه والمعاينة نوع من
الحساب خفيف ففي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله
يدني المومن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول تعرف ذنب كذا اتعرف
ذنب كذا فيقول نعم اي رب حتى قرره بذنوبه وراى في نفسه انه
هلك قال سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب
حسناته او هي مجازاة العبد في الدنيا بما يصيبه من البلايا ففي الترمذي

سئلت عايشة رضي الله عنها عن قوله الله عز وجل وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به فقالت
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاتبة الله العبد
بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدها
فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير
وهذا يوافق قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويعفو عن كثير وقوله ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس
ليذيقهم بعض الذي عملوا الاية اي جزاء بعضه والمعفو وهو الكثير
في الاية الاولى هو البعض الاخر ولا ينافيه قوله تعالى ولو يؤاخذ
الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ونحوه لان المراد بجميع
فلا ينافي عدم الاخذ بالجميع الاخذ بالبعض تنبيه اختلف
المتكلمون في كيفية الاعادة فقالت طائفة منهم الكرامية لا تنعدم
الجواهر اي الاجزاء التي منها تاليف البدن بل تتفرق وتختلط بغيرها
وتتصور بصورة التراب مثلا وقد زالت منها الحيوة واللون والرطوبة
والهيئة والتركيب ثم يجمعها الله تعالى ويؤلفها على صفتها الاولى
كما يشير اليه قوله تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة فانه في جواب
قولهم من يحيي العظام وهي رميم وظاهر قوله وان الله يبعث من
في القبور وقوله واذا القبور بعثرت وقوله في جواب قول المنكرين
اذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم
ونحوها يدل على ان المبعوث هو المودع في القبور ووجهه ان الاجزاء
المذكورة قابلة للجمع والله تعالى عالم بها وقادر على تاليفها كما مر
وهؤلا ينكرون اعادة المعدوم وقال الاكثر تنعدم الاجزاء بالكلية
الا عجب الذنب فانه لا يفنى كما ثبت في الصحيحين وغيرهما بالفاظ منها

ليس

ليس من الانسان شي لا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب منه يركب
الخلق يوم القيمة وفي رواية لاحمد وابن حبان هو مثل حبة خردل منه
تنشاون ووجهه بان الاعادة احداث كالابداع الاول وغاية طريان
العدم على المبدع اولا تصييره كانه لم يحدث وقد تعلقت القدرة بايجاده
من عدمه الاصلي فكذا يتعلق بايجاده من عدمه الطاري فالايجاد
الثاني ليس ممتنعا لذاته ولا لشي من لوازم ذاته والا لم يقع ابتدا و
كذلك الوجود الثاني لان مقتضى ذات الشي او لازمه لا يختلف بحسب
الازمنة فلا يكون ممتنعا في وقت ممكنا في وقت واذا لم يمتنع لذلك
كان ممكنا وهو المطلوب بمعنى الاعادة ان الموجود ثانيا هو الموجود
اولا لا مثله بل الاول وجد بعد فنا عينه لان وجود عينه اولا انما
كان على وفق تعلق العلم به والفرض ان الموجودات بعد طريان العدم
عليها ثابتة في العلم وانه متعلق بايجادها في وقت وجودها اذ المعدومات
التي برزت الى الوجود انما وجدت على حسب تعلق العلم بوجودها
قبل بروزها الى الوجود وبعده والموجودات التي طرا عليها العدم
انما عدمت على حسب تعلق العلم فاذا وجدت ثانيا فعلى حسب تعلق
العلم في الازل بايجادها والقايل انه يقول ما ذكر ونحوه لا يستحيل وقوعه
ولكنه لا يسمى اعادة بل هو انشا لكونه على وفق تعلق العلم كما في الاول
ونظيره ما اذا انقضت خاتم شخص مثله فانشا مثله سواء من غير
رضاضة فانه لا يقال اعاده ثم بل انشا مثله وانما يقال اعاده اذا سبك
رضاضه وعمله على هيئته الاولى ولهذا قال المحققون المسئلة ظنية لان
كلا منهما ممكن وممن صرح بظنيتها الغزالي في كتاب الاقتصاد قال
بعضهم والحق وقوع الكيفيتين معا وهما اعادة ما تقدم في تاليف ما
تفرق لا الحكم بانه انما يكون احدهما بعينه وان الاخر مستحيل لما علمت

من امكان كل منهما انتهى بمعناه والاول اقرب الى ظواهر الايات المارة
لان الجزاء من ثواب وعقاب يكون لتلك الاجزا التي باشرت اسبابهما
ويؤيده خبر الصحيحين في الرجل الذي امر اهله ان يحرقوه بعد موته
ثم يسحقوه ويذروا نصفه في البر ونصفه الاخر في البحر فرقا من
عذاب الله فامر الله البر فجمع ما فيه والبحر فجمع ما فيه الحديث والثاني
اقرب الى ظاهر الخبر المذكور في الصحيحين او لا عينهما ان منه قوله
منه يركب الخلق يوم القيمة وقوله منه تنشاون تكون الجسد المعدوم
عنه والله اعلم بحقيقة الحال والله على كل شيء قدير وحقية ما ذكر مثل
حقية خلق النار والجنة اليوم اي قبل يوم الجزا المذكور في
نصوص الاخبار وظواهر الايات لامكانه في نفسه والصادق اخبر
عنه بقوله وجنة عرضها السموت والارض اعدت للمتقين وقوله
فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين فيجب
الايمان به وعلى هذا جمهور المسلمين ومنهم بعض المعتزلة كابي علي
الجبائي وابي الحسين البصري وبشر بن المعتمر وقالت الجهمية وبعض
المعتزلة كابي هاشم وعبد الجبار واضرابهما ان الجنة والنار لم يخلقا
بعد اذ لا يحسن من الحكيم ان يخلق دار الثواب والعقاب قبل
خلق اهلهما للزوم العبث اي خلوه عن الحكمة وهو عليه محال و
ايضا هما دائمتان ولو كانتا مخلوقتين اليوم لهلكتا في جملة من
يهلك لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه واللازم باطل للنصوص
والاجماع على دوامهما وايضا فقوله وجنة عرضها السموات والارض
يقتضي انه لا يكون الا اذا وقعت في احيازهما وذلك لا يكون الا بعد
فنائهما لاستحالة تداخل الاجسام واجيب عن الاول بان الله
انا خلق دار الثواب كان العبد اشوق اليها واحرص على الطاعة

واذا خلق دار العقاب كان اخوف لها وابعد عن المعاصي بل قد ورد
ان ارواح المجرمين تعرض على النار غدوا وعشيا في قوله تعالى النار
يعرضون عليها غدوا وعشيا وسياتي في عذاب القبر ما يوضحه وان
ارواح بعض المومنين في اجواف طيور خضر ترتع في الجنة وتاوي
الى قناديل معلقة تحت العرش وهو ما في صحيح مسلم عن مسروق
قال سالنا عبد الله يعني ابن مسعود عن تفسير هذه الاية ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فقال اما
انا سالنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارواحهم في جوف
طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت
ثم تاوي الى تلك القناديل وروى معناه الترمذي من حديث كعب
بن مالك وابن منده من حديث ام كبشة والبيهقي وابن ابي شيبة
من طريق ابن عباس موقوفا وله حكم المرفوع وهذه حكمة ظاهرة
في خلقهما وايضا فنفي الفايدة في الجنة ممنوع اذ هي دار نعيم اسكنها
الله من يوحده ويسبحه بلا فترة من الحور والولدان والطير وقد
ذهب بعض اهل السنة كابي حنيفة الى ان الحور العين لا يمتن وانهن
ممن استثنى الله تعالى في قوله فصعق من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله وبان نفي الفايدة في خلقهما في تعقل الزاعم لا ينفي وجود
الحكمة في نفس الامر وان لم يحط بها وعن الثاني بان الهلاك في الاية
لازم لما عداه تعالى فانه مستلزم في حد ذاته لا ثبات له ولا بقاء لا
بابقائه سبحانه فهو هالك بالنسبة الى ذات الباري تعالى الواجب الوجود
والبقا فلما كان غيره بهذه المثابة اطلق عليه الهلاك بالاعتبار المذكور
وان كانت عينه باقية لان بقاءها ليس بذاتها بل لابقائه تعالى اياها
والممكنات باسرها بهذه المنزلة كما مرت الاشارة اليه والاتيان عند

ذكري اسمه تعالى الحق ولكن سلم العموم وانه لغير هذا المعنى فمخصوص
جمعا بين الادلة وعلى الثالث بان المراد مثل عرضهما لقوله تعالى كعرض
السماء والارض ولان عرضهما لا يكون غير عرضها فيجوز ان يكون
فوق السماء السابعة فضاء يكون عرضه مثل عرض السموات والارض
والجنة فيه لما ثبت في الصحيح ان سقفها العرش وانه منه تتفجر انهار
الجنة وعلى هذا لا استثناء للحور والولدان في الاية المارة لانه من في
السموات ومن في الارض لا تشمل الجنة لخروجها عنهما واما الثالث فلم يثبت
في تعيين محلها حديث صحيح نعم في احاديث ضعيفة انها محيطة
بالارض وقد يؤيد بضرب الصراط على متنها يوم القيمة كما مر وان
الناس يمرون عليه الى الجنة ومنهم من يسقط فيها فيكون هو الطريق
الى الجنة ثم يحتمل نصبه الى اعلى لكون الجنة في علو ويحتمل وضعه
ممدودا ووصل بقعها وراه والله اعلم بحقيقة ذلك ويدخل المومن
اي الكامل الايمان جنة عرضها كعرض السماء والارض فيها ما
تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وهكذا بوعده تعالى والتنكير
للتعظيم وفي نعيمها يخلد خلودا مؤبدا في ملك وفي اي تام
من جميع وجوهه وكيف لا وهو في مقعد صدق عند مليك
مقتدر وقد مدح الله تعالى نعيم اهل الجنة فقال واذا رايت
ثم رايت نعيما وملكا كبيرا وما وصفه رب العالمين بالملك الكبير واثنى
عليه هذا الثناء الفايق هل يحيط احد من المخلوقين بكنهه كلا الا
انه مع قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول
النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين قال الله تعالى اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
الحديث اما دخول المومنين الجنة وتابيد نعيمهم فيها فللنصوص

والاجماع

والاجماع قال الله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا الايتين في محليهما من
النساء وقال هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم الاية وقال والسابقون
الاولون الاية وقال وما هم منها بمخرجين وقال ومن يؤمن بالله و
يعمل صالحا نكفر عنه سيئاته وندخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وقال ومن يؤمن بالله ويعمل
صالحا ندخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد
احسن الله له رزقا وقال جزاؤهم عند ربهم جنات عدن الاية
وقيدت المومن بالكامل موافقة للايات المذكورة وغيرها حيث
عطفت العمل الصالح على الايمان ولنخرج مرتكب الكبيرة الاتي فانه
قد لا يدخلها الا بعد الجزاء كما سياتي ويخلد الكافر في النيران
خلودا مؤبدا بالنصوص والاجماع ايضا بمقتضى وعيده تعالى
حالة كونه اي الكافر ملازما للقمع والهوان قال الله تعالى
ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها وقال ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر
لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وقال
يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها الاية وقال ولهم
مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها
الاية وقال ان الله لعن الكافرين الاية وقال ومن يعص الله ورسوله
فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وقال وما هم عنها بغائبين
وقال ولهم عذاب مهين وقدمنا الكلام في الكافر الذي لم تبلغه
دعوة نبي اذا اتى بما يمكنه من مسمى الاسلام وتعريف النار و
جمعها للتهويل وقالت الجهمية الجهمية اذا دخل اهل الجنة الجنة

واهل النار النار واستمتعوا وفوزوا بقدر اعمالهم افنى الله تعالى
الجنة والنار لقوله تعالى هو الاول والاخر كما كان في الازل ولم يكن
معه احد من خلقه فكذا وجب ان يبقى في الاخرة ولا يكون معه
احد والايات الدالة على تابيد خلودهم ترد عليهم و تبطل
هو سهم ومعنى اخريته انه يفني الخلق ويبقى بعد فنائهم او هي
بالنظر الى ذوات المحدثات مع قطع النظر عن غيرها الا انها متلاشية
في حد ذاتها هو الاول الذي تبتدئ منه الاسباب والاخر
الذي ينتهي اليه المسببات او الاول خارجيا والاخر ذهنا فان
قيل فما معنى التقييد بدوام السموات والارض والاستثناء في ابدي
السعدا والاشقيا حيث قال تعالى خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك فالجواب ان التقييد خارج
على المتعارف عندهم لانهم كانوا يعبرون به عن التابيد على
سبيل التمثيل او المراد الارض والسموات المبدلة لقوله يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات واما الاستثنا فالمراد به فساق
الموحدين فانهم يخرجون من النار بعد مجازاتهم كما سياتي لانهم
وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم واستثناؤهم من
دوام عذاب الاشقيا ظاهر واما استثناؤهم من دوام نعيم
السعدا فالمراد مدة مفارقتهم عن الجنة ايام عذابهم او المراد به
في الاشقيا مدة نقلهم الى الزمهرير وفي السعدا نقلهم الى ما
هو اعلى في بعض الاحيان وهذا افضل ايتهم بقوله عطاء غير
مجذوذ وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد
من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ويحمل النفي في قوله وما هم
منها بمخرجين على خروج يزيلهم منها لا نقلهم الى اعلى فان قيل

ان لم يعلم الله عدد انفاس اهل الجنة والنار لزم تجهيل الرب تعالى عن ذلك
وان علمها كانت متناهية فالجواب انه يعلم انه ليس لانفاسهم عدد معين
وهذا ليس بجهل لانه لما لم تكن في نفسه عدد معين كان كل من علمه كذلك
فقد علمه كما هو فلا يكون جهلا فان قيل بقاء الحيوة مع الاحتراق بالنار
غير معقول فالجواب انا لا نسلم امتناع اجتماع الحيوة مع الاحتراق
فان المزاج ليس شرطا للحيوة حتى يلزم من انتفاء الاعتدال بالاحتراق
انتفاء الحيوة وايضا فان من الحيوانات ما يعيش في النار ويلتذ كالسمندر
فلا يبعد ان يجعل الله تعالى بدن الكافر بحيث يتاذى ويتاثر
بالنار ولا يفنى ولا يموت كما قال الله تعالى فان له جهنم لا يموت فيها
ولا يحيى اي لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة مهناة **ومسلم
يرتكب الكبيرة و**الحال انه **لم يتب منها** قبل موته توبة كائنة **على بصيرة**
اي بيان وحجة واضحة غير عميا بان لم يتب او تاب توبة غير صحيحة
لاختلال بعض ما لا بد منه في تحققها وهي الندم على المعصية من
حيث انها معصية فالندم على شرب الخمر لاضراره بالبدن ليس
بتوبة وانما يتحقق التوبة بالاقلاع عن المعصية اي المفارقة لها
وعزم ان لا يعود اليها وتدارك ممكن التدارك من الحق الناشي
عنها كحق القذف فيتدارك بتمكين مستحقه او وارثه ليستوفيه
او يعفو عنه فان لم يمكن تداركه كان لم يكن مستحقه موجودا سقط
هذا الشرط كما يسقط في توبة معصية لا ينشا عنها حق لادمي
وكذا يسقط شرط الاقلاع في توبة معصية بعد الفراغ منها كشرب
الخمر فالمراد بتحقق التوبة بهذه انها لا تخرج فيما يتحقق به عنها الا انه
لا بد منها في كل توبة تنبيهات الاول الندم معناه ظاهر وقد
عرفه بعضهم بانه تحزن وتوجع لما فعل وتمني كونه لم يفعل وللعجب

استدامته في جميع الازمنة بل يكفي استصحابه حكما بان لا يصدر ما
ينافيه لان الشرع اقام الامر الثابت حكما مقام ما هو حاصل بالفعل
كما في الايمان فان النايم مومن بالاتفاق ولما في التكليف بها من
الحرج المنفي عن الدين الثاني قولهم تدارك ممكن التدارك يقتضي
ان القاتل عمدا لا تصح توبته اذا امكنه قود نفسه الا به والذي جرى
عليه الآمدي وصاحبا المواقف والمقاصد ان التدارك واجب براسه
قال الآمدي اذا اتى بالظلمة كالقتل والضرب فقد وجب عليه امرانه
التوبة والخروج عن المظلمة وهو تسليم نفسه مع الامكان ليقتص منه
ومن اتى باحد الواجبين لم تكن صحة ما اتى به متوقفة على الواجب
الاخر كمن وجب عليه صلاتان فاتى باحداهما دون الاخرى وفي
المقاصد انه التحقيق قال الا انه قد لا يصح الندم بدون تدارك المعصوب
انتهى قلت وفيما قالوه نظر بل التحقيق انه لا تصح توبته الا
بتسليم نفسه قولهم كمن وجب عليه صلاتان الى اخره ممنوع بل هو
بمنزلة الفاتحة او الوضوء من الصلوة فلا تصح الا به والله اعلم **يخرج**
اي المرتكب المذكور **منها** اي من النار ان دخلها **اخرا** اي في اخر
امره **ولا يخلد** فيها مع الكافر لما مر من انه وان شقي بعصيانه
فقد سعد بايمانه فلا تساوي بينه وبين الكافر في الجزاء قال الله تعالى
افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون والمراد بالفاسق هاهنا
الكافر لقوله تعالى وذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون
وللنصوص المتواترة المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يخرج
قوم من النار في مرات متعدده كما سياتي في الشفاعة وقالت
المعتزلة لا يخرج الفاسق من النار بل يخلد فيها كالكافر وانه لم يتساويا
في الاسلام فالادلة المتظافرة ترد عليهم **وبعد** اي وبعد استيفاء

ما

ما استحقه من العقاب **في جنانه** المعدة له بايمانه **يوبد** كتابيد المومن
الكامل ولكن **من بعد امر هايل** اي مفزع لشدة هوله **فظيع** اي شنيع
متفاقم وكيف لا وهو في سخط الله تعالى يقاسي ما يلاقي من العذاب
فليته كان مع المطيع اي المومن الكامل الذي لم يدخلها اما لعدم
تلبسه بكبيرة او لتوبته منها وموته طاهرا عنها وهو مفهوم قولي
ولم يتب فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له هكذا رواه ابو نعيم
في الحلية والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب ورويناه ايضا
كذلك باسنادنا في سلسلة الابريز **والعفو** وهو ترك عقاب
مستحق **جايز** عقلا مطلقا وسمعا في غير الشرك ومثله الكفر ولا فرق
بين ان يكونا قبل التوبة او بعدها قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فدخل فيما دون الشرك الكبيرة
وغيرها قبل التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن
السيئات قيل لو اختص بما بعد التوبة كما زعمت المعتزلة لزم التكرار
في كلامه تعالى اي بلا فايدة وقالت المعتزلة لا يجوز العفو عن
صاحب الكبيرة بل هو خالد في النار كالكبيرة لكافر وقدم قريبا و
بنوه على ما ذهبوا اليه من وجوب تعذيب صاحب الكبيرة اذ العفو
ينافيه وهذه الاية ترد عليهم لان غفران الكبيرة بعد التوبة واجب
عندهم وكذا ترك العقاب على الصغيرة فلم يبق للتقييد بالمشيئة
معنى الا جواز غفران الكبيرة قبل التوبة **ولكن** بعد تجويزه عقلا
وسمعا **هل يقع** لاحد بعينه او لنوع من الكباير مخصوص مع
استوا المكلفين في العبودية والتقييد بالمشيئة وفي قولي هذا
اشارة الى قول البيهقي رحمه الله تعالى تواترت الاحاديث في
ان المومن لا يخلد في النار بذنوب غير ان القدر الذي يمكث فيها

غير معلوم والذي تحقق الشفاعة ابتداء حتى لا يعذب اصلا غير
معلوم فالذنب خطره عظيم السلطان وشانه جسيم وربنا غفور رحيم
وعقابه شديد اليم انتهى ولقايل ان يقول لا يلزم تكرار في قوله تعالى
ويعفوا عن السيئات على ما ذكر ثم لجواز ان يراد بالسيئات غير الكبائر
التي الكلام فيها لقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
عنكم سيئاتكم وقوله حكاية عن المتفكرين ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر
عنا سيئاتنا وقال الله تعالى حكاية عن الملئكة عليهم السلام فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقال واني لغفار لمن تاب الاية فالسيئات
هي المعفوة وهي المكفرة ايضا والكباير هي المحتاجة الى التوبة وفي الاحاديث
الصحيحة التكفير للذنوب بافعال الخير كالوضوء مقيد باجتناب
الكبائر فالايات والاحاديث منطبقة وقد اخبر الله تعالى عن
بعض اهل الكبائر باللعنة والغضب عليه واعداد العذاب له كما في قاتل
المومن عمدا عدوانا فانه قال وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا
عظيما وقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات اي المحوجة الى
التوبة فان الاصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة مع ان السيئات
اذا انفردت سميت الكباير حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت
الان ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما
فانه تعالى سوى بين من سوف التوبة من الفسقة والكفار وبين
من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في نفي الاعتداد بها في تلك
الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء ثم اخبر
انه قد اعد العذاب لهم وخبره تعالى صدق والخلف فيه محال
وكذا خبر مسلم ان على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من
طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال قال عرق اهل النار

او عصارة اهل النار وهذا وان كان مخصوصا بمن لم يتب فعهده لا
خلف فيه ومعلوم ان شرب طينة الخبال لا يكون الا لمن في النار والعفو
عنه نقض للعهد وهو عليه محال والتعلق بالبيت وهو ه ه ه ه
واني اذا اوعدته او وعدته ه لمخلف ايعادي ومنجز موعدي
لكون اخلاف الايعاد مستحسنا بخلاف اخلاف الوعد ضعيف قال
في شرح الجمع الا ان يكون واضع اللغة جعل لفظ الوعيد يحتمل الشرط
اي ان شئت عاقبتك ولم يجعل لفظ الوعد كذلك وهذا حسن
بالنسبة الى مكارم الاخلاق فان لم يكن الامر كذلك فهو فاسد
قطعا وخلف في الكلام الاول وبدا صراح وهو على الله تعالى محال
انتهى وذكر نحوه التفتازاني في شرح التنقيح ويؤيده ان احاديث
الشفاعة انما هي في اراحة الناس من الموقف وادخال من لا حساب
عليه الجنة ابتداء وفي اخراج من كان من الموحدين في النار وهم
اهل الكبائر فيكون المعنيين بحديث شفاعتي لاهل الكبائر من امتي
كما سياتي وبحديث اسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة من قال لا اله
الا الله خالصا من قلبه او نفسه رواه البخاري ولهذا قال البيضاوي
في شرحه للحديث المذكور المراد بمن قال من لم يكن له عمل يستحق
به الرحمة ويستوجب به الخلاص من النار فان احتياجه الى الشفاعة
اكثر وانتفاعه بها اوفر فعلى هذا لا تنافي بين التقييد بالمشيئة
في غفران ما دون الشرك وبين العفو عن السيئات بل وبين الغفران
بالتوبة بناء على ما ذهب اليه اصحابنا ان قبول التوبة غير واجب
على الله تعالى كما سياتي بل هو تفضل منه ورحمة ووفاء بوعده الصادق
ولهذا جاز سوال المغفرة للتائبين في الاية المارة وهي فاغفر للذين
تابوا لان السوال الواجب محال او يحمل التقييد بالمشية في المغفرة

على حقوق الله تعالى دون حقوق العباد لخبر الذنوب ثلثة ذنب
لا يغفره الله تعالى وهو الشرك وذنب لا يتركه الله تعالى وهو حقوق
العباد وذنب لا يعبأ الله به وهو ما بين العبد وبين ربه رواه الطبراني
في الكبير وابن مروان المالكي في كتاب المجالسة بمعناه ولكن يشكل
عليه ان في صحيح البخاري يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على
قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت
بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة الحديث
فظاهره انهم يدخلون النار اولا لما عليهم من حقوق الله ثم يناصف
بينهم وكذا خبر مسلم المار في شارب الخمر الا ان يحمل الخلوص من
النار على جوازنا الصراط المضروب على متنها وخبر مسلم على الزجر
والتهديد وهو بعيد والله اعلم بحقيقة ذلك فلله ان يفعل ما يشا
ويحكم ما يريد لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه **ومن لم اذن من الله**
تعالى في الشفاعة **شفع** جائزة قال الله تعالى من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه وقال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن وقال
لا يشفعون الا لمن ارتضى وقال ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن
اذن له وتواترت الاحاديث الصحيحة وغيرها بجواز الشفاعة
ووقوعها **من ملك مؤمن ومن شهيد** ففي الصحيحين عن ابي سعيد
في حديث الشفاعة حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي
نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من
المؤمنين لله يوم القيمة لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا
يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم
فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا الى ان قال فيقول الله
تعالى شفعت الملئكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق

الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج قوما لم يعملوا خيرا قط قد
عادوا حمما الى ان قال فيقول اهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن ادخلهم الله
الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم لكم ما رايتم ومثله معه وروى
الترمذي والدارمي وابن ماجة حديث يدخل الجنة بشفاعة رجل من
امتي اكثر من بني تميم وروى الترمذي حديث ان من امتي من يشفع
للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من
يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة وروى ابن ماجة حديث يصف
اهل النار فيمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان اما تعرفني
انا الذي سقيتك شربة وقال بعضهم انا الذي وهبت لك وضوءا
فيشفع له فيدخله الجنة وروى الترمذي وابن ماجة ان الشهيد يشفع
في سبعين من اقاربه **وخير خلق الله** اجمعين وهو النبي صلى الله عليه
وسلم **عن كل** اي على كل شافع من الشافعين المذكورين **يزيد**
لانه **يخرجهم من قعرها** اي قعر جهنم **افواجا** اي زمرا **يكرمه الله بها**
اذا جاء في طلبها ففي الصحيحين من حديث انس في الشفاعة ان
الناس يهتمون في الموقف فياتون ادم ونوحا وابراهيم وموسى
وعيسى ويسألونهم الشفاعة فكل منهم يعتذر حتى ياتوا النبي
صلى الله عليه وسلم فيستاذن على ربه قال فيؤذن لي فاذا رايته وقعت
ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني فيقول ارفع محمد وقل تسمع
واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع راسي فاثني على ربي بثناء و
تحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرجهم من النار فادخلهم
الجنة ثم اعود الثانية وذكر فيها كذلك ثم اعود الثالثة وذكر فيها
كذلك حتى ما يبقى في النار الا من قد حبسه القران اي وجب عليه
الخلود ثم تلا هذه الاية عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا

قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم وفي رواية
لهما انهم اذا اتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال انا لها فذكر نحو ما تقدم
الا انه زاد رابعة فيقول فيها يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله
قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لاخرجن
منها من قال لا اله الا الله قيل وهذا مخصص لحديث اسعد
الناس بشفاعتي النار واقول ليس بينهما منافاة بل هذا ايضا بشفاعته
لانه قد تسبب بسؤاله ذلك وكونهم اسعد لتولي الله تعالى بنفسه
اخراجهم وفي رواية لهما عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم بعد
سجوده واتيانه بالمحامد يقول يا رب امتي امتي فيقال يا محمد ادخل من
امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم
شركا الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده
ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر واحاديث
الباب كثيرة جدا متواترة لفظا ومعنى وانكرت المعتزلة الشفاعة
في اسقاط العقاب وفي الاخراج من النار كلاهما واحتجوا بقوله
تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا وبقوله ما للظالمين
من حميم ولا شفيع يطاع وبقوله من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه
ولا خلة ولا شفاعة وبقوله وما للظالمين من انصار والشفيع
من الانصار فلا يكون للظالمين شفيع واجيب بانها ليست عامة
في الاعيان ولا في الازمان فلا ينافي محل النزاع ولئن سلم فمخصوصة
بالكفار او بما قبل الاخراج جمعا بين الادلة وقد قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم ولسوف يعطيك ربك فترضى وفي صحيح مسلم
ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قوله تعالى في ابراهيم رب انهن
اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني الاية وقول عيسى

ان تعذبهم فانهم عبادك الاية فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي
وبكى فقال الله تبارك وتعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم
فسله ما يبكيه فاتاه جبريل فسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الله تعالى لجبريل اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك في امتك
ولا نسوءك ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو عليه من
الرحمة ان يبقى في النار احد من امته وحديث شفاعتي لاهل الكبائر
من امتي رواه احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة
وابن حبان والحاكم والطبراني في الكبير والخطيب في تاريخ بغداد
عن ابن عباس وابن عمر وانس وجابر وكعب بن عجرة والى حديث
القبضة ونحوه اشرت بقولي **ويخرج الله بلا شفاعة** يتولاها
احد من خلقه بل بفضله ورحمته **منها** اي من النار **اناسا ما اتوا**
بطاعة لكنهم ماتوا على التوحيد اي الايمان بالشهادتين
مع مواطاة القلب ايضا **كما اتى في حشوه المزيد** بعد شفاعة الشفعا
والمذكور في بعض الروايات واليه يشير حديث القبضة المار
تنبيه في حقيقة الايمان المنجي في الاخرة اقوال فالذي عليه اكثر
اصحابنا والماتريدي من الحنفية انه التصديق بالقلب فقط اي
قبول القلب واذعانه لما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه
وسلم بحيث تعلمه العامة من غير نظر واستدلال كالوحدانية
والنبوة والبعث والجزاء ووجوب الصلوة والزكوة وحرمة الخمر
والزنا ونحوهما ويكفي الاجمال فيما يلاحظ اجمالا كالايمان بالملئكة والرسل
والكتب المنزلة عليهم ويشترط التفصيل فيما يلاحظ تفصيلا
كجبريل وميكائيل وموسى وعيسى والتوراة والانجيل فمن لم
يصدق بواحد معين منها كفر الثاني انه التصديق بالقلب

والاقرار باللسان والعمل بالاركان فمن اخل بشيء منها فهو كافر وهو
قول الخوارج ولهذا كفروا بالذنب لانتفاء جزء الماهية اذ ماهيته
عندهم اي حقيقته مركبة من الثلثة وهو مبني على انه لا واسطة
بين الايمان والكفر اما على مذهب المعتزلة من اثبات الواسطة
فلا يلزم عندهم من انتفاء الايمان ثبوت الكفر وان وافقوا الخوارج
في اعتبار الاعمال فانهم يخالفونهم من وجهين احدهما ان المعتزلة
يقسمون الذنوب الى كبائر وصغائر وارتكاب الكبائر عندهم
فسق والفاسق عندهم ليس بمؤمن ولا كافر بل منزلة بين منزلتين
والثاني ان الطاعة عند الخوارج جزء فرضا كانت او نفلا وعند الجبائي
وابنه واكثر معتزلة البصرة الشرط هو الطاعات المفترضة من الافعال
والتروك دون النوافل القول الثالث هو ان الايمان التصديق
باللسان فقط بان يأتي بكلمتي الشهادة فان طابق تصديق القلب
فهو مؤمن ناج والا فهو مؤمن مخلد في النار وهو قول الكرامية
فليس لهم كبير خلاف في المعنى الرابع هو التصديق بالقلب
واللسان اي تصديق بالجنان واقرار باللسان وهو منقول عن
ابي حنيفة ومشهور عن اصحابه وكذا عن بعض المحققين من
الاشاعرة واحتجوا بانه لما كان الايمان لغة هو التصديق والتصديق
كما يكون بالقلب بمعنى اذعانه وقبوله لما انكشف له يكون باللسان بان
يقر بالوحدانية وحقية الرسالة لوحظ فيهما فتكون كل منهما ركنا
في الباب اي لا تثبت الايمان الا بهما الا عند العجز عن النطق فعلى الاول
من صدق بقلبه فقط فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى والاقرار
شرط لاجراء احكام الدنيا من الصلوة خلفه ودفنه في مقابر المسلمين
وغيرهما واظهاره للامام وغيره من اهل الاسلام انما هو لهذا الغرض

واما

واما الاتمام الايمان فتكفي مجرد التكلم وان لم يظهر على غيره اي سوا
اجعلناه ركنا ام شرطا واتفق القائلون بعدم اعتبار الاقرار انه
يلزم المصدق انه يعتقد انه متى طولب به اتى به فان طولب فلم يقر
فهو كفر عناد ولا ينفعه التصديق القلبي كابي طالب والمعاندين
من احبار اهل الكتاب لكن قود المحلي ولا يعتبر التصديق بالقلب
في الخروج به عن عهدة التكليف بالايمان الا مع التلفظ بالشهادتين
من القادر عليه يقتضي ان الاقرار باللسان للقادر شرط لاجراء
احكام الدنيا ولصحة الايمان المنجي في الاخرة وعلله بانه الشارع جعله
علامة لنا على التصديق الخفي عنا ونقل هذا عن الجمهور اي انه
ان مات مصدقا بقلبه ولم يقر بالشهادتين مع القدرة فتصديقه
لا ينجيه في الاخرة وان لم يعرض عليه الا ان يحمل قوله عن عهدة التكليف
بالايمان اي عندنا بدليل قوله علامة لنا وعلى الاول ايضا يكون
عاصيا بترك الاقرار وان يطالب به لترتب صحة جميع اعمال الجوارح عليه
والى الاول ايضا مال الغزالي فقال كيف يعذب من قلبه مملو
بالايمان وهو المقصود الاصلي غير انه لحقا به ينبط بالاقرار الظاهر
فعلى هذا هو مؤمن عند الله غير مؤمن في احكام الدنيا كما ان
المنافق المصدق منا للاقرار دون التصديق بالقلب كان مؤمنا
في احكام الدنيا كافرا عند الله وهو ظاهر كلام شيخه في الارشاد
فعلى هذا ليس الاقرار ركنا للايمان ولا شرطا بل هو واجب من
الواجبات يعصي بتركه وشرط لاجراء احكام الدنيا حتى لو
اتى بالاقرار بينه وبين نفسه كان مؤمنا عند الله قطعا غير
مؤمن عندنا لترك اظهاره لنا وعجبنا ه صحح التفتازاني في
شرح العقايد والتحقيق الذي اراه ما نقل عن الجمهور وهو

ان التصديق القلبي لا يكون منجيا في الآخرة الا مع الاقرار من القادر
عليه سواء جعلناه ركنا للايمان ام شرطا لصحته ويدل له مع ما مر خبر
الصحيحين ما من احد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار دل بمنطوقه على ان التحريم
على النار يعتبر فيه الامران وبمفهومه على ان من عرى عنهما
او عن احدهما لا يحرم على النار واما كون التحريم بمعنى لا يدخلها او
لا يخلد فيها ان ارتكب ما يقتضي دخولها فمسئلة اخرى لاتفاق
اصحابنا على ان مرتكب الكبيرة اذا اتى بهما لا يقطع بتحريمه عليها بل
هو داخل تحت المشيئة على ما مر من التحقيق ويدل له ايضا خبر
الصحيحين من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله الى ان قال ادخله الله الجنة على ما كان منه من العمل
وفيه ما في الاول من التاويل وخبر الصحيحين ايضا المار في الشفاعة
حيث قال ايذن لي فيمن قال لا اله الا الله الى اخره وقوله في خبر
البخاري المار ايضا اسعد الناس بشفاعتي الحديث فانه علق
النجاة في هذه الاحاديث على القول والعقد معا بل مفهوم قوله
ايذن لي الى اخره وقوله تعالى لاخرجن منها من قال لا اله الا الله
يقتضيان ان من لم يقلها لا يجوز الشفاعة فيه ولا يجوز انه
يخرج منها ويؤيده ايضا خبر من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة
رواه ابو داود باسناد حسن والحاكم باسناد صحيح اذ علق دخول
الجنة بالقول ولم يكتف بالعقد واما خبر اخراج من في قلبه من
الخير ما يزن شعيرة وفي رواية برة وفي رواية ذرة وخردلة
وفي رواية من ايمان فالمراد كما قال النووي ما يكون من ثمرات
الايمان لان التصديق القلبي لا يتجزأ ولا يختلف جمعا بين الادلة

يعضده

٦٤

ويعضده ما اخبر الله تعالى به عن اهل الكتاب حيث قال الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم
لا يؤمنون فانه تعالى اخبر بمعرفتهم له وكونه نبيا ويلزمه اعتقاد
حقيته جميع ما جاء به ثم اخبر بانهم لا يؤمنون اي لا يقرون بالسنتهم
وهو يعم من عرض عليه الاقرار وغيره فدل على ان المعرفة القلبية
دون اقرار لا تكون ايمانا منجيا في الآخرة بل قد لا ينجيان معا وذلك
ما اذا وجدا عند الغرغرة او عند معاينة العذاب او اشراط الساعة
الكبرى كطلوع الشمس من مغربها لقوله تعالى وليست التوبة
للذين يعملون السيئات الاية وقوله الآن وقد عصيت وقوله
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقوله يوم ياتي بعض آيات
ربك الاية وكل هذا مما يدل على ان التصديق القلبي وحده لا يكفي
بل لا بد من ضميمة غيره فان قيل قد جعل النبي صلى الله عليه
وسلم الاقرار من اركان الاسلام لا من اركان الايمان وذلك
في حديث جبريل حيث قال الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله
الى اخره وكذا في حديث ابن عمر حيث قال بني الاسلام على خمس
شهادة ان لا اله الا الله الى اخره قلنا وقد جعل الاقرار ركنا من اركان
الايمان في حديث وفد عبد القيس حيث قال اتدرون ما الايمان
بالله وحده قالوا الله ورسوله اعلم قال شهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله الحديث والحاصل ان الشيء قد يكون ركنا
لشيء وركنا لشيء اخر اذا وجد معنى جمعهما كالنية لما كان معناها
شرعا قصد الشيء مقترنا بفعله جعلت ركنا في الوضوء وركنا
في الصلوة وغيرها فكذا الايمان لما كان معناه التصديق
وهو الاذعان معناه انقياد القلب واعترافه بما انكشف له

والاعتراف معنى يشمل اذعان القلب واقرار اللسان جعل الاقرار
ركنا له وان جعلنا الاقرار شرطا لصحته فالشيء قد يكون شرطا
لشيء وركنا لشيء آخر كغسل الوجه في الوضوء فانه شرط من جملة
شروط صحة الصلوة وركن من اركان الوضوء وبالجملة فقد ضم
الى التصديق القلبي وحده او مع الاقرار على القول بركنيته
او بشرطيته لصحته امور الاخلال بها اخلال بالايمان اتفاقا كترك
السجود للصنم وترك الاستخفاف بنبي او بالمصحف او بالكعبة
ونحو ذلك مما هو في المبسوطات الاصولية والفروعية والله اعلم
فرع هل يشترط لصحة الايمان المنجي في الآخرة اي التصديق بما ذكر
معرفته بالدليل او يكفي التصديق الجازم الصواب الثاني لانه
النبي صلى الله عليه وسلم والسلف كانوا يكتفون به ممن لا يتأتى
منه النظر كالنساء واجلاف الرجال وعليه من امكنه النظر ولم
ينظر اي لم يعرف ذلك بالدليل يصح ايمانه ويكون عاصيا بترك
النظر فيما ثم لما مر في صدر المنظومة من اجماع السلف على
وجوب النظر في المعرفة لان التصديق بدون نظر معرض
كل وقت للتردد بعروض شبهة بخلاف التصديق الصادر عن
الدليل فانه يحفظ عن التزلزل غالبا والله الموفق والهادي
تتمة قد ذكرنا فيما مر من الشفاعات ثلاثا وهي الاراحة من
الموقف وادخال من لا حساب عليه من هذه الامة من الباب
الايمن من ابواب الجنة واخراج قوم من الموحدين من النار
فالاوليان خاصتان بالنبي صلى الله عليه وسلم والثالثة يشاركه
فيها غيره كما مر وبقي شفاعات اخر الرابعة في جماعة استحق
النار حتى لا يدخلها ولكن هل يقع وهل يشاركه فيها غيره الخامسة

في

في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها وجوز النووي اختصاصها
به صلى الله عليه وسلم السادسة في تخفيف العذاب عمن استحق
الخلود في النار بادون ما كان كابي طالب ومن السمعيات ايضا
عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين لانها ممكنة وقد اخبر الصادق
عنها فيجب الايمان بها واليها اشرت بقولي مع عذاب القبر اي
ونعيمه في اخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم صحيحة بل متواترة
المعنى ليس لها مبادي اي معارض يصرفها عن ظواهرها لا
من العقل ولا من النقل فوجب اعتقادها ويسئل المنكر والنكير
الميت وهما ملكان عظيمان ففي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما يعذبان
وما يعذبان في كبير ثم قال بلى اما احدهما فكان يمشي بالنميمة
واما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله قوله في كبير اي عندهما وقوله
بلى اي انه كبير عند الله تعالى وفي الصحيحين وغيرهما ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال عذاب القبر حق وفيهما انه صلى الله عليه وسلم انه كان
يستعيذ من عذاب القبر وان قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت نزلت في عذاب القبر يقال له من ربك وما دينك
ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم
وقال الله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
الآية وقال في قوم نوح اغرقوا فادخلوا نارا والفاء للتعقيب وقال
حكاية عن الكفار ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين والموتة الثانية
هي التي بعد السؤال وفي الصحيحين وغيرهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه حتى انه
يسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له

ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبد الله
ورسوله فيقال له انظر مقعدك من النار قد ابدلك الله به
مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا واما
الكافر والمنافق فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيه
فيقال له لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين
اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين وفي رواية لابي
داود وغيره فيقولان له من ربك وما دينك وما هذا الرجل الذي
بعث فيكم فيقول المؤمن ربي الله وديني الاسلام والرجل المبعوث
رسول الله ويقول الكافر في الثلاث لا ادري وفي رواية للترمذي
يقال لاحدهما المنكر وللاخر النكير وفي رواية للبيهقي فياتيه
منكر ونكير **ويقعدان** اي المنكر والنكير **من له ذنب كبير** دون
الصغير اذا لم يصر عليه لانه مكفر باجتناب الكبائر كما مر وسياتي فانه
قيل كيف ساغ التعبير بمن له كبير والاحاديث انما هي في الكافر او
المنافق قلنا هو ماخوذ من خبر صاحبي القبرين لان النبي صلى الله عليه
وسلم لا يشفع في الكافر والمنافق فلزم كونهما مسلمين وان النميمة
وعدم الاستبرا من البول كبير لانه يودي الى الدخول في الصلوة بنجاسة
فيه بما صححه القاضي الحسين والبغوي من اصحابنا الفقهاء انه
يجب الاستبرا واما الكافر والمنافق فبطريق الاولى لكون ذنبهما اعظم
ويكون القعود المذكور **بفزع بهول** اي يفزع لشدة هوله **يدعا** اي
يسمى ذلك القعود **مرزبة** بكسر الميم وسكون المهملة وفتح المعجمة
والموحدة اي مطرقة من حديد كما في الرواية المارة فيقع بتلك
المرزبة **حتى يصير تربة مترابة** اي مفتتة ففي رواية لاحمد وابي
داود انه يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه ثم يقيض له اي

يسلط

يسلط عليه اعمى اصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا
فيضربه بها ضربة فيصيح صيحة يسمعها ما بين المشرق والمغرب الا
الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح والحكمة في كونه اعمى اصم انه
لا يرى عجزه فيرحم ولا يسمع زفيره فيرق له فالظاهر انه تمثيل لتغلظ
عليهم كما قال الله تعالى في ملائكة النار الموكلين بعذاب اهلها عليها
ملائكة غلاظ شداد لا يعصون ولانه القول الذي لا فائدة فيه
لا يراد استماعه كقول السامع انا اصم عن القول الذي لا اريده
واسمع خلق الله حيث اريده ولا يصير تربة الا **من بعد ما صاح**
بصوت هايل **من حضر** الميت **يسمعه هذا** الصوت الهايل **غير جن**
وبشر وهما الثقلان المذكوران في الحديثين وفي قوله من حضر
اشارة الى رواية الصحيحين حيث قال لا يسمعها من يليه وان كانت
اعم من الحاضر وغيره ويحمل قوله في الرواية الاخرى يسمعها ما بين
المشرق والمغرب على ما بينهما ممن يليه وفي الصحيحين ايضا عن ابن عمر
مرفوعا ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان
من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال
هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيمة فان قيل ما الحكمة في عدم
سماع الثقلين فالجواب ما ذكره في رواية مسلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لولا ان تدافنوا لاسمعتكم من عذاب القبر فان معناه لو
اسمعتكم ذلك لاستولى عليكم الرعب وحملكم على التحرز عن الاموات
والتباعد عنهم والاعراض عن الاشتغال بدفنهم مخافة ان تصيحوا
الاحتذار من عذاب القبر فانه اذن ما يرد من قدرة الله تعالى ولا
من عذابه كذا قيل في معناه ويحتمل ان المراد ان اسماعهم يفضي الى
فزعهم واشفاقهم من عذاب الله تعالى فيحملهم ذلك على ترك الدنيا

والقرار منها والاشتغال بالعبادة والاقبال على الله تعالى بالكلية فقد
يموت احدهم ولا يشعرون به لما هم فيه من الاشفاق وشدة
الفزع فيؤدي ذلك الى ترك دفنه وهو مفسدة ففي ترك اسماعهم
صلاحهم وانتظام معاشهم ولهذا قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا
والله سبحانه اعلم ويؤخذ من الحديث ان سماع عذاب القبر جائز
وقد يقع لبعض الافراد على سبيل خرق العادة وقد صح لنا ذلك
عن ثقات سمعوه وانكر السؤال وعذاب القبر ونعيمه جماعة
منهم ضرار بن عمرو وبشر المريسي واكثر متأخري المعتزلة متمسكين
بان ذلك يقتضي اعادة الحيوة الى البدن لفهم الخطاب ورد
الجواب وادراك اللذة والالم وذلك منتف بالمشاهدة وجوابهم
انا نمنع اقتضاء ذلك عود الحيوة الكاملة الى جميع البدن بل يكفي
عودها الى الجزء الذي به فهم الخطاب ورد الجواب لان الحي لم يكن
يفهم بجميع بدنه بل بجزء من باطنه وهو قلبه واحيا بجزء يفهم
ويرد ممكن مقدور لله تعالى وامور البرزخ لا تقاس بامور الدنيا
وبهذا التقرير يظهر بعد قول من قال منا لا يخلق في الميت قدرة ولا
فعل اختياري ووجه بعده انه مجرد استبعاد عادي لا دليل عقلي
ولله ان يخرق العادة اذ كيف يجيب الملكين بدون ذلك وهذا القائل
معترف به وما استحاله المنكرون من جهة ان اللذة والالم والتكلم فرع
الحيوة والعلم والقدرة ولا حياة بلا بنية ومن جهة انه لا يسمع
سؤالنا لقوله وما انت بمسمع من في القبور مع ان من الموتى من يحرق
فيصير رمادا تذروه الرياح فلا تعقل حياته وسؤاله مجرد استبعاد
عادي كما قالوه في الروية والعادي لا ينفي الامكان الذاتي والقدرة
صالحة لخرقه فلا تشترط في الحيوة البنية ولو سلم جاز ان يحفظ الله

تعالى

تعالى من الاجزاء ما يتأتى به الادراك وان كان في بطون السباع وقعور
البحار وغايته كونه قبرا له ولا يمتنع ان يشاهد الناظر منه ما يدل على
ذلك فان النائم ساكن بظاهره ومع ذلك يدرك من الالم واللذة ما لا
يدركه من هو بجنبه من المستيقظين فيحس عند يقظته تأثير ضرب
رآه في منامه وخروج مني رآه من جماع في منامه وقد كان النبي صلى
الله عليه وسلم يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله من اصحابه او
يزاحمه في مكانه كعائشة اذا كانت معه في فراش واحد لا يشعر بذلك
وانكار السؤال وما ذكر معه يؤدي الى انكار ما ذكر عنه عليه السلام من
سماع كلام جبريل ورؤيته دون من عداه ممن حوله وانكاره كفر والحاد
في الدين وايضا فالادراك والاسماع عندنا انما هو بخلق الله تعالى
فاذا لم يخلقه لبعض الناس لم يوجد كما قال تعالى ولا يحيطون بشيء من
علمه الا بما شاء ولا يلزم من عدم خلقه لهذا البعض مثله لغيره والجواب
عن استدلالهم بالاية انه لا يلزم من عدم الاسماع عدم ادراك المدفون
مع ان للاية معنى آخر ذكره المفسرون هو اقرب الى المقصود وهو
ان المراد بالاموات في قوله تعالى وما يستوي الاحيا ولا الاموات
الكفار وبالاحيا المؤمنون لقوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه
الاية وقوله وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على
الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم وقيل المراد العلما والجهال
فان الجاهل بمنزلة الميت فلا يسمع سماع نفع ولا يعقل ما ينتفع به في
اخراه فكانه مطبوع على قلبه لقوله كذلك يطبع الله على قلوب الذين
لا يعلمون لان جهلهم مركب فعلاجه عسر ونظيره ومنهم من
يستمعون اليك الايتين فانه تعالى جعلهم صما عميا مع اسماعهم
ونظرهم لعدم انتفاعهم بمشاعرهم وبعد اتفاق اهل الحق على اعادة

الحيوة الى ما يدرك به الالم واللذة من جسد الميت تردد كثير منهم في
اعادة الروح اليه ومنعوا انه لازم الروح فالحيوة الحي في العادة واما في
العقل فلا تلازم بينهما وعليه فقد تعود الحيوة دونه عود الروح خرقا
للعادة وما يتوهم من امتناعه ممنوع ومن الحنفية من اوجب التصديق
به وكف عن الخوض فيه وفوض امره الى الله كما هو شان السلف فيما اشكل
ظاهره وعليه جرى الناظم فيما مر فرع الاصح ان الانبيا لا يسئلون
ولا اطفال المؤمنين لانه قد ثبت ان الشهيد والمرابط لا يسئلان
واين هما من الانبيا عليهم السلام واطفال المؤمنين مؤمنون غير
مكلفين واختلف في اطفال المشركين هل يسئلون وهل يدخلون
الجنة او النار فتردد فيهم ابو حنيفة وغيره لتعارض اخبار وردت
فيهم فالاولى الوقف والثاني هم في النار وحكاه النووي عن الاكثر
والثالث وصحح انهم في الجنة لحديث كل مولود يولد على الفطرة واليه يميل
محمد بن الحسن لقوله اعلم بالمضارع ان الله لا يعذب بلا ذنب تتمة
ومن السمعيات ايضا الحوض وهو منهل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يكرم به يوم القيمة فيرده الاخيار ويذاد عنه الاشرار فيجب الايمان به
لانه ممكن وقد اخبر الصادق عنه اما امكانه فظاهر واما اخبار الصادق
عنه فقد نقل عنه بروايات كثيرة صحيحة عن جماعة كثيرة من الصحابة يفيد
مجموعها التواتر المعنوي منها في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو حوضي
مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه
كنجوم السماء من شرب منه لا يظما ابدا وفي رواية لهما حوضي مسيرة شهر
وزواياه سواء وماؤه ابيض من الورق اي الفضة وفيهما ايضا من
حديث انس ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة وفي رواية
لهما مثل ما بين المدينة وعمان وفي رواية لمسلم من حديث ابي ذر وعرضه
مثل

مثل طوله ما بين عمان وايلة وفي رواية لهما من حديث ابن عمر ما بين جنبيه
كما بين جربا واذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة
ثلث ليال وفي رواية مسلم واني لاصد الناس عنه كما يصد الرجل ابل الناس
عن حوضه قالوا يا رسول الله اتعرفنا يومئذ قال نعم لكم سيما ليست
لاحد من الامم تردون علي غرا محجلين من اثر الوضوء وفي رواية له ترى
فيه اباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء ولم يغت فيه ميزابان
يمدانه من الجنة احدهما من ذهب والاخر من ورق ولهما انا فرطكم على
الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظما ابدا ليردن علي اقوام اعرفهم
ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فاقول انهم مني فيقال لا تدري ما احدثوا
بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدي يغت بضم الغين المعجمة
وتشديد الفوقية اي يجري جريا متتابعا وعمان بفتح المهملة وتشديد
الميم بلدة بالاردن سميت بعمان بن لوط عليه السلام اي وليس هو
عمان الصقع المعروف من اعمال صحار فانه بالضم والتخفيف قيل سمي
بعمان بن سبا بن ابراهيم لانه كان اول من اختط وجربا بجيم مفتوحة
فرا مهملة ساكنة فموحدة بعدها مد واذرح بهمزة مفتوحة فمعجمة
ساكنة فمهملتين الاولى مضمومة وليس القصد من هذا الاختلاف
في التقدير التحديد بل الاعلام بسعته جدا وانه ليس كحياض الدنيا
فخاطب صلى الله عليه وسلم كل فريق بما يعرفه من المسافة البعيدة و
تارة قدره بالزمان فقال مسيرة شهر من غير قصد لتحديد وظاهر
هذه الاخبار ان الحوض يكون في الموقف قبل دخول الجنة لان من
دخلها لا يظما ولا يشرب من ظما ولان الذود وهو الطرد لا يكون
الا في غير الجنة لان داخلها مقبول مكرم فهو غير الكوثر اذ الكوثر
في الجنة بدليل رواية البخاري بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر

حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي
اعطاك ربك فاذا طينه او طيبه مسك اذفر شك هدبة راويه وروا
ابن ماجه بلفظ الكوثر نهر في الجنة حافتاه الذهب مجراه على الدر والياقوت
تربته اطيب من المسك واشد بياضا من الثلج فيحمل حديثهما عن انس
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا في المسجد اذا اغفى اغفاة ثم
رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال نزلت علي انفا سورة
فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان
شانئك هو الابتر قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال
انه نهر اي في الجنة وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض
ترد عليه امتي يوم القيمة انيته عدد نجوم السما على ان قوله هو حوض
عايد على الخير الكثير والخير الكثير هو الحوض وهو على النهر بمعنى انه
يستمد فعلى هذا تكون الميزابان يصبان من الكوثر الى الحوض
وقد ورد في رواية كذلك بلفظ يغت فيه ميزابان من الكوثر ويويده
ان سورة الكوثر مدنية ورويته صلى الله عليه وسلم للجنة وسيره
فيها انما كان ليلة الاسرا وكان ذلك بمكة قبل الهجرة الا ان يحمل هذه
الروية والسير على التمثل كما مثلت له في عرض الحايط وهو بعيد
ويحتمل ان يسمى كل منهما كوثرا ولهذا قال القرطبي كما في شرح النقايه
هما حوضان الاول قبل الصراط وقبل الميزان على الاصح فان الناس يخرجون
عطاشا من قبورهم قبل الميزان والصراط والثاني في الجنة وكلاهما
يسمى كوثرا انتهى وكون الكوثر هو الحوض قال به عطا من المفسرين
بناء على ان قوله هو حوض يعود على النهر والصحيح ما قلناه فان قيل
على التعدد فهل الكوثر الذي في الجنة ما يختص بالنبي صلى الله عليه
وسلم بين منازله وما ينسب اليه من الملك الكبير الذي يكون له ثم ما

فاض

فاض منه يكون لمن شاء الله من امته او وغيرهم او مما يعمه واياهم
بان يكون في حضره من صدا لاكرام من زاره من امته الظاهر الاول والله
اعلم وفي الكوثر قول اخر مال اليه ابن عطية وغيره من المفسرين وهو
ان الكوثر الخير البالغ في الكثرة الذي اوتيه صلى الله عليه وسلم من العلم
والعمل وسائر ما اوتيه من فضائل الشرف وفي البخاري عن ابي بشر عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال الكوثر هو الخير الكثير الذي
اعطاه الله اياه قال ابو بشر قلت لسعيد فان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة
فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الكثير وقيل المراد بالكوثر اولاد
النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه او علما امته او القران قلت ولا يبعد ان
يراد كل منها اما النهر والحوض فظاهر واما الاولاد فلان قريشا قالت
في النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس له ولد وسيموت وينقطع اثره فاكذبهم
الله تعالى ووعده بالاولاد الكثيرين الطيبين المنتشرين في الارض
الى اخر الزمان جيلا وكذلك حتى انه ظهر فيهم من العلما والائمة ما لم يظهر
في غيرهم وهذا هو المناسب لقوله تعالى ان شانئك هو الابتر واما
كونهم الاتباع او العلما من امته فلان مناضلتهم عما دعا اليه بالسيف
والسنان وتقريرهم قواعده بالحجة والبيان وردهم على من حاد عنه
من اهل الزيغ والطغيان يبطل ما توهمته قريش حيث قالوا ينقطع
اثره بل اثره باق ودينه عال الى يوم القيمة واما القران فظاهر اذ
هو البحر الذي لا ساحل له والله اعلم فايده روى الترمذي عن الحسن
عن سمرة وقال الحسن غريب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
لكل نبي حوضا وانهم ليتباهون ايهم اكثر وارده واني ارجو ان اكون
اكثرهم وارده صلى الله عليه وسلم **القول في بعثة الرسل عليهم السلام**
جوازا ووقوعا **وكرامات الاوليا** كذلك ايضا **وما يتعلق بذلك** من

قف على بعثة الرسل

الفرق بينها وبين المعونة والاستدراج والاهانة والكلام على
الارهاص والمعجزة وايضاح كل منها اما الجواز فلانها اي البعثة
في حيز الامكان بل في العقل ما يقتضي الرجحان لما علم من سعة
رحمة الله تعالى وكمال عدله وحكمته وقد خلق الانسان بحيث لا
يستقل وحده بامر معاشه لاحتياجه الى غذاء ولباس ومسكن و
سلاح وكلها صناعية وسائر الحيوانات حصول ذلك له طبيعي والشخص
الواحد منا لا يمكنه القيام باصلاح تلك الامور عادة فاحتاج الى مشاركة
اخر من ابناء جنسه ومفاوضة ومعاوضة تجريان بينهما بحيث يزرع
هذا ويحصد غيره ويدوس هذا ويطحن غيره ويخبز هذا ويأكل غيره
ويغزل هذا وينسج غيره ويخيط هذا ويلبس غيره ونحوها مما لا يحصى
من الجزئيات فينتظم امر معاش كل من بني نوعهم بما ذكر ولذلك قيل الانسان
مدني بالطبع اي محتاج الى المعاونة والمعاضدة ولا يتم ذلك الا اذا
كان بينهم معاملة وعدل لان كل واحد يشتهي ما هو محتاج اليه ويغضب
على مزاحمة لا سيما في الخبز لانه مطلوب لذاته وحصول المقاصد
يستدعي فواتها على الغير فيؤدي الى المزاحمة والغضب والجور والظلم
فيختل امر الاجتماع فاحتاجوا حينئذ الى العدل في المعاملة وهو
غير متناول للجزئيات التي لا تنحصر فلا بد من قانون يحيط
بها ويمنع من ذلك والقانون لا بد له من واضع فالقانون هو الشرع
والواضع له هو الله تعالى ولا بد من شخص من نوعهم يبلغهم هذا
القانون ولا بد لهذا الشخص من ايات ظاهرة ومعجزات باهرة
يتميز بها عنهم ويدل على انه من عند ربهم وتحث على اجابته وتصديقه
في مقالته وهو النبي ثم ان اكثرهم لا يمتثل القانون بمجرده لما غلب
عليهم من استيلاء الشهوة والغضب فلا بد من سايق وقايد وهما

الخوف

الخوف والرجا فيكون انتظام الشرع بذلك اتم فوجب ان يبين لهم الطاعة
والمعصية وان للمطيعين والعاصين جزاء من عند الله العليم بما يبدونه
ويخفونه من اقوالهم وافعالهم وافكارهم القدير على مكافاتهم ومجازاتهم
الغفور لمن يستحق المغفرة المنتقم ممن يستحق الانتقام لانه توعد المسيء
بالعقاب ووعد المحسن بالثواب فوجبت معرفته اذ بها يحصل الخوف
والرجاء لان المجهول لا يخاف ولا يرجا وحينئذ فلا يشغلهم ذلك
المتميز بشيء من معرفة الله فوق معرفة انه واحد حق ليس كمثله شيء ولا
يكلفهم من الغوامض ما يشوش ويوقع فيما لا مخلص عنه بدليل حديث
السودا ومحله ما لم تدع حاجة الى اكثر بدليل حديث الاشعري كان الله
ولا شيء معه وحديث وكان عرشه على الماء وينبغي مع المعرفة سبب
يحفظها وهو التذكار الجامع للتكرار وانما يكون بعبادة للمعبود متكررة
في اوقات متتالية كالصلوة والصيام والحج والزكوة والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فيكون ذلك المتميز داعيا الى التصديق بوجود اله واحد
خالق عليم قدير والى الايمان بانه اي المرسل اليهم من عند صادق يجب
الاعتراف بوعده ووعيده وثوابه وعقابه والى القيام بعبادات يذكر
فيها الخالق بنعوت جلاله والى الانقياد الى الشرع الذي يحتاج اليه
الناس في معاملاتهم فيتم الدعوة الى العدل المقيم للنظام وبه علم
ان استعمال الشرع نافع في ثلاثة امور رياضة القوى النفسانية بمنعها
عن متابعة الشهوة والغضب وعن التخيلات والتوهمات والاحساسات
والافاعيل المثيرة للشهوة والغضب المانعة عن توجه النفس الناطقة
الى جناب القدس الثاني ادامة النظر في الامور العالية المقدسة عن
العوارض المادية والغواشي الحسية لتلاحظ الملكوت الثالث
تذكر انذارات الشارع ووعده للمحسن ووعيده للمسيء المستلزم لاقامة

العدل مع زيادة الاجر الجزيل والثواب العظيم في الاخرة ثم زيد للعارفين
من مستعمليها النفع الذي خصوا به فيما هم مؤتون ووجوههم
شطره فانظر الى الحكمة ثم الرحمة والنعمة تلحظ جنابك تبهرك عجائبه
ثم استقم واقم واما الوقوع فلمطابقة الواقع بالتواتر واجماع المليين ولا
عبرة بالمنكرين لها كما سياتي التنبيه عليه والى ما في الترجمة اشرت بقولي
وبعثة الرسل بمعجزات تدل على صدقهم **حق** اي جايزة واقعة لا محالة
والرسل بالسكون في النظم للوزن وبضمها الضم جمع رسول وهو انسان
ذكر اوحي اليه بشرع وامر بتبليغه سواء كان له كتاب او نسخ لبعض
شرع من قبله ام لا وقيل من له ذلك والنبي من ليس له ذلك او من لم
يؤمر بالتبليغ القولان فالنبي اعم عليهما وقيل هما بمعنى ويؤيده خبر
مسلم عن عمرو بن عبسة قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اي حين جاءه
ليسلم وهو مختف بمكة ما انت فقال انا نبي فقلت وما نبي قال ارسلني
الله الحديث ففسر النبي بالرسول وفي حديث النوم امنت بكتابك
الذي انزلت ونبيك الذي ارسلت فقال الصحابي ورسولك الذي ارسلت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل قل ونبيك الذي ارسلت ما قد يؤيده
ايضا لكن حديث ابي ذر الاتي في عدد الانبيا والرسل يقتضي الفرق
وعن بعض البراهمة او كلهم استحالتها وهم قوم من الهند يعبدون
صنما يسمونه برهم وقيل اصحاب برهام من حكما الهند وقالوا لا فايدة
في ارسال الرسول لان ما جاء به اما موافق للعقل بان يدرك العقل
حسنه فلا حاجة اليه لان العقل مغن عنه واما مخالف له فيترك اذ العقل
حجة الله على خلقه وما لا فايدة فيه عبث وهو على الله تعالى محال ورد
بان العقل لا يهتدي الى الافعال المنجية في الاخرة كما لا يهتدي الى
تمييز الادوية المفيدة للصحة من السمومات الا الطبيب العارف

بها

بها فالحاجة اليه كالحاجة اليه وايضا العقل لا يستقل بالكل فقد يدرك
بعضا ويقصر عن بعض فلا يهتدي اليه اصلا ويتردد في بعض فالمستقل
كادراك وجود الباري تعالى وعلمه وقدرته ثم عضده ما جاء به الرسول
واكده كما يتعاضد الادلة العقلية وما قصر عنه كالرؤية والمعاد الجسماني
وقبح صوم يوم العيد وحسن صوم اخر يوم من رمضان بينه وما تردد فيه
رفع عنه وجه التردد كشكر المنعم قبل ورود الشرع يحتمل المنع منه لانه تصرف
في ملك الله تعالى بغير اذنه ويحتمل وجوبه لكون تركه ترك طاعة وما
غلب على ظنه حسنه قطع ما جاء به الرسول من احتمال الوهم للعقل
كما يشير اليه قوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
وقوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا الاية فبين تعالى انه ارسل الرسل لقطع الحجة وفي تلك
الحجة وجوه احدها ان يقولوا ان كان الله خلقنا لنعبده فقد كان
يجب ان يبين لنا العبادة التي يطلبها منا انها ما هي وكم هي وكيف
هي ولئن وجب اصل الطاعة في العقل لكن كيفيتها غير معلومة لنا
فبعث الله الرسل ليقطع هذا العذر فانهم اذا بينوا الشرايع المفصلة
زالت اعذار العباد ثانيها ان يقولوا انك ركبتنا تركيبا سهو
وغفلة وسلطت علينا الهوى والشهوات فهلا امددتنا بالهنا
بين اذا سهونا نبهنا واذا مال بنا الهوى منعنا ولكن لما تركتنا مع
نفوسنا واهوائنا كان ذلك اغراءنا على تلك القبايح ثالثها ان يقولوا
هب انا علمنا بعقولنا ان من فعل القبيح عذب خالدا مخلدا لا سيما
ان لنا في القبيح لذة وليس لك فيه مضرة فلم نعلم ان من امن وعمل
صالحا استحق الثواب المخلد لا سيما وكنا قد علمنا انه لا ينفعك
في شي فظهر انه لم يكن مجرد العلم بالحسن والقبح داعيا ولا وازعا

فبعد البعثة اندفعت هذه الاعذار وايضا العقول تتفاوت
فالتفويض اليها يودي الى التنازع المفضي الى الفساد والهرج والمرج
فلا بد من قانون ورئيس يقوم به كما اعترف بعض البراهمة
برسالة ادم فقط وبعضهم برسالة ابراهيم فقط وما قيل من ان
البعث يتوقف على علم المبعوث بان الباعث له هو الله تعالى ولا سبيل
اليه مدفوع بانه قد ينصب له دليلا يعلم به ذلك وهو ظهور المعجز
الذي لا يقدر عليه مخلوق على يده او يخلق له علم ضروري بان
الباعث له هو الله تعالى والفلاسفة وان اثبتوا النبوة فانهم
اثبتوها على وجه مخالف لطريق اهل الحق لم يخرجوا به عن غيرهم
اي من المنكرين فانهم يرون ان النبوة لازمة في حفظ نظام العالم
المودي الى صلاح النوع الانساني على العموم لكونها سببا للخير العام
المستحيل تركه في الحكمة والعناية الالهية ويرون انها مكتسبة وينكرون
صدور البعثة عن الباري تعالى بالاختيار لانكارهم كونه تعالى
مختارا وينكرون كونها بنزول الملك من السما بالوحي لانكارهم
نزول الملك لاستحالة خرق العادة الافلاك عندهم وينكرون
كثيرا مما علم ضرورة مجي الانبياء به كحشر الاجساد والجنة والنار
وذلك الانكار مما كفروا به **فعم** بالهنا المجهود **الكل** اي كل الرسل
منا **بالصلاة** والتسليم **ارسلهم رب العباد** سبحانه **لطفا** بعباده
ورحمة للخلق ليست بتخفى على الناظر في تفاصيلها لما تقدم
من سعة رحمته تعالى وكمال عدله وحكمته فمن حكمته ان لا يعطل عبيده
عن الاوامر والنواهي لتكون حجة عليهم يوم القيمة كما مر والمراد باللطف
هنا ايصال البر على وجه الرفق دون العنف والرحمة ارادة ايصال
البر والنفس ايصاله على الوجهين المارين ومن تفاصيلها مع ما م
بيان

بيان منافع الاغذية والادوية ومضارها التي لا تفي بها التجربة الا بعد
ادوار واطوار مع ما فيها من الخطر ومنها تعليم الصنائع الخفية
من الحاجيات والضروريات ومنها تكميل النفوس البشرية بحسب
استعداداتها المختلفة في العلميات والعمليات ومنها تعليم الاخلاق
الفاضلة المتعلقة بصلاح الاشخاص والسياسات الكاملة المتعلقة
بصلاح الجماعات من اهل المنازل والمدن وقد علم ان ارسال الرسل
للتفضل من الله تعالى على خلقه **لا للوجوب** عليه **جل عنه وعلا**
علوا كبيرا لما مر من انه سبحانه لا يجب عليه شي وانه الموجب على عباده
ما اراد بايجاب الناهي لهم عما اراد والنهي عنه اذ الايجاب لا بد له من موجب
ومن ذا الذي يوجب على رب الارباب ان قيل العقل فهو هوس وتهجم
وجهل بالله اذ العقل مامور ومن يجب مقهور فلا ينقلب امرا قاهرا   ربا هو
وان قيل هو الموجب على نفسه اي تعلق علمه بوقوعه فلا يتخلف
لانه واجب الوقوع فهذا لا ينافي امكانه في نفسه كما قلنا فان اراد من
قال بوجوب البعثة على الله تعالى من الحنفية والمعتزلة هذا المعنى
فلا باس عليه الا انه مستهجن عند الاطلاق فيجب التقييد وتركه اوجب
لما قلنا ولكونه مبتدعا وان ارادوا ما بنوه على اصلهم من وجوب
الاصلح وانها منه فقد علم بطلانه وقد نقل التفتازاني في المقاصد
وشرحها هذا القول وانبا عن المعتزلة ونقل صاحب المواقف
عن بعضهم قاد وفصل بعضهم فقال اذا علم الله من امة انهم
يومنون وجب الارسال اليهم لما فيه من استصلاحهم وان علم
انهم لا يومنون لم يجب ولكن يحسن قطعا لاعذارهم وهو ايضا
مبني على اصلهم وهو التحسين والتقبيح عقلا اي من غير مخالف لوفاق
فانذروا اي الرسل **وبشروا من عقلا** لانهم المقصودون

بالتكليف دون غيرهم وانما قدمت
فالمخاطبون به بالدعوة والمواجهون به
النذارة في الذكر على البشارة لانها اهم اذ هي عن محذور واهتمام
العاقل بالتحرز عنه اكثر من اهتمامه باجتلاب المحبوب والمعجزات
في البيت الاول جمع معجزة وهي ما يعجز الخلق عن الاتيان بمثله يدل
على صدق مدعي النبوة ويسمى ايضا معجزا واشرت اليه بقولي **ومعجز**
النبي اي الشي الذي ياتي به النبي ويعجز الناس عن اتيانهم بمثله
امر اي شي عظيم **خارق** للعادة اي مخالف لها كقلب العصا حية
وفلق البحر واحيا الموتى وابرا الاكمه والابرص بسحم وانشقاق القمر
بالاشارة اليه ونبع الماء من بين الاصابع واشباع الجيش الكثير من صاع
من شعير فان كلا منها مخالف للعادة وليس من مقدور الخلق
فعلمنا انه من فعل الله تعالى وخرج به غير الخارق لها كطلوع الشمس
كل يوم من مطلعها **وبه سما** اي علا **عن الكذوب** اي الساحر
والمشعوذ **الصادق** وهو النبي المرسل لان حالهما تنافي حالهما كما سياتي
في تعريف الولي واولى **وخرق العادة** المذكورة **بالتحدي** اي مع
التحدي وهو طلب المعارضة بالمثل لان معناه في الاصل طلب المباراة
في الحدي بالابل ثم توسع فيه فاطلق على المعارضة بالمثل في اي امر
كان وخرج به الكرامة اذ ليس فيها تحد كما سياتي حال كون الخرق المذكور
موافق الدعوة اي موافقا لدعوة النبوة وخرج به الاهانة كما سياتي
وموافقته للدعوى ان يقول مثلا انا نبي ارسلني الله اليكم وجعل
لي بينة تدل على صدقي وهي اية كذا فيوجد الله تعالى تلك الاية
التي يعجزون عنها موافقة لدعواه فاعجازها كذلك مع صلاح حاله
ودعائه الى الله تعالى **لصدق يهدي** اي يهديهم بمعنى
يدلهم على تصديقه اي انه صادق في دعواه اذ لو كان كاذبا لما

لما اظهره الله ذلك على يده من غير سبق اعلام ببيان حاله ليخرج الدجال
بهذا القيد كما سياتي **وعجزهم** اي وعجز من طلب منه المعارضة عن
الاتيان بمثل ذلك الخارق **يوكد** ذلك **التصديقا** الصادر منهم
اي يقويه ويثبته سواء كان من جنس مقدورهم فاعجزهم الله تعالى
عنه كقول المتحدي ان اضع يدي على راسي وانتم لا تقدرون فيفعل وعجزوا
وكالقول بالصرفة ام لم يكن كاحياء الموتى واشارته الى شجرة ان قف
باذن الله فوقف وكالقران على القول بعدم الصرفة وهو الحق لانهم
قبل المعارضة والعجز يتخيل لهم الاتيان بمثله وان كانوا قد صدقوا
بقلوبهم لعلمهم بانهم لا يمكنهم الاتيان بمثله فاذا عارضوا وعجزوا تاكد
التصديق عندهم وارتفع ذلك الوهم كما اتفق لسحرة فرعون حين
ابتلعت العصا ما القوه من السحر ولم يبالوا بعد بتهديد فرعون
وتوعده لهم بالصلب والقطع وظاهر النظم ان الثلثة الاول كافية
في حصول الصدق وان الرابع موكد له وهو التحقيق ومنهم من جعله
ركنا من اركان المعجزة **ثم التحدي** المذكور **منه** اي من النبي **لن يليقا**
اي لا يجب في تحقق المعجزة التحدي **في كل وقت** يظهر فيه ذلك الخارق
خلافا للسهيلي في اشتراطه قال والعاري عنه يسمى علامة لا معجزة
وكانه لاحظ لفظ المعجزة والعجز لا يتحقق الا عند طلب المعارضة
وهو التحدي فالخلاف لفظي اي فكما يسمى علامة اي انه تدل على
صدقه هل تسمى معجزة فعنده لا وعندنا نعم ولهذا قلت **بل ان اصح**
اي وجد التحديد في ابتداء الدعوة **كفى** في تسمية الخارق بعده معجزا
ظهوره اي ظهور الخارق المقرون بالتحدي **في اول الامر** اي
في اول ادعا النبوة سواء اوجد بعد ذلك كما تحداهم النبي صلى الله
عليه وسلم ان ياتوا بمثل القران فعجزوا ثم تحداهم ان ياتوا بعشر سور

مثله فعجزوا ثم تحداهم ان ياتوا بسورة واحدة فعجزوا ام بسائر الخوارق
التي كانت تظهر على يديه صلى الله عليه وسلم من غير تحد بل قد تكون
بين المومنين الخلص الذين لا يشكون في صدقه فالتحدي حينئذ
لا يليق اذ لا فايدة فيه وكذا فلق البحر لموسى ونحوه ووجه كون
غير المقرون بالتحدي بعد وجوده اولا معجزا اي تسميته بذلك
انه من جنس ما يعجز عنه البشر والتحدي منسحب اليه حكما فكانه
يقول من حين ابتدا الدعوى الى ان توفاه الله تعالى كل ما وقع
لي من الخوارق فهو دليل صدقي اني رسول الله فهل منكم من ياتي
بمثله وهذا كاين على ما عرفا عند اهل العلم من احوال نبينا
صلى الله عليه وسلم واحوال الانبيا قبله وقد ضرب المتكلمون مثلا
لصدق المدعي سينا فنظمته في قولي لو ان ملكا بسكون اللام
اي ملكا من ملوك الارض في الملا من قومه اي الوجوه والروسا الذين
يملاون الاعين روا وعادة قد ارسلا الى فريق في اخر مجلسه
مثلا لامور يريدها منهم مرسلا مفعول ارسل بمعنى رسول
وكان هذا الملك جالسا في تخته اي بباب كرسي ملكه ولا يقوم
عنه عادة اي بطريق العادة المستمرة في وقته الذي يجلس
فيه المجلس العام فانكر الفريق المذكور ذي الرسالة الصادرة
عن الملك وطالبوا المرسل المذكور بشاهد يشهد له بصدق
دعواه رسالة الملك ليحملوا الصدق على ذلك الشاهد احالة
تدلهم على صدقه فيعتمدونها فقال ذا المرسل للمليك الصادر
عنه الارسال يا ايها الملك ان كنت قد صدقت في انك ارسلتني اي
ارسالي من قبلك اذ الالوكة هي الرسالة ومنها اخذ لفظ ملك
واصله ملاك اذ هو مقلوب مالك فخالف العادة التي تالفها

من

٧٤

من الجلوس في هذا الوقت بهذا المجلس العام ثم قم على سريرك الاتي
تجاه اي الامام العقلا اي مواجها لهم ليعلموا صدقي فيما ادعيت
فقام هذا الملك على سريره مخالفا العادة قاصدا الاجابة لرسوله
ثبت صدقه اي الرسول المذكور عندهم قطعا بما اي فيما اتى به
فيه الملك من الرسالة لتنفيذ تلك الامور وهذا المثل الذي ضربوه
يدل لما قلنا من ان التحدي موكد ومقو اذ ليس في هذا المثل الا دعوى
الرسالة وحصول الخارق ومطابقته لدعواه وليسوا بعاجزين
عما صنع الملك من القيام فان اختلف حال القيامين واول الرسل
من البشر ابونا ادم عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى ان الله
اصطفى ادم ونوحا الاية وكانت رسالته الى بنيه والاخر اي
اخرهم بعثا الهادي النبي الخاتم وهو صلى الله عليه وسلم وان كان
اخرهم بعثا فهو اولهم ذكرا في الملا الاعلى وفي نحو انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح الاية محمد صلى الله عليه وسلم وزاده من كل ما يهواه
من مراتب الشرف والرفعة وتسميته صلى الله عليه وسلم هاديا ماخوذ
من قوله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم واعلم ان ثبوت
نبوة الانبيا عليهم السلام مبني على ثبوت نبوة نبينا صلى الله عليه
وسلم لانه المخبر عنها فاذا ثبتت نبوته ثبت صدقه في كل ما اخبر به ومن
جملته نبوتهم وكتبهم واحوال اممهم فنقول في اثبات نبوته
صلى الله عليه وسلم وان كانت عند اهل التوفيق من قبيل الضروريات
التي لا تحتاج الى نصب الادلة انه ادعى النبوة واظهر المعجزة
على وفق دعواه وكل من كان كذلك ثبت صدقه لما مر من ضرب
المثل فكان نبيا اما دعواه النبوة فتواتر وظهور المعجزة على يديه
متواتر ايضا لانه تحداهم بالقران فعجزوا عن معارضته واتيانه

بالقرآن ولم يأت به غيره وتحداهم به متواترا وكذا عجزهم عن معارضته
مع توفر دواعيهم عليها وهم الفصحاء البلغاء قال الله تعالى وإن كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الآية من أجل
تكليفهم ما يشق عليهم من ترك أديانهم وإتعاب نفوسهم وأبدانهم
وتسفيه أحلامهم وآرائهم وتضليل إخوانهم وآبائهم ولم يمنعهم
من المعارضة مانع ظاهر لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن في يده من
أمر بحيث يخاف منه آحاد العرب فضلا عن صناديد قريش وذوي
الرتب ومن المعلوم عادة أن الإنسان في غاية النفس وعلائقها
كالأولاد والأزواج يبذل غاية جهده ويجهد نهاية سعيه فلو
قدروا على المقابلة لسارعوا إلى المقابلة وخاطروا ببذل المهج في
النازلة وسبي الذرية والتنفل بهم والمنازلة ولو عارضوا لاشتهر
لتوفر الدواعي على نقله ضرورة ولهذا افتضح عندهم من عارض
بما عي به وشاع بما لا يجزيه كمسيلمة الكذاب لعنه الله ومن المعجزات
أيضا إخباره بالمغيبات المستقبلة وإن كان بعضها داخلا في إعجاز
القرآن فجاءت مطابقة لما أخبر كقوله هو الذي أرسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله الآية وقوله غلبت الروم
الآية وقوله لرادك إلى معاد أي مكة وقوله ستدعون إلى قوم أولي
بأس شديد الآية فوقع كل ذلك مطابقا فظهر دينه على كل الأديان
ولم يتوفه الله تعالى حتى استولى على أكثر جزيرة العرب وفزع منه
ملوك الأطراف وهادوه وبعضهم أدى الجزية ثم إن خلفاءه استولوا
على أكثر الأقاليم وافتتحوا فارس والروم وغيرهم واليوم في سنة ثمان
وخمسين وسبعمائة مع تراجع الدين قد صارت ممالك أهل ملته
صلى الله عليه وسلم في أطراف الصين وأقصى الروم بحيث صارت

مدينة

مدينة القسطنطينية في طرف بحر الإسلام الأدنى وقد كانت لا
تنال وكذا أكثر بلاد المغرب والحبشة والسودان وغلبت الروم
فارس ورد صلى الله عليه وسلم إلى مكة والمادبا وأولي بأس شديد عند
بعضهم بنو حنيفة وقد دعا الخلفاء إلى حربهم أبو بكر رضي الله عنه
وعند بعضهم هم أهل فارس وقد دعاهم إلى حربهم عمر رضي الله عنه
ومنها قوله تعالى في اليهود وضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الآية
وقوله في شأن عيسى عليه السلام وجاعل الذين اتبعوك فوق
الذين كفروا الآية يعني اليهود إلى يوم القيامة فألقى الله تعالى الذلة و
المسكنة على اليهود أينما وجدوا وجعل النصارى فوق اليهود
بحيث إنهم لا يستطيعون مساواتهم ولا منازعتهم وإن كانوا في
قطرهم كانوا تحت قهرهم أذلاء صاغرين فلو لم يكن له صلى الله
عليه وسلم إلا هاتان الآيتان لكفتا في صحة نبوته ومنها قوله
وعد الله الذين آمنوا منكم الآية وقد وقع مطابقا أيضا لأن
الموعود الصحابة إذ الخطاب معهم وقد أنجز الله وعده فاستخلفهم
في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم من بني إسرائيل وأورثهم
أرض الكفار من العرب والعجم كما أورث بني إسرائيل أرض الجبابرة
وديارهم وأموالهم بمصر وغيرها وأبدلهم من بعد خوفهم
أمنا لأنهم في صدر الإسلام كانوا خائفين ومنها قوله اقتدوا
باللذين من بعدي أبي بكر وعمر فوليا الخلافة بعده وقوله
لعمار تقتلك الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية بصفين ومنها
إخباره بموت النجاشي وقتل أمراء مؤتة ونابه بعده ونار الحجاز
التي تضيء أعناق الإبل ببصرى ونحو ذلك مما يفيد بمجموعه
التواتر المعنوي وقد وقع كله مطابقا لما أخبر فيكون نبيا ونار

الحجاز وقعت في سنة اربع وخمسين وستمايه دامت اياما وتواتر الاخبار
بها في الجهات وصنفت فيها المصنفات واضاءت لها اعناق الابل
ببصرى ومنها اخباره بالمغيبات الماضية التي لا يطلع عليها
الا من مارس الكتب واكثر الاختلاف الى افراد يشار اليهم من اهل
الكتاب مع صحبة احدهم بالبيت منه تفضلا عما قص من القصص
الواسعة عن القرون السالفة كقصة موسى والخضر ويوسف واخوته
واصحاب الكهف ولقمن وابنه ونحوها ومما في التوراة والانجيل والزبور
وصحف ابراهيم مما صدقه به العلما بها ولم يقدروا على تكذيبه مع القطع
انه امي لا يقرا ولا يكتب ونشا بين قوم اميين لا يعلمون شيئا من ذلك
ولم يتواتر انه صلى الله عليه وسلم خرج عنهم الى احد من اهل الكتاب ولا
تردد اليه بل استمر بين اظهرهم الى ان ظهر مظهر علم واسع وحكمة
بالغة مع ثباته على اميته ولا يقرا ومنها انشقاق القمر ورد الشمس
ونبوع الماء من بين الاصابع وحنين الجذع وشهادة الشاة المسمومة
ونحوها مما يفيد مجموعها تواتر القدر المشترك بينها وهو ظهور
المعجز على يده صلى الله عليه وسلم ومنها حاله صلى الله عليه وسلم وهو
ما استمر عليه من الاداب الكريمة والاخلاق الشريفة التي لو افنى
غيره عمره الطويل في تحصيل بعضها لم يحصل وقد حصلت له صلى الله
عليه وسلم كلها على الكمال كما ثبت بالاسانيد الصحيحة التي يفيد مجموعها
تواتر القدر المشترك بينها وهو ثبوت ذلك الخلق الكريم له صلى الله
عليه وسلم مع ما وصفه الله تعالى به في كتابه حيث قال وانك لعلى
خلق عظيم وصح عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كان خلقه
القران اي يتادب باداب وعزايمه كالحلم والصبر والعفو مع الاقتدار
وكمال التواضع للضعفا بعد تمام رفعته وانقيا الخلق له والترفع

عن الاغنيا ومقابلة السيئة بالحسنة وكمال الجود بحيث يكون في بعض
الاوقات اجود بالخير من الريح المرسلة مع تمام الزهد في الدنيا وشدة
الخوف من الله تعالى بحيث يظهر عليه اثره ومع الفراغ من حظوظ
النفس وهواها بحيث انه لم ينتصر لنفسه قط الا ان تنتهك حرمات
الله فينتقم الله بها وبحيث انه ما خير بين الشيئين الا اختار ايسرهما
وكالشجاعة الى حد الغاية بحيث انه لم يفر قط وان عظم الرعب
والاصرار على الدعوة مع ما يرى فيها من المتاعب والمشاق وكل هذا
لا يكون الا للانبيا ومنها تكميله لغيره بحيث بلغ من الصحابة
والتابعين وتابعيهم الى مقام الولاية اكثر من عشرة الاف وظهر
بعدهم في امته صلى الله عليه وسلم من العلما المجتهدين والعباد
والزاهدين والاوليا والعارفين ما لا يحصى كثرة ببركته صلى الله
عليه وسلم وتمهيده لهم من الدين والكمالات ما كان سببا لذلك
فلما لم يكن للنبوة معنى سوى تكميل الناقصين وهداية الضالين
وقد حصل من هذا المعنى بعد موته صلى الله عليه وسلم اكثر واكمل
مما حصل بعد موسى وعيسى وغيرهما من الانبيا عليهم السلام
علم انه نبي مرسل سيد الانبيا والمرسلين صلى الله عليه وسلم و
عليهم اجمعين وامته خير الامم لما مر ولقوله تعالى كنتم خير امة
وشبهة اليهود وهي اما ان يكون في شرع موسى انه سينسخ او لا
يكون فان كان لزم ان يتواتر ويشتهر كما اشتهر اصل دينه وان لم
يكن فان كان فيه ما يدل على دوامه امتنع نسخه وان لم يكن لم يتكرر
شرعه فلم يثبت غير مرة اي لما تقرر في اصول الفقه من ان
الامر المطلق لا يقتضي الا وجوب مرة والتكرار شرط للعلم بان
التكاليف كانت متوجهة الى الناس بشرع موسى عليه السلام

الى زمن عيسى عليه السلام بالاتفاق وجوابها انه كان فيه ما يشعر بنسخه ولم ينف اثر اذ لم تتوفر الدعاوي على نقله توفرها الى نقل اصله او كان فيه ما يدل على الدوام ظاهرا لا قطعا فلا يمتنع النسخ واما كونه نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبيا فلقوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين فلا نبي بعده بعد نبينا للنصوص والاجماع الدالة على ذلك فان النبوة به ختمت وتمت ولا زيادة بعد التمام فانه ما اتى به من الكتاب والسنة يشتمل على جميع ما يحتاج اليه في امر الدنيا والاخرة من الحكمة النظرية والعملية على احسن الوجوه بخلافه سائر الشرائع فانها كانت في حد في الافراط والتفريط كما يعلم ذلك من تفاصيلها وعن الكرامية انه الان ليس برسول لانه العرض لا يبقى زمانين وعند الشيخ هو الان في حكم الرسالة والاسم يصح الايمان مع امن به ولهذا يقال في الاذان والتشهد اشهد ان محمدا رسول الله دون كان رسول الله وكذا سائر الانبيا فان قيل قد ورد من السمعيات ما يجب الايمان به وهو نزول عيسى عليه السلام الى الارض في اخر الزمان فقد وجد بعده نبي ويلزم من وجوده بها حكم فيها قلنا عيسى بشرعنا فقط لا بشريعته ويحكم بيننا لا باحكام الانجيل فهو يومئذ من اتباع نبينا صلى الله عليه وسلم وعلما امته فصح انه لا نبي بعده اي يأتي بشريعة غير شريعته ونزول عيسى عليه السلام مذكور في القران بالاشارة نحو وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ونحو وانه لعلم للساعة وقرئ لعلم بفتح اللام العين واللام اي نزوله علامة لدنوها وبالنصوص الصحيحة نحو ليوشكن ان ينزل ابن مريم حكما عدلا فليكسر الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية الحديث وفي مسند

الصالس

الطيالسي حديث انا اولى الناس بعيسى بن مريم فاذا رايتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض كان راسه يقطر ماء ولم يصبه بلل وانه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الاسلام وحتى يهلك في زمانه مسيح الضلالة الاعور الكذاب الحديث وفي صحيح مسلم في حديث الدجال وذكر فتنته الى ان قال فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضا شرقي دمشق بين مهرودتين اي شقتين او حلتين مصبوغتين بما يشبه الورد في اللون الى ان قال فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيدرك عيسى الدجال بباب لد فيقتله ثم ياتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة الحديث وفي مسند احمد في حديث الدجال ثم ينزل عيسى في السحر فيقول ايها الناس ما يمنعكم ان تخرجوا الى هذا الكذاب الخبيث فينطلقون فاذا هو بعيسى فتقام الصلوة فيقال له تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم امامكم فليصل بكم فاذا صلوا الصبح خرجوا اليه فحين يراه الكذاب ينماث بالمثلثة اي يذوب كما ينماث الملح في الماء فيقتله الحديث وقوله ليتقدم امامكم فليصل بكم اشارة الى ان دينكم باق لا ينسخ بنزولي واني من اتباع نبيكم ويوميه حديث الصحيحين كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم ويروى فامكم منكم وقيل معناه فامكم بكتاب الله ربكم وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ويوخذ منه انه للافضل ان يقدم المفضول في الصلوة لمراعاة مصلحة وخوف توهم مفسدة وهي هنا توهم كونه ناسخا لشريعتنا وبعد ان يتقرر عند الجميع كونه من الاتباع يترجح تقديمه والرجوع اليه في

١

كل الامور وهو اي النبي صلى الله عليه وسلم خيار الكل اي كل
الانبيا يعني افضلهم وعلمنا ذلك كاين بالاخبار منه صلى الله
عليه وسلم بكسر الهمزة اي اعلامه بذلك كما قد صح في الاخبار بفتحها
الصادرة عنه بالاسانيد الصحيحة التي يفيد مجموعها تواتر
القدر المشترك بينها منها في مسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة
واول من تنشق عنه الارض واول شافع واول مشفع وتقييده
بالقيمة مع انه سيدهم اليوم لان ظهور السودد فيها بعاينه
كل احد ولا يبقى منازع ولا معاند وهو مثل لمن الملك اليوم وفي
الترمذي عن ابي سعيد انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر
وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا
تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر قوله ولد
ادم اي سيد هذا النوع الانساني وادم منهم بدليل دخوله
تحت لوائه اذ الافضل لا يدخل تحت لواء المفضول وبين هادينا
اي نبينا صلى الله عليه وسلم وبين ابينا ادم عليه السلام وصرف
للوزن رسل وانبيا عليهم صلى وسلم كما هو اللايق عند ذكرهم
او ذكر احد منهم فيجب الايمان بهم لقوله تعالى امن الرسول
الاية ولا ينبغي في الايمان بهم القطع بحصورهم في عدد معين
لان الوارد فيه احاد فان صح وجب ظن مقتضاه وان لم يصح
لم يجب ذلك وعلى كل تقدير فيودي حصرهم الى ان يعتبر فيهم من
ليس منهم او يخرج عنهم من هو منهم والوارد فيه حديث ابي ذر
وهو حديث طويل يتضمن انه سال النبي صلى الله عليه وسلم
عن اشيا منها عددهم ولفظ مسند احمد قلت يا نبي الله كم
عدد الانبيا قال مائة الف واربعة وعشرون الرسل منهم ثلثمائة

وخمسة عشر جما غفيرا ورواه الطبراني في المعجم الكبير بلفظ واربعة
وعشرون الفا فهي مصرحة بما ابهم في رواية احمد ومداره على علي بن يزيد
وهو ضعيف ورواه احمد ايضا من طريق اخر بمعناه وفيه قلت
يا رسول الله كم المرسلون قال ثلثمائة وبضعة عشر جما غفيرا ورواه
ايضا الطبراني في الاوسط والبزار باسناد فيه المسعودي لكنه اختلط
وروى الطبراني في الاوسط ايضا من حديث ابي امامة الباهلي
واسمه صدي بن عجلان ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحديث وفيه قال يا رسول الله كم كانت الرسل قال ثلثمائة
وخمسة عشر وليس فيه سوال عن عدد الانبيا قال الهيثمي في
مجمع الزوايد رجاله رجال الصحيح غير احمد بن خليل الحلبي وهو ثقة
والظاهر ان السايل في حديث ابي امامة هو ابو ذر وللمعنى المذكور
في منع حصرهم قلت ايماننا بكلهم اي بكل الانبيا عليهم السلام محتم
اي واجب والجهل بالتفصيل اي في غير المعلوم منهم كما مرت الاشارة
اليه لا يوثم اي لا يوجب اثما لانه الذي في وسعنا وقد قال الله
تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولما كان الانبيا عليهم السلام
افضل الخلق كما يعلم مما سياتي وكانوا قد خصوا بايات ظاهرة
ومعجزات باهرة تميزوا بها لتدل على صدقهم وجب ان يخصوا ايضا
في ذواتهم باشيا تليق بمنصبهم وتناسب علو درجتهم منها العصمة
وهي ملكة نفسانية اي هيئة راسخة في النفس تمنع من الفجور فعلا
او تركا مع القدرة عليه وتتوقف على العلم بمثالب المعاصي ومناقب
الطاعات وتتاكد في الانبيا بتتابع الوحي على التذكير والاعتراض
على ما يصدر عنهم سهوا والعتاب على ترك الاولى وقيل هي كون
الشخص بحيث يمتنع الذنب عنه لخاصية في نفسه او بدنه ورد

بانه لو كان كذلك لما استحق المدح مما عصمته ولامتنع تكليفه واللازم
باطل فالملزوم مثله ويخدشه قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم وقوله
ولولا ان ثبتناك الاية فالمثلية تقتضي امكان صدور شيء منه
يصدر مثله منهم قلت وفيه نظر لجواز ان يكون الحصر هنا اضافيا
اي انما انا بشر ولست بملك كما قال ولا اقول اني ملك فظاهر في الكفار
ولو شاء الله لانزل ملائكة واما الاية الثانية فظاهر في المدعي لانها
تدل على ان الله تعالى ثبته ولولا تثبيته له لكاد يركن اليهم والركون
اليهم ذنب غير ممتنع والى حكم العصمة المذكورة اشرت بقولي **والكل**
اي كل الانبيا بمعنى كل واحد منهم **معصوم** اي ممنوع **من** اقتراف
الذنب **الكبير** مطلقا من التقييد بالعمد وبما بعد الوحي فلا يصدر
عنهم ذلك لا سهوا ولا عمدا ولا بعد الوحي ولا قبله اما بعد الوحي
فلانهم دعاة الخلق الى الله تعالى بالترغيب في طاعته والتنفير عن
معصيته فلو صدر ذلك منهم لنفر الناس عنهم لعدم الوثوق بهم و
لانهم مامورون باتباعهم لقوله فاتبعوه ومنهيون عن المعصية
فيكون الناس عند صدور ذلك من النبي لو جاز صدوره مامورين
باتباعه منهيين عنه وهو محال ولان درجات الانبيا في غاية
الشرف وكل ما كان كذلك كان صدور الذنب عنه اخس فيكون عذابه
اشد كما وعد نساه بقوله من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف
لها العذاب ضعفين وهذا المعنى كان حد الحر ضعف حد العبد ولانهم
لو صدر منهم لكانوا من حزب الشيطان لفعلهم ما يوافق هواه
وحزب الشيطان خاسر لقوله تعالى الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
واللازم باطل للاجماع على ان الانبيا من حزب الله لا من حزب الشيطان
فالملزوم مثله وايضا مفارقته فسق ترد به الشهادة ويمتنع قبول

خبره فيكون العدل اعلى رتبة منه واللازم باطل بالاتفاق فالملزوم
مثله وايضا مفارقته تستوجب الذم والايذا لانه منكر وانكار المنكر
واجب وايذاء النبي حرام مطعون فاعله لقوله تعالى ان الذين يوذون
الله ورسوله الاية فيلزم اجتماع النقيضين وايضا يعزلون به عن
النبوة لان المذنب ظالم والظالم لا ينال عهد النبوة لقوله تعالى لا ينال
عهدي الظالمين فهي اولى بذلك من الامامة والقضا واذا كان هذا
في الذنب الكبير مطلقا فالكفر هو اكبر الكباير بطريق الاولى قبل الوحي
وبعده وبالاجماع ايضا واما غيره قبل الوحي فقال بعضهم هو من موجبات
النبوة بفتح الجيم اي من مقتضياتها متاخر عنها فلا ينافي اشتراط
عصمتهم منه اذ لا يعلم انه كبير الا بعد النبوة لما تقرر في اصول الفقه
من انه لا حكم قبل ورود الشرع بل الامر موقوف الى وروده خلافا
للمعتزلة كما مر قلت وفي هذا الاطلاق نظر لانه لا يطرد في جميع الانبيا
لان اكثر انبيا بني اسرائيل متعبدون بما في التوراة فالذنوب متحققة
عندهم قبل الوحي اليهم فيجب عصمتهم من الكباير المعلومة عندهم
من التوراة وغيرهم ممن لم يتعبد بشرع من قبله قطع بعضهم بعصمته
قبل الوحي ايضا عن الكباير وان كانت من موجبات النبوة لما في
صدورها منه من التنفير عنه وهو التحقيق والمعنى انه يعصم من
ارتكاب ما علم الله سبحانه انه سيحرم على لسانه ابتداء وانتهاء كالزنا
للتنفير المذكور وخرج بقولنا ابتداء وانتهاء ما حرم على لسانه بعد
جوازه وهو الناسخ والمنسوخ فانه جائز واقع لانتفا المحذور
والله اعلم ولا ترد قصة ادم لانها كانت نسيانا لقوله تعالى فنسي
ولم نجد له عزما واما تسميتها عصيانا وقوله فتاب عليه فلعله
كان مواخذا بالنسيان لعدم التحفظ وان لم يتحقق منه مخالفة

معم فكان عدم المواخذة به من خصايص هذه الامة لحديث رفع عن
امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه ولهذا جاز سوال عدم
المواخذة به في قوله تعالى ربنا لا تواخذنا ان نسينا الايه ومن اجاز
صدوره قبل الوحي قال كانت قبل نبوته اذ لم يكن لم ح امته وبقوله ثم
اجتباه ربه والتحقيق انه نسي وان نسيانه كان سببا لاخراجه ليحقق
الله تعالى ما وعد به من استخلافه ولو اخرج بغير سبب لما امتنع
ولكن اراد سبحانه اقامة الحجة عليه ليكون اقطع لعذره وابلغ في الاستهان
مع بلوغ مقام الخلافة الموعود به قبل خلقه في قوله تعالى واذ قال
ربك للملئكة اني جاعل في الارض خليفة ومع اخراج ما علم الله خروجه
من صلبه وكيف يستخلف في الارض او يخرج ذلك من صلبه وهو
خالد في الجنة ولهذا قال بعض المحققين والله ما اخرجه الا فعته اي
في الحقيقة ولله الحجة البالغة وقول ابراهيم هذا ربي فعلى سبيل
الفرض لانه اراد ابطال قوله بفرضه او لا ثم بيطله وقوله فعله
كبيرهم هذا استهزاء بهم وتعريض بعجزه لينتهوا ونظره في النجوم
للاستدلال وهو طاعة لا لتاثيرها وقوله اني سقيم لا ينافي كونه سقيما
ح وتسميته فعلاته الثلاث كذبات مجاز عن التعريض واخوة يوسف
لم يكونوا انبيا حين اساءتهم اليه والى ابيهم ولم تثبت نبوتهم ايضا
بعد وعطف الاسباط في الوحي اليهم يحتمل اولادهم وهم يوسف
بالمراة كان جبليا لا اختيارا بل قد قيل ان همه بها لم يكن للفاحشة
بل لضربها ودفعها عن نفسه وان في الكلام تقديما وتاخيرا
وجعل السقاية في رحل اخيه كان بمواطاته بل بوحي لقوله تعالى كذلك
كدنا ليوسف وقصة داود لم تكن مما يحكيه المورخون واهل القصص
بل الاية تحتمل غيره ولقوله عفا الله عنك وقوله ليغفر لك الله ما تقدم
من

من ذنبك وما تاخر محمول على ترك الاولى او على فعل الصغير سهوا على
القول بجوازه وهو الحق كما سياتي والعفو والمغفرة لا ينافيان لما مر والكل
ايضا معصوم من خسيس الذنب المزري بمرتكبه الصغير كسرقة
لقمة والتطفيف بتمرة لما فيه من التنفير المذكور وتحريك اليا للوزن
واختلفوا اي اختلف المانعون للكبير مطلقا وللصغير المزري
كذلك في غيره اي غير ما ذكر وهو الصغير غير المزري اذا صدر من
النبي صلى الله عليه وسلم من عمد فقال بعضهم يجوز لانه مكفر
باجتناب الكبير وهو منقول عن امام الحرمين منا وابي هاشم من
المعتزلة والحق الذي يجب اعتقاده تنزيها لمنصبهم الشريف ان لا
اي انه لا يجوز صدوره عنهم في اختيار كابن عدي وذلك للاقتدا بالقصر
للوزن اي لاقتدائهم في القول في الافعال الصادرة عنهم فنكون
الناس مامورون باتباعهم في كل ما صدر عنهم لما مر مسهيين عن
اتباعهم في فعل المعصية وهو محال كما مر واختاره اي جزم بعدم
جواز صدوره عنهم جمع من المحققين كثير عدده لعقله
مدركه عالي اي كبير بمعنى كثيرا علما وحالا وهم جمهور اهل السنة
وتولدت اليا من اشباع الحركة للوزن واختلفوا اي اختلف
المانعون من الصغير عمدا في السهو اي في صدور الذنب
الصغير عنهم سهوا وخطا بالتنبيه اي مع التنبيه عليه فقال
منهم الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وابو الفتح الشهرستاني
والقاضي عياض وابو الحسن السبكي وابنه تاج الدين وغيرهم
لا يجوز وعليه جمع من المتصوفة وهذا الجمع مانع لجوازه اعترك
اي انتمى بمعنى استند في منعه لذا التوجيه اي توجيه المنع
المذكور في العمد وهو التنفير والاكثر على الجواز والوقوع والفرق

ان الناسي والمخطي عنه اثم والمبادرة بالتنبيه تمنع الاقرار المحذور
ويدل للجواز والوقوع احاديث سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة
ففي الصحيحين عن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا
فقيل له ازيد في الصلاة فقال وما ذاك قالوا صليت خمسا فسجد سجدتين
بعد ما سلم وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت
فذكروني الحديث وفيهما ايضا من حديث ابي هريرة انه صلى الله
عليه وسلم صلى بهم العصر فسلم في ركعتين فقيل له اقصرت الصلاة
ام نسيت الحديث وفي حديث اخر اني لا انسى ولكن انسى لاسن اي
فايدة نسيانه واجرايه على تشريع سنة لم تكن وما تضح الفرق بين
العمد والنسيان ولله الحمد وهذا الفرق انما هو فيما ليس طريقه الابلاغ
واما ما طريقه ابلاغ الشرع وتقريره من الاقوال والافعال التي تجري
مجراها كتعليم الامة بالفعل فهم معصومون فيه عن السهو والخطا
لانهما يدلان على التقصير المنافي للتعليم والتقرير ولقوله تعالى
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت
رسالته ويلزم من السهو والخطا عدم التبليغ لما امر كما امر والله
اعلم ومما يشترط في حق الانبيا لشرف منصبهم السلامة من دناة
الابا ومن عهر الامهات ومن فظاظة القلب لانها موجبة للبعد من
جناب الرب تعالى وفي حديث حسنه الترمذي ورواه البيهقي
ان ابعد الناس من الله القلب القاسي ومن العيوب المنفرة
كالبرص والجذام وقلة المروة كالاكل في الطريق حيث لا يعتاد
ذلك ومن دناة الصناعة كالكنس والحجامة لان النبوة اشرف
مناصب الخلق مقتضية لغاية الاجلال اللايق بالمخلوق فيعتبر
لها انتفا ما ينافي ذلك وكونهم اكمل اهل زمانهم عقلا وخلقا فانفع

الى

٨١

الخلق واعدلهم فطنة ورايا لرجوعهم في جميع السياسات واعتمادهم
عليهم في حل المشكلات وتفضلهم لديهم في محافل الجماعات فاذا قيل
بلا ايوب عليه السلام منفر على ما هو مذكور في كتب التفسير
والقصص وعمى يعقوب نقص في الخلقة اجيب بانه كان بعد النبوة
وتقرير الدعوة فلا يضر لا سيما وقد زال وهم اي الانبيا
عليهم السلام من الملئكة العلوية اي من الطبقة العليا من
الملئكة اعلا اي افضل فما ظنك بالبقية اي ببقية الملئكة
عليهم السلام التي ليست من الطبقة العليا اي هم افضل منهم
بطريق الاولى وهذا ما جزم به الاصل ونقله في الطوالع
عن الشيعة واكثر اصحابنا خلافا للفلاسفة والمعتزلة والقاضي
والحليمي مناونا دعنره معهما الاستاذ ابا اسحق وابا عبد الله
الحاكم والامام الرازي في العالم وابا شامة وغيرهم من المتاخرين
لنا ان الله تعالى امر الملئكة بالسجود لادم والحكيم لا يامر الافضل
بخدمة المفضول اي بناء على ان المراد بسجودهم خدمتهم له لا وضع
جباههم بجعله قبلة فان كان هذا فالاولى وايضا فادم كان
اعلم من الملئكة لانه كان يعلم الاسما كلها دونهم فكان افضل لقوله
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وايضا طاعة
البشر اشق لانها مع الموانع من الشهوة والغضب والوسوسة
ولانها تكاليف مستنبطة بالاجتهاد وطاعة الملك ذاتية جبلية
منصوص عليها وقوله تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال
ابرهيم وال عمران على العالمين ترك العمل به فيمن لم يكن نبيا من الالين
فيبقى معمولا به في حق الانبيا بدليل قوله تعالى بعد ذكر جماعة
من الانبيا وكلا فضلنا على العالمين والملئكة من العالمين وقوله

ولقد اتينا بني اسرايل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم على العالمين لان الكتاب والنبوة للانبيا
وغيرهم وان شاركهم في الحكم والرزق فتابع احتج الاخرون بقوله
تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله والملئكة المقربون
لان البلاغة تقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى وباطراد تقديم
ذكرهم على ذكر الانبيا وبقوله لا يستكبرون عن عبادته وبقوله لا
اقول لكم اني ملك وقوله الا ان تكونا ملكين وبان الملك معلم النبي
والرسول اليه ولا شك ان المعلم افضل من المتعلم والرسول افضل
من المرسل اليه كما ان النبي افضل من الامة المرسل اليهم وبان الملئكة
ارواح مبراة عن الرذايل والافات النظرية والعملية مطهرة عن
الشهوة والغضب الذين هما منشا الاخلاق الذميمة مطلعة
على اسرار الغيب قوتهم على الافعال العجيبة من تصريف السحاب
والزلازل القوية سابقة الى الخيرات مواظبة على محاسن الاعمال لقوله
تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وقوله
يسبحون الليل والنهار لا يفترون واجيب عن الاول بان النصارى
لما عاينوا ولادة عيسى بغير اب اعتقدوا انه ابن الله تعالى عن
ذلك فاستبعدوا ان يكون عبدا فرد عليهم بان من لا اب له
لا يستنكف عن العبودية كما لا يستنكف عنها من لا اب له ولا ام
وهم الملئكة فلا دلالة فيه حينئذ على الافضلية ونظيره ان
مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب اي فادم اعجب منه
وعن الثاني باحتمال انه لتقدمهم في الوجود لا للفضل وعن الثالث
بان غايته ان يكونوا افضل من المستكبرين عنها لا من الانبيا
الذين لا يستكبرون وعن الرابع بان الاية الاولى تدل على ان الملك

لا يتبع الوحي والنبي يتبعه لقوله ان اتبع الا ما يوحى الي فيكون افضل
قلت وفيه نظر والاولى ان يقال انما نفي عنه الملئكة لقولهم ولو
شاء الله لانزل ملئكة فان الكفرين استبعدوا رسالة البشر فرد
عليهم ذلك والله اعلم واما الاية الثانية فتدل على افضلية الملك
على ادم وقت مخاطبة ابليس لا بعد الاجتبا لكن يبقى النظر في ان
امر الملئكة بالسجود لادم هل هو قبل دخول الجنة او بعد اخراجه
منها وقت استخلافه في الارض والجواب يتمشى على الثاني دون
الاول وعن الخامس بان المعلم افضل من المتعلم فيما يعلمه هو فقط
حال تعليمه لا في غيره ولا فيما يعلم دايما والقياس على النبي صلى الله
بالنسبة الى امته ليس بصواب فان السلطان اذا امر شخصا على
جمع كثير ثم ارسل اليه رسولا لتبليغ الرسالة لا تدل على افضلية
الرسول على الامير وعن السادس بان الانبيا ايضا مبراون عن
جميع الرذايل وليس اطلاع الملئكة على الغيب باعجب من اطلاع
الانبيا عليه فقد صح عن حذيفة من رواية ابي داود وغيره ان نبينا
صلى الله عليه وسلم قام في اصحابه مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه
ذلك الى قيام الساعة الا حدثه وكذلك ادم عليه السلام وعلم
على الملئكة وعلم ادم الاسما ونحو ذلك ولا افعال الملئكة باعجب من
فلق البحر وابرا الابرص واحيا الموتى وغير ذلك مع ما في الانبيا من
القوتين اللتين صارتا بالرياضة من جنس العقل فترجحت افضليتهم
والله اعلم ومن الناس من وقف على هذه المسئلة لتعارض الادلة عنده
منهم الكيا الهراسي في تعليقه قال البيهقي في الشعب لكل دليل وجه
والامر فيه سهل وليس فيه من الفايدة الا معرفة الشي على ما هو
به انتهى فاستفيد منه انه لا يجب معرفة ذلك في العقيدة وكلام غيره

كالاصل يقتضي وجوبها تنبيهات الاول هل تجوز العصمة
لغير الانبيا كما وجبت لهم بتعريف العصمة الاول يرد ان لا الملئكة
المذكورة تصح لغيرهم مع التوقف على ما ذكر وتسمى حفظا والفرق
جواز صدور الذنب من غيرهم حسا لا ان لم يقع الثاني هل تصح هذه
المفاضلة ايضا بين المحفوظين ونحوهم وبين غير المرسل من الملئكة
الجواب نعم بدليل الاستقامة مع مقاساة القوتين المارتين الثالث
هل تصح ايضا بين الانبيا عليهم السلام بعد نبينا صلى الله عليه وسلم
ذكر السيوطي في النقاية وشرحها ان افضلهم ابراهيم عليه السلام
ونقل بعضهم فيه الاجماع وفي الصحيح خير البرية ابراهيم خص منه
النبي صلى الله عليه وسلم فبقي في غيره على عمومه ثم موسى وعيسى
ونوح يفضلون سائر الانبيا قال ولم اقف على نقل في ايهم افضل و
هولا الخمسة هم اولوا العزم وقد نظمهم بعضهم بقوله
اولو العزم نوح والخليل كلاهما وموسى وعيسى والنبي محمد
الرابع هل تصح ايضا بين الملئكة ذكر فيها ايضا ان جبريل افضلهم
لحديث رواه الطبراني فاهل بدر اي اصحاب وقعة بدر الذين
شهدوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ثلثماية وبضعة
عشر ليس فيهم الا فارس واحد وقيل فارسان وقيل ثلاثة وكان
المشركون نحو الف فيهم نحو ماية فارس وكانت الوقعة يوم الجمعة في
شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة وبها اظهر الله شوكة الاسلام
فكان من شهدها مختصا بمزيد فضيلة ولذلك شهد لهم بانهم
من اولي الجنان اي من اهل الجنة ففي الصحيحين ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لعمر في حاطب بن ابي بلتعة انه شهد بدرا وما يدريك
لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة
وفي

وفي رواية فقد غفرت لكم قلت لعل المراد تبشيرهم بحفظهم عن ارتكاب
الكبائر ببركة شهودهم بدرا فهم من اهل الجنة وممن لا يدخل
النار للجزا قطعا لا انه امرهم بما ينافون من الفعل المبعد عن
حضرته وهو ظاهر لمن تامله مع ما فيه لعل من الترجي والله اعلم
وفي البخاري عن رفاعة بن رافع قال جا جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ما تعدون اهل بدر فيكم قال من افضل المسلمين او كلمة نحوها
فقال اي جبريل وكذا من شهد بدرا من الملئكة كذا اهل بيعة
الرضوان وهم اهل الحديبية مشهود لهم في الجنة ايضا وكانوا
الفا واربعماية وروى ابو داود والترمذي وصححه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة وكان هذا
الجزم بعد الترجي والاستثنا الذي في رواية مسلم عن حفصة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا رجو ان لا يدخل النار ان شا الله
احد ممن شهد بدرا والحديبية قلت يا رسول الله قد قال الله تعالى
وان منكم الا واردها قال افلم تسمعيه يقول ثم ننجي الذين اتقوا وفي
رواية لا يدخل النار ان شا الله من اصحاب الشجرة احد الذين بايعوا
تحتها وفي الصحيحين قال جابر كنا يوم الحديبية الفا واربعماية فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل الارض وكانت سنة ست
من الهجرة ونقل التميمي الاجماع على ان اهل بدر افضل الامة ثم اهل احد
ثم الحديبية وكانت وقعة احد في شوال سنة ثلاث وقيل كان معهم
فرسان ثم انخزل عنهم ابن ابي بثلثماية قبل الوقعة وكان المشركون
ثلاثة الاف فيهم ماية فرس ورئيسهم ابو سفيان بن حرب ولما
ذكرت في الترجمة كرامات الاوليا وان كان الخارق الذي يظهر على
ايدي الانبيا قد يظهر على ايديهم بل وعلى ايدي غيرهم ذكرت

هاهنا الاوليا وكراماتهم ثم استطرت انواع الخوارق وخصصت كل
نوع منها باسم فقلت والاوليا لهم الكرامة من ربهم يكرمهم سبحانه لاجل
الاستقامه اي تجوز لهم الكرامة لما حصلوا به من الاستقامة قال
الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملئكة
الاية فظهور الخارق على ايديهم لا يمتنع بل هو جايز واقع كما سياتي
ويمكن ان يراد بالاستقامة هاهنا الايمان مع التقوى بدليل قوله
تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الايات
وفسر بعضهم الاستقامة على سبيل الايجاز فقال هي يقين بلا بقية
شك وتوبة بلا بقية ذنب وزهد بلا بقيه رغبة وتجريد بلا فترة
قال وهذا هو الكمال الانساني وجودها اي الكرامة حق اي هي
جائزة واقعة بلا شك لما سياتي من الادلة فلا تمار اي لا تجادل
في صحة جوازها لغير بصيرة منك فتدخل في زمرة من قال الله فيه
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير
ثاني عطفه الاية وهو نهي وانما تولدت اليا من الكسرة للوزن
واسمع اذا اردت الانصاف والحق من الاخبار الصحيحة الواردة
فيها ومن الاثار الثابتة بل ومن الايات كقصة اصحاب اهل
الكهف ولم يكونوا انبيا بالاجماع وقصة مريم في وجود الرزق
عندها بلا سبب بل من عند الله ولم تكن نبية عندنا بل نقل
بعضهم فيها الاجماع وقصة اصف كما سياتي يكرمهم ربهم تفضلا
عليهم وزيادة في يقينهم وتقوية لسلوك مريد سعاتها منهم و
انكرها الاستاذ ابو اسحق منا والمعتزلة الا ابا الحسن البصري وا
فقنا على صحتها واحتجوا بانها لو صحت منهم له لتبس النبي بالولي
والجواب ما ذكرته في قولي وبالتحدي عن نبي فصلا اي فصل

حكم الكرامة اي حقيقتها عن حقيقة المعجزة بالتحدي فالنبي من ظهر
الخارق على يديه مقرونا بالتحدي مع دعوى النبوة والولي ليس كذلك
بل قد ظهر على يديه وهو كاره لخوفه الاستدراج لعدم العصمة فالكرامة
والحفظ من واد واحد كما ان المعجزة والعصمة كذلك فلم تزل الخوارق
تظهر على ايدي الصالحين في هذه الامة من عصر النبوة وهلم جرا
الى عصرنا كما سياتي التنبيه عليه ولا محذور في ذلك من جهة
العقل لان ظهورها على ايديهم زيادة في اكرام نبيهم صلى الله عليه
وسلم موجبة لتصديقه وصحة ما ادعاه حاثة على اتباعه ومنابذة
من عاداه فمن الاخبار الصحيحة ما رواه البخاري عن ابن مسعود رضي
الله عنه قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وفي البخاري ايضا
عن انس ان اسيد بن حضير وعباد بن بشر تحدثا عند النبي
صلى الله عليه وسلم في حاجة لهما حتى ذهب من الليل ساعة في ليلة
شديدة الظلمة ثم خرجا ينقلبان وبيد كل منهما عصية فاضات عصا
احدهما لهما حتى مشيا في ضوئها حتى اذا افترقت بهما الطريق اضات
للاخر عصاه فمشى كل واحد في ضوء عصاه حتى بلغ اهله وفيه ايضا
عن جابر ان اباه قال له لما حضر احد اني وقعته ما اراني الا مقتولا
في اول من يقتل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاقض عني ديني
واستوص باخواتك خيرا فاصبحنا وكان اول قتيل ودفن مع اخر
في قبر وكقصة ابي بكر وهي في الصحيحين في تكثير طعام اضيافه
حين اكلوا وشبعوا وكان فضلهم اكثر مما قدم اليهم بثلاث مرات وروى
ابو داود عن عايشة انها قالت لما مات النجاشي كنا نتحدث انه لا
يزال يرى على قبره نور وروى البيهقي والبغوي في شرح السنه
عن ابن المنكدر ان سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطا

الجيش بارض الروم اذ اسر فانطلق هاربا يلتمس الجيش فاذا هو
بالاسد فقال انا الحرث انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
من امري كيت وكيت فاقبل الاسد له بصبصة حتى قام الى جنبه كلما
سمع صوتا اهوى اليه ثم اقبل يمشي الى جنبه حتى بلغ الجيش ثم رجع
الاسد قوله بصبص اي يحرك ذنبه و يضم اذنيه كما يفعل الكلب
عند التملق وروى الترمذي عن ابن عباس ان بعض اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ضرب خباه على قبر وهو لا يحسب انه قبر
فاذا فيه انسان يقرا سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة
هي المنجية تنجيه من عذاب الله وروى الدارمي ان مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يوذن ولم يقم فيه ثلاثا ايام الحرة وكان
سعيد بن المسيب لا يخرج منه فكان لا يعرف اوقات الصلوة الا بهمهمة
يسمعها من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والهمهمة صوت خفي
لا يفهم معناه وشرب خالد السم الناقع فلم يضره واما الاثار في
ذلك فلا تحصى ومنها ما سياتي ومن اراد الوقوف عليها ليزيل
الوهم عنه فعليه بحلية الاوليا لابي نعيم وصفوة الصفوة لابن الجوزي
ورسالة الاستاذ ابي القسم القشيري وغيرها ففيها ما تقر به العيون
ويطرد الشكوك والظنون تنبيه ما ذكرناه من ان الفرق بين
المعجزة والكرامة انما هو التحدي وعدمه يقتضي ان ما جاز من الخوارق
للانبيا جاز مثله للاوليا بلا فرق بين الخوارق الكبار وغيرها وهو
كذلك خلافا للاستاذ القشيري في تخصيصه الكرامة بغير الخوارق
الكبار قال لان الكبار كنحو ولد دون والد واحيا ميت وقلب
جماد بهيمة خاصة بالانبيا عليهم السلام وممن رد عليه ولده ابو نصر

في

في كتابه المرشد اي لان القدرة صالحة لذلك والتحدي ونحوه منتف **وانظر** ٨٤
ايها الطالب **هنا في بحث مفيد** لمن نظر فيه **يقسم الخارق**
للعادة **في الوجود ستة** اي الى ستة اقسام **فالاول منها الارهاص**
بكسر الهمزة وسكون المهملة واخره مهملة ايضا اي التاسيس سمي بذلك
لكونه مقدمة للاعجاز والنبوة ليقوى النبي على تحمل اعبائها عند حصولها
فهي مبنية عليه كما ينبني الجدار على اساسه وهو ما **يكون** اي ما
يقع من الخوارق للنبي **قبل الوحي** اليه **حتى بعثته** اي الى ان يختار للرسالة
بالوحي والامر بالتبليغ مثلا وهو بضم التحتية وفتح الفوقية وبينهما مهملة
ساكنة ومعناه ما ذكر **كشق صدره** للنبي صلى الله عليه وسلم واخراج قلبه
منه وغسله في طست من ذهب بماء زمزم وهو يلعب مع الصبيان في
صغره والتامه واعادة قلبه في مكانه وفاعله جبريل عليه السلام
رواه كله مسلم من حديث انس ومن فعل به ذلك لا يبقى عادة فهو خارق
لها **وكتسليم الحجر** عليه صلى الله عليه وسلم رواه مسلم ايضا عن جابر
ابن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة
كان يسلم علي قبل ان ابعث اني لاعرفه الان وروى الترمذي والدارمي
عن علي رضي الله عنه نحوه **وميل فيء** اليه صلى الله عليه وسلم **من جوانب**
الشجر كما رواه الترمذي في قصة سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه
ابي طالب واشياخ من قريش الى الشام وقصد الراهب له ومعرفته
اياه وفيه فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما
جلس مال فيء الشجرة عليه صلى الله عليه وسلم وفيه ان الراهب راى
الشجر والحجر يسجدان عند اقباله قال ولا يسجدان الا لنبي وفيه
مناشدته عمه ان يرده الى مكة اي خوفا عليه من اليهود فرده
ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك

والزيت وما ظهر من الخوارق للعادة على يد النبي صلى الله عليه وسلم
بعده اي بعد الوحي **فمعجز** اي فهو معجز ويسمى معجزة ايضا سوا
اوجد معه التحدي ام لا على ما هو من التحقيق وذلك **كالبصر برده**
بعد ذهابه كما رد النبي صلى الله عليه وسلم عين قتادة بن النعمان
وقد سقطت في كفه او على خده يوم احد او يوم بدر او الخندق
على اختلاف في تعيين اليوم فعادت كما كانت حتى ان من راها
لا يميز بينها وبين اختها وروى هذه القصة جماعة منهم عاصم
بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها
ابو سعيد الخدري عن قتادة كما في الشفا لعياض وقدم بعض
ولده على عمر بن عبد العزيز فقال عمر من الرجل فقال انا ابن الذي سالت
على الخد عينه فردت بكف المصطفى احسن الرد فعادت كما
كانت لاول امرها فيا حسن ما عين ويا حسن ما رده فقال عمر
هذا المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
او بعد حدوثه باذن الله تعالى وان لم يكن موجودا قبل ذلك كما كان يتفق
لعيسى عليه السلام من ابراء الاكمه وهو الذي يولد اعمى او ممسوح
العين وكان عيسى عليه السلام قد بعث في زمن قوة الطب وكثرة
اهله فكان لا يداوي الا بالدعاء بشرط الايمان فيبرا في يوم واحد
خمسين الفا **وكانشقاق القمر** لنبينا صلى الله عليه وسلم كما نطق به القران
وشهدت به الاخبار الصحيحة قال الله تعالى اقتربت الساعة
وانشق القمر وفي الصحيحين عن ابن مسعود انشق القمر على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ورواه عن ابن مسعود
علقمة والاسود ومسروق ومجاهد وقد رواه عن النبي صلى الله

علم

عليه وسلم جماعة غير ابن مسعود منهم علي وابن عباس وابن عمر وانس
وحذيفة وجبير بن مطعم وفي رواية انس سال اهل مكة النبي صلى
الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر مرتين حتى راوا حراء
بينهما ورواه عن انس قتادة وعن قتادة معمر وغيره فهو في حكم المتواتر
مع تصريح الاية الكريمة **وثالث** اي وثالث الاقسام الستة **كرمة
الولي اعني به** اي بالولي حيث اطلق في السنة اهل العلم **العارف
بالعلي** اي بالله تعالى **بحسب الامكان** اي بحسب ما يمكنه من
المعرفة بربه وهي الاعتراف بوجوده ومعرفة ما يجب له من اثبات
امور ونفي امور على ما هو مصدر هذه الحواشي **ذا المواظبه** اي الملازمة
بها اي بتلك المعرفة يعني المواظب بسبب ما منحه من المعرفة
على الطاعات افعالا كانت او تروكا نوافل او فروضا **والمجانبة لكل
امر مؤثم** اي موقع في الاثم وهو المحرم فقط وبالمكروه منه
نادرا لا يضر وبقولي **قد منعا** تاكيد لان كل مؤثم ممنوع **والمجانب
ايضا الملابسة الانهماك في اللذ بلذات** اي المشتهيات **معا**
اي جميعا وان كانت مباحة لما في الانهماك فيها من التشاغل بما لا يليق
به مما يحط عن منصبه الذي هو الاعراض عنها والاشتغال بما يقرب به
من جناب القدس ووفاء بحق الوراثة النبوية لان العلماء ورثة الانبيا
والمراد من قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما العلما به وهم
العارفون على حد ما وصفته لانا نرى كثيرا من العلما باحكامه لا
يخشونه كما ينبغي فعلم ان المراد غيرهم ويفهم من الانهماك ان مباشرة
المشتهيات لا على وجه الانهماك لا تضره وهو كذلك بل قد تكون
باستحضار النية الصالحة طاعة تقرب الى الله تعالى والخارق
الذي يكون كرامة **كجذب عرش** لبلقيس ملكة اليمن ايام سليمان

عليه السلام في ارتداد الطرف الى موضع ابتدائه بعد طرحه الى منتهاه
اي قبل تمام ارتداده وهو غاية في السرعة وشبه فيها لآصف اي
لوزير سليمان عليه السلام المسمى آصف بالمد وفتح المهملة وآخره
فاء صرف للوزن مع ابتعاد الطرف اي المكان وكان بين مجلسه الذي
احضر العرش فيه وبين محل العرش مسيرة شهرين فاحضره آصف
في هذا القدر وهذه اشارة الى ما حكى الله تعالى عنه بقوله قال
الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
بعد قول عفريت انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك اي مجلسك
الذي تجلس فيه وهو يطول عادة لا سيما للملك المتسع المملكة
وجرى نيل بكتاب من عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحاصل قصته
ان نيل مصر كان ايام الجاهلية لا يجري كل عام حتى يلقى فيه جارية
عذراء واستمر هذا الحال حتى جاء الاسلام وفتحه المسلمون وتامر فيه عمرو
بن العاص فكتب عمرو كتابا يخبر فيه عمر بذلك فكتب عمر بطاقة الى النيل
وامر ان تلقى في الماء فيها من عمر امير المومنين الى نيل مصر اما بعد
فان كنت تجري من قبل نفسك فلا تجري وان كان الله الواحد القهار
هو الذي يجريك فاجر باذن الله الواحد القهار فجرى جريا لم يعهد
مثله اخصبت له البلاد وسمع صوته اي اسماع صوته بجيش
في خطر اي خوف مشرف على الهلكة وحاصلها ان عمر رضي الله
عنه امر رجلا يسمى سارية بن زنيم او الحصين اميرا على جيش
وجهه الى بلاد فارس فاشتد الحال على عسكره بباب نهاوند
وكان المسلمون ينهزمون وعمر رضي الله عنه بالمدينة فصعد
المنبر ثم استغاث في اثناء خطبته باعلا صوته يا سارية الجبل
فاسمع الله تعالى سارية وجنوده اجمعين وهم بنهاوند صوت

عمر

عمر رضي الله عنه فعرفوه وقالوا هذا صوت امير المومنين يامرنا
بالالتجا الى الجبل فالتجاوا اليه ونجوا وقد كان العدو يريد غرتهم بعلو
الجبل عليهم من وراء ظهورهم وكان علي رضي الله عنه حاضرا بالمسجد
حين استغاث عمر فقيل له ما هذا الصوت من امير المومنين :.
كالمنكر بن عليه فقال دعوه فما دخل في امر الا وخرج منه فتبين الحال
بعد ذلك كما ذكرنا وبين المدينة وبين نهاوند مسيرة شهر او اكثر
قال في القاموس في مثلثة النون ه من بلاد الجبل جنوبي همدان اصله
نوح آوند لانه بناها وكض بالارض حين زلزلت بدرته ثم وقال
ويحك قري الم اعدل عليك وكانت ترجف فاستقرت لوقتها وكاخبار
ابي بكر رضي الله عنه في مرض موته عايشة رضي الله عنها بان
حمل امراته جارية فكان كذلك تنبيه ظاهر ما ذكرناه من جزم ابي بكر
وعمر رضي الله عنهما بما ذكر يقتضي ان الولي يصح ان يعرف انه ولي
وقيل لا لئلا يامن فينقص اعماله والامن بنفسه محذور والاصح
الاول بدليل ان العشرة رضي الله عنهم بشروا بالجنة فقد علموا
ذلك يقينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان على احد ومعه ابو بكر وعمر وعثمن رضي الله عنهم
فاضطرب الجبل فركضه النبي صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن
فانما عليك نبي وصديق وشهيدان رواه البخاري ولم يصدهم
ذلك عن الاعمال بل كانوا اجهد الناس فيها واشد خوفا من
غيرهم ولهذا قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطا ما ازددت
يقينا وكذا بشر اهل بدر واحد والحديبية بانهم لا يدخلون
النار وبانهم مغفور لهم كما مر ولا يلزم من عدم خوف العاقبة
المخالفة بدليل نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه قيل هو

خير وقيل من قول عمر رضي الله عنه اي ما خامر قلبه من اجلال الله
تعالى ومحبته بمنعه المعصية وان لم يخف ومثله ما رواه ابو نعيم
في الحلية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان سالما مولى ابي حذيفة
شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله ما عصاه فلانتفاء المعصية
سببان المحبة والخوف فلو انتفى احدهما وهو الخوف لم توجد المعصية
لوجود السبب الاخر وهو المحبة فاولى ان لا توجد عند اجتماعهما
وقد اجتمعا لسالم وصهيب رضي الله عنهما ويقتضي ايضا ان الولي
قد يقصد ظهور الكرامة لغرض صالح كفعل عمر رضي الله في امر
الجيش وفعله من اجل النيل ليقطع عادة الكافرين ويقوي
عزايم ضعفاء اليقين بصحة هذا الدين الشريف المتين والكرامات
من هذا الجنس للصحابة والتابعين وهلم جرا كثيرة جدا ولهذا
قال ابو تراب النخشبي رحمه الله تعالى من لا يومن بها فقد كفر
قيل لعله يرى تكفير المبتدعة اي القائلين بانكارها في جملة ما ابتدعوه
قلت بل الظاهر انه يرى ان انكارها كفر مطلقا لانه اما انكار لتاثير
القدرة فيلزم منه العجز واما تكذيب لما علم تواتره عن النبي صلى الله
عليه وسلم كقصة اصحاب الكهف فان خوارق العادات لم تزل
في الشرايع القديمة والحديثة ففي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها اذا التفتت فقالت اني لم اخلق
لهذا انما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم امنت بهذا انا وابو بكر وعمر وما هما ثم وقصة
الثلثة الذين سقطت عليهم الصخرة حتى سدت فم الغار وهي في
الصحيح وقصة الاقرع والاعمى والابرص وهي فيه ايضا فان العادة
خرقت لهم وان لم تكن كرامة الا في حق الاعمى فقط ورابع من الاقسام

معونة

معونة اي يسمى معونة وهو ما حصل من الخوارق لمن وهن اي
ضعف عن بلوغ مقام الولاية من ساير الصالحين وهو المراد بقولي
عن حمل ما قلنا مما هو مشروط في تحقق الولاية بالاصطلاح المار كما
يوخذ من تعريف الولي السابق اعانة الله تعالى بذلك تلطفا ومن
اي لطفا به ومنا عليه من الله سبحانه وتعالى والوقف على من بلا تنوين
ولا الف على لغة ربيعة وللوزن كفكم من ادهم اي قيد من حديد
بلا علاج معتاد واطلاقه من اسر على خلاف العادة ايضا وصونه عن
محنة و عن مكر اذ يريدهما فوقاه الله تعالى عنهما قال الشيخ تاج الدين
بن عطا الشاذلي رحمه الله تعالى في التنوير يحكى عن بعضهم انه كان اي
شي ابتلي به او اصيب فيه يقول خيره فاتفق ليلة ان جا ذيب
فاكل ديكا له فقيل له في ذلك فقال خيره ثم ضرب في تلك الليلة كلبه
فمات فقيل له فقال خيره ثم نهق حماره فمات فقيل له فقال خيره فضاق
اهله من كلمته هذا ذرعا فاتفق ان نزل بهم في تلك الليلة عرب اغاروا
عليهم فقتلوا كل من في المحلة ولم يسلم غيره واهل بيته استدل العرب
النازلون على الناس بصياح الديكة ونباح الكلاب ونهيق الحمير
وقد مات له كل ذلك فكان هلاكهن سببا لنجاته فسبحان المدبر الحكيم
انتهى اي صانه الله تعالى عن تلك المحنة التي اصابت غيره بهذا
التدبير العجيب الرجل موفق راي الخير في مواقع التدبير قبل تحقق
ثمرته لما رزق من اليقين ومن الخوارق العجيبة ما اتفق
في عصرنا لبعض اصحابنا وهو الفقيه الصالح محمد بن موسى بن علي
المشهور بابن ابي الرجال وكان يسكن هو وابوه مدينة الحجب بضم
الجيم من ارض بيش عوجرة وتحتية فنجم بوزن قيس بالخلاف
السليماني وكان الامير قيس بن محمد الحرامي بفتح المهملتين امير

حتى يستولى عليها في بعض الاحايين فاتفق ان خرج اليها ومعه
بعض قواده فارسل ذلك القايد من يطلب له علفا للحصان فلم يجد
الا في بيت ذلك الفقيه وهو اذ ذاك في اوايل تكليفه وكان ابوه غايبا
عن البلد وهو صالح ايضا وكانت امه حينئذ تغتسل في البيت وهي
صالحة فدخل الرسول بيتهم فاعترضه الفقيه محمد المذكور ليمنعه
الدخول لاسيما المراة تغتسل فلطمه ذلك الرجل الداخل واخذ من قصب
كانت في البيت فحملها ووضعها بين يدي الحصان فحين شمها ساخت
قوايمه في الارض فصاح الغلام فاجتمع من الناس ما يزيد على اربعة
الاف انسان وجاوا بكل ما قدروا عليه من الحبال الغليظة والسيور
المجدولة المحكمة فربطوا بها الحصان لينقذوه فتقطعت وكان
ينزل في الارض قليلا قليلا وهو يصيح اعني الحصان حتى لم يبق الا
راسه فنفر الناس عنه وذهبوا فرقا من هذا الامر فمكث كذلك ساعة
ثم انطبقت عليه الارض وكنت يومئذ حاضرا في الجهة غير اني لم احضر
الواقعة ولكن اخبرني بها من الثقات الذين شاهدوها ما يزيد
على عشرين رجلا وتواترت في تلك الجهات تلك الايام ولقد اراني
بعض من شهدها المكان الذي خسف بالحصان فيه فاذا هو
من اصلب الارض تضرب فيه سنابل الذرة يومئذ لصلابته وانما
ذكرتها لانكار كثير وجود الكرامة في هذا الزمان وترددت في
كونها معونة او كرامة وهل هي لمحمد المذكور او لابيه لكونه
صاحب البيت او لامه لهتك حرمتها بالدخول عليها حينئذ
ومن العجب انهم ماتوا كلهم ولم تطل مدتهم بعد ذلك ولم يبق منهم
الا امراة اخت لمحمد المذكور اسمها شرخ بضم الشين الاولى مفتوحة
بينهما مهملة ساكنة بنت موسى فاحترمها الناس بعد هذه الواقعة

احتراما كبيرا بحيث لو دخل دارها قاتل نفس لم يتعرض له خوفا من
مثل تلك الواقعة وهي صالحة ايضا اقبلت على العبادة بعد انقراض
اهلها واكرام النازلين بها وقد نزلت بها تلك الايام فوجدتها من
ابرك النساء وكتبت هذه الاحرف سنة ثمان وخمسين وتسعماية والغالب
على الظن وجودها بتلك الجهات ولاهل هذا البيت من هذه الخوارق
اشيا كثيرة والله يوتي فضله من يشاء وانه هو على كل شي قدير ولو كتبت
ما علمته من ذلك لبعض مشايخنا وغيرهم من اهل عصرنا وممن تقدمهم
بقليل لطال الكتاب وفي القليل ما يستدل به على الكثير والله الموفق
تنبيه ليس من شرط الولاية ظهور الكرامة بل الشرط المعرفة وصحة
الاستقامة وقد يحصل الخارق لاهل البداية ولا يحصل لاهل النهاية
لان ما هم عليه من الرسوخ والتمكن لا يحتاجون معه الى تثبيت و
لهذا قل ظهور الخوارق على ايدي السلف الصالحين من الصحابة والتابعين
لقوة يقينهم وكثر في غيرهم لضعفهم ونظيره ظهور الشخص وخفاؤه
قال الشيخ العارف احمد بن عطاء الله الاسكندري في لطايف المنن عقب
كلام ذكره ولهذا جهلت احوال الاكابر ارباب المقامات واشتهر اهل
الاحوال لظهور انوار المواهب عليهم لضعفهم عن كتمها ولضيقهم
عن وسعها فربما كان صاحب الحال احظى باقبال الخلق من صاحب
المقام وبينهما كما بين السماء والارض وكلما تمكن الرجل في العلوم الالهية
والمعارف الربانية استغرب في هذا العالم وقل من يعرفه ويفقد
من يحيط به فيصفه انتهى وخامس من اقسام الخوارق يدعى
اي تسمى بالاستدراج اي يخص بهذا الاسم ويقع لكل ذي زيغ
في الدين او اعوجاج اي ميل عنه كساحر يطير اي ياتي بصورة طيران
في الهوا بالمد وهو ما بين السماء والارض واما هوى النفس فالقصر

او بركب اي ساحر الفرش وغيره بظهر اي بسطح الماء ويمشي
عليه فيما يبدو للناس فهو استدراج له ومكر به لان حاله تنافي حال
الاوليا بل قد ذكر بعض العارفين ان الخارقة قد تحصل على يد من
ليس بساحر ولا ولي وهي معان اسست للجاهل لانه اذا وقع له ذلك عظمت
عنده نفسه واحتقر غيره فيهلك ونقل بعضهم عن المحققين من
اهل الطريق ان اكثر ما يتفق من الانقطاع عن حضرة الرب تعالى
انما يقع في مقام الكرامات ولهذا كانوا يخافون منها كما يخافون من
اسد البلد انتهى قلت وفي صحة ظهورها على يد غير من ذكر من المستورين
نظر لما فيه من الالتباس الموقع في المحذور لان الساحر قد ظهر امره
فلا التباس في حقه والمستور اذا كان غير صالح الحال في الباطن يوقع
الناس في اللبس والله اعلم تنبيه هل السحر تخييل او له حقيقة
ذهب المعتزلة والاستراباذي بكسر الهمزة والمعري الى انه تخييل لا
حقيقة له لقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وقد يؤيده بما
سيأتي من الدجال انه يظهر للناس ايام فتنته نهرين احدهما يقول
انه جنة والاخر يقول انه نار والذي يقول انه جنة نار وعكسه وذهب
اهل السنة والجماعة الى انه حق وله حقيقة ويكون بالقول والفعل
ويؤلم ويمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه كما في القرآن قلت
ويمكن الجمع بانه انواع فمنه تخييل فقط كما في سحر اصحاب فرعون
ونهري الدجال وبعض فتنته ولقد رايت بعض السحرة يدخل
قضيبا من حديد نحو الذراع في لسانه بعد ان يدلعه حتى يكون
خارجا من شفتيه نحو الكف ثم يتكفف الناس فهاتيك امره ثم
سالته برفق عن حقيقة ذلك فقال هو تخييل وكيف ادخله في لساني
حقيقة ودون ذلك بكثير لا يمكن احدا الصبر عليه انتهى ومنه

حقيقة

حقيقة كسحر لبيد بن الاعصم وبعض سحر الدجال والله اعلم وذهب
قوم الى ان الساحر قد يقلب بسحره الاعيان ويجعل الانسان حمارا
بقوة السحر قال بعضهم وهو واضح البطلان لانه لو قدر على هذا القدر
على ان يرد نفسه الى الشباب بعد الهرم وان يمنع نفسه من الموت
قلت وفيه نظر لانه قد لا يقدر على ذلك في نفسه والله اعلم قال ومن
جملة انواعه السيميا والهيميا ولم يبلغ احد في السحر الى الغاية التي وصل
اليها القبط ايام دلوكا ملكة مصر بعد فرعون فانهم وضعوا السحر
في البرابي وصنعوا فيها صور عساكر الدنيا فاي عسكر قصدهم
اتوا الى ذلك العسكر المصور فما فعلوه به من قلع الاعين وقطع الاعضا
اتفق نظيره للعسكر القاصد لهم فتحامتهم العساكر واقاموا ستمائة
سنة والنساء هن الملوك والامراء بعد غرق فرعون وجنوده حكاه القرافي
وغيره وانفردت بقولي ذي زيغ الخارج عن الملة من اي الفرق كان وبذي
الاعوجاج المنتمي اليها المائل بما غير سننها ومنه اي ومن هذا القسم
ما ياتي عن المسيح الدجال الاعور الكذاب عند اشراط الساعة اخر الزمان
من فتنته وله تذهب اي تضعف قوى الابطال اي الشجعان
حتى يتزلزل منهم من لم يعصمه الله تعالى كقوله للارض الممحلة انبتي
للخضر جمع خضرة وللسما امطري منك المطر فتنبت الارض و
تمطر السما على وفق ما تقول والقتل اي وكالقتل والاحيا الصادرين
منه ايام فتنته بان يقتل شخصا ثم يحييه والاسراع في مسح الارض
بلا دفاع وفي نسخة بلا نزاع اي لا منازعة ولا مدافعة في قصته
لثبوتها في الاحاديث الصحيحة المتواترة المعنى والايمان بها واجب
لانها من السمعيات ايضا ففي الصحيحين وغيرهما عن جماعة كثيرة
من الصحابة رضي الله عنهم من الاحاديث المنذرة بالدجال

والمحذرة منه ما يفيد العلم منهم حذيفة وابن عمر وابو سعيد الخدري
وابو هريرة وانس بن مالك وغيرهم ففي رواية مسلم عن حذيفة
الدجال اعور العين اليسرى جفال الشعر بضم الجيم اي كثيره معه
جنة ونار فناره جنة وجنته نار وفي رواية له عنه ان الدجال
ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر
يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ولهما من رواية انس ما من
نبي الا قد انذر امته الاعور الكذاب الا انه اعور وان ربكم ليس
باعور مكتوب بين عينيه ك ف ر وفي رواية لهما اعور العين
اليمنى كان عينه عنبة طافية اي ناتية ولعل الاختلاف في تعيين
العين باعتبارين فاليسرى عوراء ممسوحة اي ليس لها سواد واليمنى
ناتية وهي عوراء ايضا قد يبصر بها قليلا فبيان حاله من الانبيا
عليهم السلام وتشويه خلقه يكفي في عدم اللبس لظهور الخارق
على يده وانه استدراج له وفتنة لغيره وفي رواية لمسلم عن النواس
بن سمعان في حديثه الطويل الى ان قال فياتي على القوم فيدعوهم
فيؤمنون به فيامر السما فتمطر والارض فتنبت وفيه ثم يدعوا
رجلا ممتليا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين بالكسر
اي قطعتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك
وفيه فقلنا يا رسول الله وما لبثه في الارض قال اربعون يوما
يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم الحديث
وفيه وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح وفي
الصحيحين خبر ليس بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة
الحديث وفي رواية للبخاري لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال
لها يومئذ سبعة ابواب على كل باب ملكان وفي رواية لمسلم وهو

محرم

محرم عليه ان يدخل نقاب المدينة اي طرقها وفي رواية له عن انس
يتبع الدجال من يهود اصفهان سبعون الفا عليهم الطيالسة
وفي رواية لهما عن ابي هريرة ياتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة
حتى ينزل دبر احد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام اي جهتها
وهنالك يهلك ويؤخذ من هذه الرواية ومن رواية الصحيحين
المارة انه لا يدخل مكة ولا اليمن لصرفه من موضعه الى الشام و
هلاكه فيها بل ولا الحبشة ونحوها مما ليس في جهة الشام ولا المشرق
فيها يخص حديث ليس بلد الى اخره تنبيه في حديث النواس
المذكور في مسلم انهم قالوا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة
اتكفينا فيه صلوة يوم قال لا اقدروا له قدره اي ومثله اليومان
الاخران قال الاكثر من العلما هذا الحديث على ظاهره في طول الايام
الثلثة وانها اي الثلثة مستثناة لا تشملها احاديث المواقيت
المطلقة لكل يوم خمس صلوات فهذا الحديث مخصص لعموم تلك
قالوا ولولا هذا الحديث ووكلنا الى اجتهادنا لاقتصرنا في كل
منها على خمس صلوات عند الاوقات المعروفة في غيرها وبهذا
جزمت في باب المواقيت من كتابي الموضح ومعنى التقدير انه
اذا مضى بعد طلوع الفجر مثلا قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل
يوم من الايام المعتادة فصلوا الظهر وهكذا في العصر
وسائر الصلوات وقال البيضاوي في شرح المصابيح لعل تفاوت
هذه الايام لا يكون تفاوتا حقيقيا راجعا الى امر داخل فيها وانما
كان كان شيئا يتخيله الناس اما بسبب ما يكابدون فيها من صنوف
الشدائد وانواع البلايا واما بسبب شعبذة الدجال وتمويهه
عليهم فيصرف ابصارهم حتى يغفلوا عن تعاقب الظلمة والضيا

واختلاف الليل والنهار فيخيل اليهم ان الزمان مستمر على حالة واحدة
وانه الذي كانوا فيه باق على قراره قال وهذا التاويل اقرب الى قوله
اقدروا له قدره اي ولولا كان القياس الاكتفاء بصلوة يوم وان
طال ولا عموم ولا تخصيص على هذا قال ومعناه اقدروا له قدره
اي اقدروا الوقت الصلوة قدره الذي كان الى سائر الايام المحبوس
اشتبه عليه وقت وعكس هذا الحديث حديث الصحيحين يتقارب
الزمان قيل هو دنو من الساعة وقيل معناه قصر الاعمار وقلة
بركتها وقيل قصر مدة الايام والليالي لحديث الترمذي يتقارب
الزمان حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم
كالساعة والساعة كالضرمة اي كاحتراق السعفة كما هو كذلك
في رواية قال الخطابي يريد والله اعلم زمان خروج المهدي ووقوع
الامنة في الارض بما يبسطه من العدل فيها فيستلذ العيش عند
ذلك ويستقصر ولا يزال الناس هم يستقصرون مدة ايام الرخا
وان طالت وامتدت ويستطيلون ايام المكروه وان قصرت
وقلت والعرب تقول في مثل هذا مر بنا يوم كعرقوب القطا قصر
وهذا التاويل يوافق تاويل البيضاوي في عكسه والله اعلم
بحقيقة ذلك **وسادس الاقسام** وهو آخرها **ما** اي خارق **اهانة**
مدعيا خلاف ما قد بانا اي ظهر من حاله **كدعوة** مسيلمة
الكذاب لعنه الله تعالى **للاعور** اي للرجل الاعور **في تصحيح**
عينه اي لاجل تصحيح عينه الاعور **لضر** فيها **ما خفي**
على احد وكانت عينه الاخرى صحيحة **فاذهب الله** بدعوته المذكورة
سنا اي نور العين **الصحيحة** فصار اعمى **زيادة في الخزي**
والفضيحة للداعي والمدعو له فيسمى هذا القسم اهانة لاهانته

صاحـ

صاحبه الذي ادعى خلاف ما هو له وسبب هذه القصة ان
مسيلمة لعنه الله لما سمع ان النبي صلى الله عليه وسلم رد عين قتادة
بن النعمان كما كانت وتفل في بير ماؤها قليل وملح فصار ماؤها كثيرا
عذبا اراد مسيلمة الخبيث ان يفعل مثل ذلك فاخزاه الله تعالى بعمى
هذا الرجل الاعور وبتفله في بير ماؤها عذب قليل ليكثر ماؤها فنقص
وصار ملحا والله لا يصلح عمل المفسدين وهو اعلم حيث يجعل رسالته
فاي من خارق على ابدا احد **فزنه** اي اعتبره **بهذه** الموازين
الست واعرضه عليها وسم كل ما وزنته باسم الذي يخصه منها **وعن**
جهول صنه فانه لا يعقل هذا التحقيق الا القليل وقد اشار اليه
الشربيني في حاشية شرح الجمع واوضحناه اتم ايضاح ولله الحمد تنبيهان
الاول من السمعيات ايضا طلوع الشمس من مغربها وخروج
دابة الارض ويأجوج ومأجوج ورفع القرآن فالثلاثة الاول في الصحيح
والرابع رواه ابن ماجة من حديث حذيفة انه قال يدرس الاسلام
كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلوة ولا نسك
ولا صدقة ويسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى في الارض
منه اية وروى البيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود انه قال
اقروا القرآن قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قالوا
هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يعدى عليهم
ليلا فيرفع من صدورهم فيصبحون يقولون لكأنا كنا نعلم شيئا
ثم يقعون في الشعر قال القرطبي وهذا انما يكون بعد موت عيسى
عليه السلام وبعد هدم الحبشة الكعبة انتهى قلت وقد يعارض
بخبر الصحيحين ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد
ولكن يقبض العلم بقبض العلما حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس

رؤسا جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا والقرابه من
العلم بل هو راس العلوم وقد يجاب بحمل خبرهما على ان المراد بقبض
العلما قبض العلما به وبغيره من السنة فاذا قبضوا بقي القران
مع غير عارف بمعناه كما هو الغالب في العوام فيسئلونه فيقعون
في الضلال لجهلهم به وباحكامه فيسري عليه بعد ذلك عقوبة لهم
وهذا من ثمرات حفظ الموعود في قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون اذ لو ترك معهم لوقعوا في التحريف والتبديل المنافيين
للحفظ وهو محال والله اعلم الثاني بقي قسم من الخوارق لم يذكروه
ولا ينطبق عليه التعريف واحد من الستة المارة وهو ما يحصل
لبعض المشركين من الخوارق الحاثة على ترك الشرك وعلى المبادرة
الى الاسلام كتكلم بعض الاصنام لبعض المشركين وانشاده لشعر
يحثه على ما ذكرنا فكسر الصنم وذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم واسلم
فينبغي ان يخص هذا القسم باسم الارشاد والله الموفق تتمة في ذكر خلفا
النبوه الموعودين بالخلافة في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات الاية لان المخاطب بها الصحابة رضي الله عنهم
كما مر وفي بيان احوالهم ودرجاتهم في ذكر الامامة مطلقا وشروطها
وفائدتها وجعلناها تتمة لكونها من توابع النبوة ولواحقها
وعرفها بعضهم اي الخلافة بانها استحقاق تصرف عام على المسلمين
وبعضهم بانها خلافة الرسول في اقامة الدين وحفظ حوزة
الملة بحيث يجب اتباعه على كافة الامة المشهور ان النبي صلى الله
عليه وسلم بعث لاربعين سنة فمكث بمكة ثلث عشرة ثم هاجر الى
المدينة فمكث بها عشرا ثم قبض وهو ابن ثلاث وستين وقبض
ابو بكر وهو ابن ثلاث وستين وعمر كذلك وسياتي الخلاف في سني

عثمن

عثمن وعلي رضي الله عنهما ثم الامام الحق من بعد النبي صلى الله عليه وسلم
اول سابق الى الاسلام وهو ابو بكر الصديق رضي الله عنه واسمه
عبد الله بن ابي قحافة عثمن بن عامر كان اسم ابي بكر في الجاهلية عبد
الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله حبى اي اعطى
ابو بكر ذلك الاستخلاف المفهوم من ذكر الامام بالاجماع من الصحابة
رضي الله عنهم ومن تخلف منهم عن مبايعته ذلك اليوم بايعه
بعد زوال عذره فانعقد الاجماع على امامته قال ابن عبد البر في
الاستيعاب بويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني يوم الاثنين في سقيفة بني ساعدة ثم بويع بيعة
العامة يوم الثلثا من غد ذلك اليوم وتخلف عن بيعته سعد بن
عبادة وطايفة من الخزرج وفرقة من قريش ثم بايعوه بعد غير
سعد وهو اي وكونه بالاجماع هو المعتمد عند اهل النقل والعلم بالاجماع
اما كون امامته حقا وهو ما عليه اصحابنا والمعتزلة واكثر الفرق
فلان الله تعالى قد اثنى على هذه الامة بانها خير الامم وانهم عدول
في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس الاية وقوله وكذلك جعلناكم
امة وسطا اي عدولا خيارا والصحابة رضي الله عنهم خير الامة
بالنصوص والاجماع فهم خير الخير والخطاب ايضا معهم بقوله كنتم
وقوله وكذلك جعلناكم فلو كانوا يعلمون ان امامته باطلة ثم تابعوه
على ذلك لفسقوا والعياذ بالله تعالى وبطلت الشريعة من اصلها
لان التابعين ما تلقوها الا منهم وهلم جرا والفاسق لا يقبل خبره
لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا
فيترتب ذلك عليها من المفاسد والجهالات ما لا ينتحله الا ملحد او معاند
ولصار الخبر في كلام الله تعالى بخلاف المخبر به وهو محال فنعوذ

بالله من الطغيان ونزغات الشيطان ومن عدم الانصاف الصاد
عن جميل الاوصاف وهذا الاجماع مؤيد للنصوص الدالة على صحة
خلافة الشيخين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما كقوله تعالى وعد الله
الله الذين امنوا منكم الاية وقوله ستدعون الى قوم اولي باس
شديد الاية فالموعود بالاستخلاف من المخاطبين اما علي رضي الله
ومن بعده كمعوية ويزيد ومروان واما هو ومن قبله وهم
الثلثة والاول باطل اجماعا اما عندنا فلصحة خلافة الاربعة وعدم
صحة خلافة معوية ويزيد ومروان فانهم ملوك لا خلفا واما
عند الشيعة فلان معوية ويزيد ومروان لم يكونوا من الذين
امنوا وعملوا الصالحات فتعين الثاني وهو ان الموعود بالاستخلاف
ابو بكر والثلثة بعده وان شئت قلت علي ومن قبله فثبتت
خلافة ابي بكر رضي الله عنه والداعي للاعراب ليس محمدا صلى
الله عليه وسلم لقوله لن تتبعونا ولا عليا رضي الله عنه لانه
ما حارب الكفار ايام خلافته ولا من بعده وفاقا فتعين ان
يكون الداعي المخطوء بمخالفته من كان قبل علي وبعد النبي صلى
الله عليه وسلم وقد اوجب الله طاعة ذلك الداعي بقوله تعالى
فان تطيعوا الاية واذا كانت طاعته واجبة كانت خلافته صحيحة
وهو اما ابو بكر واما عمر على ما مر وخلافة عمر مرتبة على صحة
خلافة ابي بكر فثبت خلافة ابي بكر رضي الله عنه واما كونه
اول سابق الى الجنة الاسلام فهو قول ابن عباس وحسان
بن ثابت والشعبي والنخعي وجماعة ويدل له ما في صحيح مسلم في
قصة اسلام عمرو بن عبسة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم من
معك على هذا اي هذا الدين الذي جئت به قال حر وعبد قال

ومعه

ومعه يومئذ ابو بكر وبلال ممن امن به ويؤيده قول حسان
رضي الله عنه اذا تذكرت شجوا في اخي ثقة فاذكر اخاك ابا بكر بما فعله
خير البرية اتقاها واعدلها بعد النبي واوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده واول الناس منهم صدق الرسلا
وقيل اولهم اسلاما علي رضي الله عنه روي ذلك عن زيد بن ارقم
وابي ذر والمقداد بن الاسود وخزيمة بن ثابت وسلمان الفارسي
وغيرهم وروى الحاكم في المستدرك من رواية مسلم الملائي قال بني
النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واسلم علي يوم الثلثا وانشد
والخزيمة بن ثابت في علي رضي الله عنه ما كنت احسب ان الامر منصرف
عن هاشم ثم منها عن ابي حسن من فيه ما فيهم من كل صالحة
وليس في كلهم ما فيه من حسن اليس اول من صلى لقبلتهم
واعرف الناس بالقران والسنن هكذا اورده عن خزيمة الحافظ
زين الدين العراقي في شرح الفيته وفي الاستيعاب لابن عبد البر
انه هذا الشعر للفضل بن عباس بن عتبة بن ابي لهب وهو اللايق
بقرينة ذكر هاشم والترجع بانصراف الامر عنهم وشبهة نسبته
الى خزيمة ان له في علي رضي الله عنه ابياتا تشبه هذه الابيات
لكونها على بحرها ورويها وقيل اولهم اسلاما زيد بن حارثة وقيل
خديجة روي عن ابن عباس والزهري وهو قول قتادة ومحمد بن
اسحق وجماعة قال النووي وهو الصواب عند جماعة من المحققين
قال ابن الصلاح والاورع ان يجمع بان خديجة اول سابق مطلقا
وابو بكر اول الرجال الاحرار وعلي اول الاحداث او الصبيان قلت
قال البيهقي وكان اسلام الصبي اول الاسلام صحيحا وزيد بن حارثة
اول الموالي وبلال اول العبيد قلت فيحمل قوله في خبر مسلم حر وعبد

على اسقاط ذكر المراة والصبي لعدم نفعهما في الجهاد غالبا وهو المقصود
بعد الاسلام من فوايد الاتباع او لكونهما من اهل البيت ولهذا
لم يذكر زيدا ايضا اذ لا غرابة في اتباعهم وانما الغرابة في اتباع الاجانب
لانه يوذن بانخراطهم في سلكهم لما قد نقلوه من التحري والاحتياط
والله اعلم و لما علم ان امامة ابي بكر انما كانت بالاجماع علم انه لم ينص
المصطفى اي النبي المختار صلى الله عليه وسلم على احد من اصحابه
خلافا للشيعة حيث قالوا نص على علي رضي الله عنه اذ لو نص
على احد لاشتهر وتوفرت الدواعي على نقله لعظم امر الامامة
وخطرها ولانه اما ان يعلمه الصحابة او لا الثاني لا يلزمهم اذ لا
تكليف بمجهول والاول باطل لما فيه من المحذور المار وقيل بل نص
عليه اي ابي بكر رضي الله عنه بخفي اي بنص خفي يوخذ منه بطريق
التامل والحدس انه الخليفة بعده صلى الله عليه وسلم وعزي هذا
القول الى الحسن البصري رحمه الله كقوله اي النبي صلى الله عليه
وسلم في جواب امراة اتته كما في البخاري عن جبير بن مطعم
فكلمته صلى الله عليه وسلم في شيء فامرها ان ترجع اليه قالت
ارايت ان جئت ولم اجدك كانها تقول الموت قال فان لم تجديني
فاتي ابي بكر فانه يوخذ انه القايم بعده لانه لما امرها بالمجيء اليه
ان لم تجده حيا علم انه اي ابا بكر هو الذي يقوم بتنفيذ ما كان
النبي صلى الله عليه وسلم يريد ان يفعله وذلك لا يكون الا لمن
قام بامره بعده وفي معناه اي في معنى هذا النص الخفي جعله له
الاماما اي امامة الصلوة ايام مرضه صلى الله عليه وسلم الى وفاته
مع حضور علي وغيره فتقديمه فيها يدل على انه اولى بالامامة
مطلقا اذ لو كان غيره اولى لما قدمه عليه لما فيه من الازراء بحقه

والابهام المصون عنه المعصوم وتقديمه فيها تلك الايام مشهور
في الصحيحين وغيرهما حتى انه راجعه صلى الله عليه وسلم في ذلك فغضب
على من راجعه منهم عايشة وحفصة وقال انكن صواحب يوسف
مروا ابا بكر فليصل بالناس وروى الترمذي عن عايشة قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينبغي لقوم فيهم ابو بكر
ان يومهم غيره وذي اي امامة الصلوة زعامة اي رياسة في
الدين واي رياسة وبعضهم اي وبعض الصحابة قال تمليها
اي على امامة الصلوة الامامة العظمى وهي الاستحقاق التصرف
العام على المسلمين نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحتج
ان كلا منهما زعامة في الدين وقال اي ذلك البعض نرضاها
اي نرضى الامامة العظمى من ابي بكر رضي الله عنه كما قدما منا
في الصلاة باستخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم له فيها وقد
روي هذا عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم علي رضي الله
عنه كما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ولفظه وروى الحسن البصري
عن قيس بن عبادة قال قال لي علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض ليالي واياما ينادي بالصلوة
فيقول مروا ابا بكر فليصل بالناس فلما قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم نظرت فاذا الصلوة علم الاسلام وقوام الدين فرضينا
لدنيانا ما رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فبايعنا ابا بكر
وهذا يدل على انه انما تخلف عن البيعة ليراجع نفسه وينظر مواقع
الصواب حتى وقف على ذلك بهذا النظر السديد فرضي الله عنه
وارضاه ويدل ايضا على انه لم يوص اليه اذ لو كان لبينه لابي بكر
واهل البيعة كما رد ابو بكر للانصار خبر ان هذا الامر لا يصلح

الا في هذا الحي من قريش ومنهم الانصار رضي الله عنهم يوم السقيفة
فان سبب رجوعهم عن المنازعة مع ما احتج به عليهم ابو بكر رضي
الله عنه قول عمر لهم نشدتكم الله هل تعلمون ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم امر ابا بكر ان يصلي بالناس قالوا اللهم نعم قال فايكم
تطيب نفسه ان يزيله عن مقام اقامه فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا كلنا لا تطيب نفسه ونستغفر الله ذكره في
الاستيعاب ايضا وفيه ان ابن مسعود قال لجماعة اجعلوا
امامكم خيركم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل امامنا
خيرنا بعده ومن الاشارة الخفية ايضا رؤياه صلى الله عليه
وسلم كما في الصحيحين انه قال رايت في منامي كاني انزع بدلو
بكرة على قليب فجا ابو بكر فنزع ذنوبا او ذنوبين نزعا ضعيفا
والله يغفر له فجا عمر فاستسقى فاستحالت غربا فلم ار عبقريا من
الناس يفري فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن الذنوب
دلو ممتلي والغرب الدلو العظيم والعبقري السيد يفري فريه
يعمل عمله في الاجادة ومما يقرب من النص الجلي ما رواه مسلم في
صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مرضه ادعي لي ابا بكر واخاك حتى اكتب كتابا فاني
اخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل انا اولى ويابى الله والمؤمنون
الا ابا بكر ومنه ما رواه الترمذي عن حذيفة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وقالت الشيعة
بل نص النبي صلى الله عليه وسلم على علي رضي الله عنه بنصوص خفية
وجلية وانما ترك المنازعة بعده فمن الخفية خبر الصحيحين عن سعد
بن ابي وقاص رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي

انت

انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي فهو يشير الى
خلافته بعده لقول موسى لهرون اخلفني في قومي واصلح وازال
الايهام بقوله الا انه لا نبي بعدي ومن الجلية قوله تعالى انما وليكم
الله ورسوله والذين امنوا الاية فانها نزلت في علي رضي الله عنه
حيث اعطى السائل خاتمه وهو في الصلوة والولي هو الذي يلي الامر
بعده لان المراد بالولي في الاية اما الناصر واما الاولى بالتصرف
لا غير تقليلا للاشتراك والاول باطل لعدم اختصاص النصر
بالمذكور فتعين الثاني ومنها احاديث بعنوان الخليفة بعدي
وسلموا على علي بامرة المؤمنين وهذا خليفتي عليكم واجيب عن
الاول بان تمام المعنى لا يعرف الا بمعرفة السبب وسبب هذا الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد غزوة تبوك استخلف عليا رضي الله
عنه على المدينة فارجف به المنافقون وقالوا انما تركه استثقالا
له فقال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله تخلفني في النساء
والصبيان وقد زعم المنافقون ايضا كذا وكذا فقال كذبوا
انما تركتك لما خلفت ورائي فارجع فاخلفني في اهلي واهلك
الا ترضى الحديث وينتقض ايضا بموت هرون قبل موسى
وان استخلافه على المدينة لا يقتضي كونه الخليفة بعده فقد
استخلف عليها غيره مرارا ولم يلزم فيهم ذلك وقولهم انما ترك
المنازعة بنفسه غير صواب كيف وعلي رضي الله عنه في غاية
الشجاعة والتحري في دين الله وابو بكر من ارحم خلق الله واشدهم
شفقة وقد تخلف مع علي صناديد قريش كالزبير وابي سفيان
وغيرهما فيضن علي بنفسه خوفا من القتل وحبا للبقاء في الدنيا
وقد كان يلقيها في كل شعب من شعاب المهالك في سبيل الله

هذا لا يظنه به الا اهوج او معاند مع ان الانصار نازعوا ولم يقبلوا
بل بين لهم الحق حتى رجعوا ومنهم من لم يرجع وهو سعد كما مر
ولم يجر عليه شيء وعن الثاني بانا لا نسلم ان المراد الاولى بالتصرف
بجواز ان تكون المراد الناصر بدليل الجمع في قوله والذين امنوا
وحمله على الواحد متعذر فالمراد بالجمع علي واكفاوه بدليل ان الاية
سيقت في الحث على موالاة المومنين بعد النهي عن موالاة الكفرين
في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء وتلزم ما في ذهبوا اليه محذور عندهم وهو حصول الولاية
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فلا يصح بعده في احد من
اولاده وكذا ما رواه الترمذي من حديث من كنت مولاه فعلي
مولاه ان سلمت صحته لا يتعين في الاولى بالتصرف لجواز ارادة
المحبوب لانه مشترك بين معان كثيرة لا يمكن حمله عليها كلها
وتعيينه في الاولى بالتصرف مع بعده في الاستعمال لا دليل عليه
بخلاف المحبوب وقد ضعف الحديث المذكور ابو حاتم الرازي
وجماعة وعن الثالث بانها احاديث مختلقة لم يثبت ضعفها
عند احد من الحفاظ الذين افنوا اعمارهم في جزئيات هذا
الشان فضلا عن صحتها وعن وجودها عند من لا يعهد
بشيء من ذلك فرحم الله امرءا رحم نفسه وانصف منها ورجع
الى الحق واشتغل بما يعود عليه نفعه في خاصة نفسه والله
الموفق تنبيه ظاهر الاخبار المارة تدل على ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يعلم كيف تكون الخلافة في اصحابه ولكنه لم يؤمر
بتبليغهم ذلك فتركه لعدم الامر بالتبليغ ولعله راى ذلك اصلح
ويؤيده ان عمر رضي الله عنه سال ايام خلافته كعب الاحبار

بعد

بعد ان اسلم فقال هل تجد لي ذكرا في التوراة او اشارة فقال نعم
وساق له منها شيئا في صفاته وصفات من قام قبله ومن يقوم
بعده حتى جا بصفات عثمن وعلي وما جرى لهما على التحقيق الذي
جاء كما قال وكانت خلافة ابي بكر رضي الله عنه سنتين وثلثة
اشهر الا خمس او سبع ليال او وعشرا او واثنتي عشرة او وعشرين
اقوال وكان نقش خاتمه نعم القادر الله وقيل عبد ذليل
لرب جليل واختلف في السبب الذي مات به فقال الواقدي
انه اغتسل في يوم بارد فحم خمسة عشر يوما وقيل كان له طرف سل
فابيده وكان ابو قحافة والد ابي بكر حين قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة فقيل له قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
امر جلل الله اي عظيم فمن ولي بعده قالوا ابنك قال فهل رضيت
بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة قالوا نعم قال لا مانع لما اعطى
الله ولا معطي لما منع ثم توفي ابو بكر وابيه حي فورث منه السدس
ثم رده على ولد ابي بكر ثم مات في خلافة عمر سنة اربع عشرة وهو
ابن سبع وتسعين وبعده اي والامام الحق بعد ابي بكر الفاروق
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت امامته باستخلافه اي
باستخلاف ابي بكر له مجود اي اجاد ابو بكر رضي الله عنه الفكرة
اي النظر في العواقب صلاحا وفسادا وهو معنى ما مر من ان
الفكرة حركة النفس في المعقولات فكانت فكرته جيدة في
اردافه اي في جعله رديفه اي تاليه في الخلافة فانه تفرس فيه
فراى انه احق بها من غيره لما فيه من الشدة واللين والحذق
بالامور مع الاحتياط فيما يصلح الامة رضي الله عنهما فجاء كما
تفرس ولهذا قيل افرس الناس اي اقواهم فراسة ثلثة عمر رز

مصر حيث قال في شان يوسف عليه السلام اكرمي مثواه عسى
ان ينفعنا او نتخذه ولدا وابنة شعيب حين قالت في شان
موسى عليه السلام يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي
الامين وابو بكر حيث استخلف عمر رضي الله عنهما وذكر اهل
السير ان ابا بكر لما احس بالموت طلب عمر ثم اخبره بانه سيعهد
اليه فتابى عمر تهيبا من ثقل امر الخلافة وخطرها فغضب
ابو بكر وقال لمن عنده اسندوني وهاتوا السيف اتعصي امري
فاستكان عمر وقال اعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ومن
غضب الخليفة ثم قبل العهد وهذه صورة العهد اليه الذي
كتبه له قبل موته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد ابو بكر
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند اخر عهده بالدنيا واول
عهده بالاخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر اني
استعملت عليكم عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذلك علمي به ورايي
فيه وان جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير اردت ولكل امرء
ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فحقق الله
تعالى ما توسمه فيه بالخير فقام بالامر اتم قيام وفتح الله على يديه الفتوح
الكثيرة واضمحل في ايامه ملك الاكاسرة والقياصرة وتوغل الصحابة
رضي الله عنهم في بلاد فارس والروم وكان يجتهد في اصلاح الامة
واصلاح دينه اتم اجتهاد حتى انه قال يوما لجماعة عنده ارايتم اذا
استعملت عليكم خير من اعلم ثم اوصيته بالعدل فيكم اتروني [illegible]
قضيت ما علي قالوا نعم قال لا حتى اطالعه وافتقده في عمله هل هو
كما امرته اولا ووصفه المغيرة بن شعبة يوما فقال كان عمر اجل
من ان يخدع واعظم من ان يخدع واثنى عليه ابن عباس بالحذر

في الامور

في الامور كما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب باسناده اليه انه ساله
ناس فقالوا اي رجل كان ابو بكر قال كان خيرا كله او كالخير كله على
حدة كانت فيه قالوا فاي رجل كان عمر قال كان كالطير الحذر
الذي يظن ان له في كل طريق شركا قالوا فاي رجل كان عثمان قال
رجل الهته نومته عن يقظته قالوا فاي رجل كان علي قال كان قد
ملا جوفه حكما وعلما وباسا ونجدة مع قرابته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان يظن ان لا يمد يده الى شيء الا ناله فما مد يده
الى شيء فناله انتهى فائدة ليست الحدة من صفات الذم
فقد روى الطبراني عن ابن عباس حديث الحدة تعتري خيار
امتي ورواه ابن عدي في الكامل عن معاذ بلفظ الحدة تعتري
حملة القران لعزة القران في اجوافهم ورواه الديلمي في مسند
الفردوس عن انس بلفظ الحدة لا تكون الا في صالحي امتي وابرارها
وكانت خلافة عمر رضي الله عنه الى ان مات بطعنة العلج غلام
المغيرة بن شعبة اواخر الحجة سنة ثلاث وعشرين عشر سنين وستة
اشهر وسبعة ايام ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي
الله عنه في بيت عائشة رضي الله عنها ومن فضل علي رضي الله
عنه وانصافه في حق عمر ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال اني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر وقد وضع
على سريره اي نعشه اذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي
يقول يرحمك الله اني لارجو ان يجعلك الله مع صاحبيك لاني
كثيرا ما كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كنت و
ابو بكر وعمر وفعلت وابو بكر وعمر وانطلقت وابو بكر وعمر ودخلت
وابو بكر وعمر وخرجت وابو بكر وعمر فالتفت فاذا علي بن ابي طالب

كرم الله وجهه قلت وهذا من قوة فهم علي وصفاء ذهنه فانه استنبط
من هذا الكلام انهم لا تفترق قبورهم بل يكونون مجتمعين ايام البرزخ
كما كانوا يجتمعون في غالب الاحوال عند هذه الامور التي ذكرها والله
اعلم **وبعد** اي وبعد انقضاء خلافة عمر الامام الحق **عثمن** بن عفان
رضي الله عنه **وبالشورى ولي** اي وكانت ولايته بالشورى التي
جعلها عمر في الستة الباقين من العشرة الذين توفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو عنهم راض وهم عثمن وعلي وطلحة والزبير وعبد
الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص فبويع عثمن بالخلافة يوم
السبت غرة المحرم سنة اربع وعشرين بعد دفن عمر بثلاث باجتماع
الناس عليه هكذا ذكره في الاستيعاب **وكان ما كان من الامر الجلي**
اي الواضح في كتب التواريخ ونصوص السير وهو خروج فرقة لا خير
فيها طاعته **وقتل بالدار** اي بداره بالمدينة المعظمة الشريفة **مظلوما**
على ايدي سفها جهلا جمعا سفيه وجاهل وحاصل قصته ان الناس
نقموا عليه الاشيا بعد ست سنين من خلافته ولم يزالوا يراجعونه
فيها حتى كان من امره ما كان ومن المراجعة ما ذكره في الاستيعاب
عن اسد بن موسى باسناده ان عمرو بن العاص قال الى عثمن وهو
يخطب فقال يا عثمن انك قد ركبت بالناس المهامين وركبوها منك
فتب الى الله وليتوبوا قال فالتفت اليه عثمن وقال وانك هناك يا بن
النابغة ثم رفع يديه الى السما واستقبل القبلة وقال اتوب الى الله اللهم
اني اول تايب اليك وباسناده الى ابن عمر قال لقد عتبوا الى عثمن
اشيا لو فعلها عمر ما عتبوها عليه وكان السفها المذكورون
جموعا جمع من اهل مصر قيل الف وقيل سبعماية وقيل خمس وجمع
من الكوفة وجمع من البصرة قدموا كلهم المدينة وحصروه كما في

الاستيعاب

الاستيعاب عن الواقدي تسعة واربعين يوما وقال الزبير
اي ابن بكار شهرين وعشرين يوما وكان اول من دخل عليه الدار
محمد بن ابي بكر فاخذ بلحيته فقال دعها يا ابن اخي فوالله لقد
كان ابوك يكرمها فاستحيى وخرج ثم دخل عليه رومان بن
سرحان رجل قصير محدود عداده في مراد وهو من ذي اصبح
معه خنجر فاستقبله به وقال على اي دين انت يا نعثل يا نعثل
الشيخ الاحمق ويهودي كان بالمدينة فقال عثمن لست بنعثل
ولكني عثمن بن عفان وانا على ملة ابراهيم حنيفا مسلما وما انا
من المشركين قال كذبت وضربه على صدغه الايسر فقتله فخر
فادخلته امراته نائلة بينها وبين ثيابها وكانت امراة جسيمة
فدخل عليها رجل من مصر وسيفه مصلت يريد قطع انف
عثمان فكشفت عن ذراعيها وقبضت على سيفه فقطع ابهامها
وصاحت بغلام لعثمن وقالت اعني عليه فضربه الغلام بسيف
عثمان فقتله واقاما عثمان يومه ذلك مطروحا الى الليل و
قصته هايلة طويلة من مع فضله وقرب الناس بعهد النبوة
فكيف ما يصدر من اهل هذا العصر المظلم البعيد اكثر اهله
من الخير والعلم فلا يستغرب ما حدث منهم والعياذ بالله
وكان قتله يوم الجمعة لثمان عشرة او سبع عشرة خلت من ذي
الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة وعلى راس احدى عشرة سنة
واحد عشر شهرا ونحو عشرين يوما من مقتل عمر بعد ان بلغ
عمره فيما قال ابن اسحق ثمانين سنة وقيل قتل وهو ابن ثمان
وثمانين وقيل ابن تسعين وقيل ابن ست وثمانين ولحسان رضي
الله عنه فيه قتلتم ولي الله في جوف داره وجيتم بامر جاير غير مهتد

فلا ظفرت ايمان قوم تعاونوا على قتل عثمن الرشيد المسعد
قال ابن سيرين لما ارادوا اطافوا بعثمان يريدون قتله اشرفت عليهم
امراته فقالت ان تقتلوه او تتركوه فانه كان يحيي الليل بركعة كان
يجمع فيها القران وقال كثر المال في زمن عثمان حتى بيعت جارية بوزنها
وفرس بماية الف درهم ونخلة بالف درهم وقالت عايشة عتبتنا
عثمان في ثلاث خلال ولم تذكرهن فعمدوا اليه فاقتحموا الفقر
الثلاث حرمة البلد وحرمة الشهر الحرام وحرمة الخلافة ولقد
قتلوه وانه لمن اوصلهم للرحم واتقاهم لربه **وكان مروان** ابن الحكم
ابن ابي العاص ابن عمه **لذاك سببا** فيما قيل من انه زور عليه كتابا لمحمد
بن ابي بكر فوقع الكتاب في يد محمد المذكور فحشد الناس عليه مع
توجع اهل المدينة من الثلاث التي اشارت اليها عايشة فاراده الله
تعالى اكرامه بالشهادة **فاهلم** اعني مروان وقومه **ساقوا اليه**
العطبا اي التلف ليتفردوا بالامر فكان تدميرهم في تدبيرهم
وعثمن بري منه وفي قولي فاهلم الى اخره تلميح بما ذكره في الاستيعاب
باسناده الى ابن عباس انه مشى يوما مع عمر فتراجعا في امر الخلافة
بعده الى ان قال ابن عباس قلت فعثمن قال والله لو فعلت لحمل بني
ابي معيط على رقاب الناس يعملون فيهم بمعصية الله والله لو فعلت
لفعل ولو فعل لفعلوا فوثب الناس عليه فقتلوه وهذه فراسة صادقة
من عمر رضي الله عنه والحكم والد مروان هو الذي اطلع في حجرة من
حجر النبي صلى الله عليه وسلم ومع النبي صلى الله عليه وسلم مدرا يحك
به فقال لو علمت انك تنظر لطعنت به في عينك وقال فيه يوما
ويل لامتي مما في صلب هذا ونفاه الى الطايف لانه كان اذا تكلم النبي
صلى الله عليه وسلم اختلج بوجهه فراه النبي صلى الله عليه وسلم ف

بعض

بعض الايام وهو يفعل ذلك فقال كن كذلك فلم يزل يحرك شفتيه
وذقنه حتى مات وهو من مسلمة الفتح ولعنه النبي صلى الله عليه وسلم
وابنه مروان في ظهره ولم يزل منفيا الى خلافة عثمن رضي الله
عنه ومما نقم به عليه رد مروان وجعله كاتبا له بعد ان طرده النبي
صلى الله عليه وسلم واباه ولعله احدى الثلاث التي اشارت اليهن
عايشة فيما مر **ثم** الامام الحق **علي بعده** اي بعد عثمان وهو
ابو الحسن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم واخوه وزوج ابنته سيدة النسا **وكان**
استحقاقه للامامة **بالاجماع ايضا** من اهل الحل والعقد **وقمن**
بفتح القاف والميم وبكسرها اي وهو حقيق بها واهل لها وكانت بيعته
بالمدينة يوم قتل عثمن واجتمع على بيعته المهاجرون والانصار وتخلف
عنه نفر فلم يهجهم ولم يكرههم وقالوا اولئك قوم قعدوا عن الحق
ولم يقوموا مع الباطل **فقام بالامر** اي امر الخلافة **على السداد**
اي الصواب لما رزق من العلم والفهم والزهد والشجاعة وكانت
سيرته شبيهة بسيرة ابي بكر رضي الله عنه واستمر كذلك **حتى اتت**
شبهة من تصادف اي يعارض وهي المطالبة بدم عثمن والتمكين
من قاتليه **فثار قوم من كبار الصحب** كعايشة وطلحة والزبير وهذه
اشارة الى وقعة الجمل وكانت في جمادى سنة ست وثلثين من
الهجرة اي قاموا **بهذه** اي بسبب الشبهة المذكورة **لفتنة وحرب**
حتى مضوا اي الذين ثاروا اي قتلوا **فيها** اي في الفتنة المذكورة
على اجتهاد منهم **يرون فيه** اي في ذلك الا حتهاد **اصوب الجهاد**
وهم مخطئون في الواقع **والعفو معلوم اذا ما اخطى** بزيادة ما
للتاكيد **في الاجتهاد من له** اي عليه **تسلطا** اي اقدم **بشرطه**

اي بشرط الاجتهاد وهو كونه من اهله الذين يلعنوا من ثبتت كطلحة
والزبير في قتالهم لعلي رضي الله عنه وخرج به من لم يكن كذلك
لقتلة عثمان فانهم لم يكن لهم شبهة يقتضي قتله وليسوا من اهل
الاجتهاد ولا كل من انتحل شبهة باطلة يعذر فيها والدليل على ان
المجتهد اذا اخطا كان خطاؤه معفوا خبر الصحيحين اذا حكم الحاكم
فاجتهد فاصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطا فله اجر
واحد قوله اذا حكم اي اذا اراد الحكم لان الاجتهاد قبل الحكم والاجر الواحد
على اجتهاده والاجران على اجتهاده واصابته **فكف عنهم** اي عن
الصحابة وعما شجر بينهم وسبيله سبيل الاجتهاد اي كف عنهم لسانك
فلا تطلقه فيهم بثلب ونحوه واول لهم ما استطعت فانهم اعرف بالله
وباحكامه وبرسوله منك فلا تخاطر بنفسك فانا قدرنا ان من فعل
ذلك اي الاطلاق المذكور فابتلى في نفسه وخاصته بنحو ما ابتلوا
به مع العجز عن تاويل ما دفعوا هم فيه اعني المطلقين السنتهم **و**
ارتقت من كلهم نفعا بشفاعة ونحوها يوم القيمة لانهم خير الامة
بالنصوص المارة وغيرهم انما هو في تركة جهادهم وندوبهم
البلاد ففي الكف الراحة والسلامة وفي الكلب المخاطرة المفضية
الى الخسران والندامة وفي هذا اشارة الى ما روي عن عمر ابن
عبد العزيز عنه انه لما سئل عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم قال تلك
دماء طهر الله منها ايدينا فلا نلوث بها السنتنا والى ما علم من
فضل الصحابة رضي الله عنهم في الجملة ففي الصحيحين لا تسبوا اصحابي
فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد
احدهم ولا نصيفه وفي مسلم اصحابي امنة لامتي فاذا مضى اصحابي
اتى امتي ما يوعدون وقدم خبر خير امتي قرني الحديث وفي الترمذي

الله

الله الله في اصحابي مرتين لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم
فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقد اثنى
الله عليهم في غير اية نحو كنتم خير امة محمد رسول الله الاية يوم لا يخزي
الله النبي والذين امنوا معه الاية **واما من ركب** اي ارتكب **ما حظره**
منهم فلا يضرنا فانهم وان كانوا عدولا فليسوا معصومين فقد يصدر
من بعضهم ما يوجب حده وفي الصحيحين في حديث الحوض ليردن
علي اقوام اعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فاقول انهم مني
كامر وفي رواية اصحابي اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا
بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدي وهذا ونحوه لا يخرج جملة الصحابة
عن كونهم عدولا خيارا لانا لا نعرف المغيرين الذين لا تاويل لهم باعيانهم
فهل علينا شبهة في كونهم من سبهم ولنلبسهم لا شبهة ولا ادعى شبهة علينا في
ذلك بل يجب تولي جملتهم واعتقاد فضلهم ومحبتهم ووقعة الجمل المشار
اليها فيما مر قتل فيها طلحة والزبير وجملة من الصحابة وغيرهم ظهر عليهم
فيها علي رضي الله عنه ولم يزد على الحق يجاهد الناكثين والقاسطين
والمارقين الى ان استشهد سابع عشر رمضان من سنة اربعين
على يد اشقى الاخرين ابن ملجم المرادي لعنه الله تعالى فكانت خلافته
اربع سنين وتسعة اشهر وايا ما واختلف في سنه يومئذ فقيل
ثلث او اربع او خمس وستون وقيل سبع او ثمان وخمسون وقالت
عايشة لما بلغها قتل علي رضي الله عنه لتصنع العرب ما شاءت
فليس لها احد ينهاها ومما قيل في ذلك من الشعر ما ذكره في الاستيعاب
لبكر بن حماد قل لابن ملجم والاقدار غالبة هدمت ويلك للاسلام اركانا
قتلت افضل من يمشي على قدم واول الناس اسلاما وايمانا

داعلم الناس بالقرآن ثم بما سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
وهو طويل ولخزيمة بن ثابت رضي الله عنه فيه من ابيات ذكرها
تضمنن كل خير فيهم فهو فيه ولهم دونهم خصال تزينه
وترجمته طويلة وفضائله جمة رضي الله عنه وسيأتي بعضها وبخلافته
وخلافة ابنه الحسن رضي الله عنهما تمت خلافة النبوة وفيها معجزة
ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال فيما رواه الترمذي
الخلافة بعدي ثلثون سنة ثم تكون ملكا وفي رواية ملكا عضوضا
وفسر العضوض بانه الذي فيه عسف وظلم كانه يعض على الرعايا
ورواه ابو داود والنسائي ايضا بمعناه وبهذا تقرر ان الخلافة
تكون بالاجماع وباستخلاف الامام وبمن رضيه اهل الشورى و
بمبايعة اهل الحل والعقد **وفضلهم** اي فضل الخلفا الاربعة **جاد** اي
كاين **على ترتيبهم** في الخلافة فيكون ابو بكر افضلهم ثم عمر ثم عثمن ثم علي
رضي الله عنهم **اي** فضلهم المذكور هو اي **في ترقيهم الى مثيبهم**
اي الى ربهم الذي يثيبهم وفيه تخييل و **معناه** اي ومعنى التفضيل
المذكور او الترقي **من اكثرهم ثوابا ومن تعانا** اي باشر منهم اسبابا
اكثر من الاخر يقتضي اكثرية ثوابه عليه فيقضي له بالافضلية المذكورة
في العقايد فاعلم ان الحكم بينهم بالمفاضلة على هذا الترتيب لا يعلم من
جهة العقل لانه لا اطلاع له على جزئيات الاسباب القاضية لهم
بذلك كذلك وانما يعلم من النقل وقد جاء في الاحاديث ما يقتضي
ذلك فقف معه وليس لنا ان نتعداه قال الله تعالى ولا تقف
ما ليس لك به علم وقال وما اتاكم الرسول فخذوه الاية وقد ورد عن
النبي صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه رضي الله عنهم وهم اعرف الناس
باحوالهم ما يقتضي ما ذكرناه فروى الترمذي عن انس وابن ماجه

عن

عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر وعمر
سيدا كهول اهل الجنة من الاولين والاخرين الا النبيين والمرسلين
وروى البخاري عن محمد بن الحنفية قال قلت لابي اي الناس خير بعد
النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر قلت ثم من قال عمر وخشيت ان
يقول عثمان قلت ثم انت قال ما انا الا رجل من المسلمين وروى البخاري
ايضا عن ابن عمر رضي الله عنهما كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
لا نعدل بابي بكر احدا ثم عمر ثم عثمن ثم نترك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
لا نفاضل بينهم اي وقد قام الاجماع بعد على افضلية علي بعدهم
على بقية الصحابة وفي رواية لابي داود كنا نقول ورسول الله صلى الله
عليه وسلم حي افضل امة النبي صلى الله عليه وسلم بعده ابو بكر ثم عمر
ثم عثمن زاد الطبراني فيبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينكره
وفي الصحيحين عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي انت مني
وانا منك وفي الترمذي عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان علي مني وانا منه وهو ولي كل مومن وروى احمد والترمذي
من كنت مولاه فعلي مولاه وقد مر الكلام عليه وفي الترمذي عن
ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي انت اخي في الدنيا والاخرة
وفي رواية للترمذي عن انس وقال غريب ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتي بطير فقال اللهم ايتني باحب خلقك اليك ياكل معي من
هذا الطير فجاء علي فاكل معه منه فان صح فهو عام مخصوص
بغير المتكلم وبغير الانبيا عليهم السلام وبغير الثلثة المنصوص
عليهم واذا كان كذلك فترجع الى النقل كما مر ومنه ما روى
البيهقي عن ابي ثور عن الشافعي انه قال ما اختلف احد من
الصحابة والتابعين في تفضيل ابي بكر وعمر وتقديمهما على

على جميع الصحابة واما اختلف من اختلف منهم في علي وعثمان انتهى
واذا كان الفضل انما هو بالسبب المقتضي له والعقل لا يدركه وانما يدرك
بالنقل فالمعتمد النقل لا غيره مما يقتضي انه اي الافضل اعلمهم
اي الاربعة وانسبهم اي اقربهم نسبا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وان كان لهما مزية لا تجهل فلعل للمفضول بهما من الاسباب
ما يقتضي موازاتهما مع زيادة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد
ورد في حديث رواه احمد والترمذي ان اعلم هذه الامة بالحلال
والحرام معاذ بن جبل رضي الله عنه ولم يقل احد بانه في الفضل كاحد
الاربعة فضلا عن تفضيله عليهم مع كونه اعلم منهم بالنص المذكور فذو
اختصاص بها اي بكونه اعلم وانسب لا يعزب عنك لظهوره وهو
علي رضي الله عنه اما كونه انسبهم فظاهر اذ هو ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم شقيق ابيه واما كونه اعلمهم فلا مرية فيه وقد كان
عمر يرجع اليه في المشكلات ويقول لا ابقاني الله في قوم لست فيهم
يا ابا الحسن وكان يقول لولا علي هلك عمر ويقول اقضانا علي واقرانا
ابي وقال ابن عباس والله لقد اعطي علي تسعة اعشار العلم وايم الله
لقد شاركهم في العشر العاشر وقضاياه في اصحاب الارغفة من
العجايب وقد ذكرها صاحب الاستيعاب مطولة وكلامه في الحكمة
والادب وغيرهما مما يدل على سعة علمه وقوة فهمه قال بعضهم
ومن كلامه الغر تسع كلمات ثلاث في المناجاة وهي كفاني فخرا ان
تكون لي ربا وكفاني عزا ان اكون لك عبدا وانت كما احب فاجعلني
كما تحب وثلاث في الحكمة وهي قيمة كل امرئ ما يحسن وما هلك امرؤ
عرف مقدار نفسه والمرء مخبوء تحت طي لسانه وثلاث في الادب وهي
استغن عمن شئت تكن نظيره واحسن الى من شئت تكن اميره

واحتج

واحتج الى من شئت تكن اسيره ولعلمه وفضله جاء الخلاف بين اهل
السنة في تفضيله على عثمن وممن فضله عليه الامام ابو بكر بن خزيمة
وهو مروي عن سفيان الثوري واهل السنة من اهل الكوفة واختاره
جمع من المتاخرين ولعثمن ايضا مناقب كثيرة مع ما مر منها ما رواه الترمذي
وقال غريب وهو منقطع ايضا عن طلحة بن عبيد الله قال قال النبي صلى
الله عليه وسلم لكل نبي رفيق ورفيقي يعني في الجنة عثمن وروى الترمذي
ايضا ان عثمن رضي الله عنه لما جهز جيش العسرة سمع عبد الرحمن
بن خباب النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما على عثمان ما عمل بعد هذه
وروى احمد والترمذي عن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمن الى النبي
صلى الله عليه وسلم بالف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في
حجره فرايت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول ما ضر عثمن
ما عمل بعد اليوم مرتين وروى ابن ماجه والترمذي وصححه عن مرة بن
كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الفتن فقربها
فمر رجل مقنع في ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت اليه فاذا هو
عثمن بن عفان قال فاقبلت عليه بوجهه فقلت هذا قال نعم وروى
الترمذي وابن ماجه ايضا عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال يا عثمن انه لعل الله يقمصك قميصا فان ارادوك على خلعه
فلا تخلعه لهم يعني الخلافة ولهذا قال عثمن يوم الدار ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد عهد الي عهدا فانا صابر عليه رواه الترمذي
وصححه تنبيه ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب ما يخالف ما مر عن
الشافعي والجمهور من اتفاق الصحابة والتابعين على تفضيل ابي بكر
وعمر وتقديمهما الى اخره وهو ان السلف اختلفوا في تفضيل علي
وابي بكر قال وقد ذكر ابن ابي خيثمة في كتابه من اختلافهم ما فيه

كفاية قال واهل السنة اليوم على ما ذكرت من تقديم ابي بكر في الفضل على
عمر ثم عمر على عثمان ثم عثمان على علي الا الخواص من حملة الفقهاء وائمة
العلماء اي فانهم يقدمون عليا على عثمان وحكى المازري والخطابي
في المعالم عن اهل السنة تفضيل ابي بكر وعن الخطابية تفضيل عمر
وعن الشيعة تفضيل علي وعن الراوندية تفضيل العباس رضي الله
عنه وعن بعضهم الوقف ولهذا الاضطراب والاختلاف قلت وترك
خوض منك ايها الطالب للسلامة في المبالغة في شان هذا الامر
وهو المبالغة في تحقيق العلم بالمفاضلة والبلوغ فيه الى الغاية حكمة زد
بعدها بالغة اي ترك خوضك في المبالغة فيه حكمة بالغة اي بالغة
اعلا مراتب الحكمة لحصول السلامة فانه لو فرض ان كافرا اسلم وعرف
ربه تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والتزم احكامهما وعمل بها ثم
مات ولم يسمع بذكر احد من الاربعة لم يقدح ذلك في ايمانه واذا كان
الامر كذلك فاي فضيلة لك في المبالغة في ذلك فربما ادى الخوض في
المبالغة الى مشاحنة اي مباغضة بينك وبين اخيك المسلم وهي
المذمومة شرعا وعقلا والمطلوب ايتلاف كما لقوله تعالى انما المؤمنون
اخوة الاية وقوله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم المسلم اخو المسلم
لا يظلمه ولا يكذبه الحديث او ادى ذلك الى ازدراء اي تنقص
منك ايها المبالغ يقتضي المباينة بين المفضل والمفضل عليه اي انهما
كانا متباينين اي متباغضين في حياتهما كما فهمناه ممن يبالغ في
ذلك وليس كذلك بل كانوا في غاية ما يكون من انصاف بعضهم
لبعض وموالاته له ولهذا قلت في بعض الابيات

ليس من شرط من احب عليا ٥ بغض من قام قبله بالخلافه
بل موالاتهم كما هو والى ٥ وروى فضلهم وهي خلافه

رحم

رحم الله من ترضى عليه ٥ وعليهم وصانه بالعفافه
قد برئنا الى المهيمن ممن ٥ سبهم او قلاهم من سخافه

اي سخافة في عقله اي القالي لهم وهو المبغض والسخافة الضعف ومنه
ثوب سخيف اذا كان ضعيفا مهلهلا فلا معنى للمشاحنة وحبهم
جميعهم رضي الله عنهم فرض على الجميع اي جميع من ينتمي الى الاسلام
وحب السلامة للحديث المار فمن احبهم فبحبي احبهم وحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم واجب لا يصح الايمان الا به لخبر الصحيحين لا يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين بل حب سائر
المؤمنين واجب فضلا عمن حض باصحبته الكريمة لخبر مسلم لا تدخلون
الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الحديث فلا تصغ ايها الطالب
للهدى المحب للسلامة وهو بالمهملة ثم المعجمة من اصاخ اذا استمع اي
لا تصغ سمعك الى هوى شخص وضيع اي حقير القدر في المعنى
بما انطوى عليه من بغض بعضهم او الازدراء به فقد اتعب نفسه بما لا
يعود عليه نفعه بل فيه ضرره وقبحه ونحن بحمد الله لا نفرق بين احد منهم
بما يقتضي ذلك وغيرنا ممن اتعب نفسه كمن قال نؤمن ببعض ونكفر
ببعض ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه

اذا نحن فضلنا عليا فاننا ٥ روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل
وفضل ابي بكر اذا ما ذكرته ٥ رميت بنصب عند ذكري للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما ٥ ادين به حتى او سد في الرمل

وكونه اي التفضيل فيهم اي في الائمة الاربعة على الترتيب اي
ترتيبهم في الخلافة ظن لان الاخبار احاد وفيها ما يقتضي التعارض
والاجماع ان صح ففي كونه قطعيا خلاف ولقطعيته شروط ولعلها
لم توجد فلا ينبغي فيما هنا القطع بل هو ظن قوي واليه ذهب القاضي

ابو بكر الباقلاني وامام الحرمين في الارشاد قال العراقي في شرح الغيثة
وبه جزم صاحب المفهم وجزم به ايضا شارح المحصل ومال الاشعري
الى انه قطعي والتحقيق عند المصنف ما ذكرناه ومال امام الحرمين
الى التوقف في علي وعثمان فقال الغالب على الظن ان ابا بكر افضل ثم
عمر وتتعارض الظنون في عثمان وعلي انتهى قلت ولا محذور في
كونه ظنا لانه بتقدير ان الواقع في نفس الامر عكس الترتيب في
جميعهم او في بعضهم لا يقدح في صحة الامامة على الترتيب لانا نقول
بصحة امامة المفضول مع وجود الافضل يقينا لا سيما ان ترتب على
ذلك مصلحة ولهذا قلت **فالداعي** اي في الامر المنجي **الى التشغيب**
وهو تهييج الشر ومنه المشاغبة لانه اي التشغيب يؤدي الى ما
قلنا من المشاحنة والازدراء لبعضهم بل الغالب على اهل الاهوى
الجمع بينهما ولهذا المعنى منع النبي صلى الله عليه وسلم من المفاضلة
بين الانبيا فقال لا تفاضلوا بين انبياء الله على احد التاويلات
فيه ويفهم من النظم ان الخوض لا على وجه المبالغة المودية الى ما
ذكر لا باس به ولا نهي عنه وهو كذلك لان معرفة الشي على ما هو به
فضيلة لا تخفى **فائدة** عجيبة ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب باسناده
الى ضرار الصدائي انه قال له معوية يا ضرار صف لي عليا فقال
اعفني قال لتصفنه قال اما اذ لا بد من وصفه فكان والله بعيد
المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من
جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها
ويانس بالليل ووحشته وكان غزير العبرة طويل الفكرة يعجبه
من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن كان فينا كاحدنا يجيبنا
اذا سالناه وينبينا اذا استنباناه ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربه

منا لا نكاد نكلمه هيبة له يعظم اهل الدين ويقرب المساكين لا يطمع
القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله واشهد لقد رايته
في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على
لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري
الي تعرضت ام الي تشوقت هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا
لا رجعة فيها فعمرك قصير وخطرك حقير اه من قلة الزاد وبعد السفر
ووحشة الطريق فبكى معوية وقال رحم الله تعالى ابا حسن كان
والله كذلك انتهى ويوخذ من هذا ومما في قصة صهيب وسالم
ان خوف المشهود له بالجنة انما هو خوف تقصير اي يرى انه مقصر
في القيام بما يتوجه عليه من الحقوق الالهية وهو محمود لانه شك
في العاقبة لما فيه من المناقضة **و**اجمع اهل السنة ايضا على انه **واجب**
شرعا اي سمعا فقط لا عقلا خلافا للمعتزلة في قول بعضهم عقلا
وقول بعضهم كالكعبي وابي الحسين عقلا وسمعا وهذا الوجوب
على البرية اي على الخلق والمراد على الامة لا على الله تعالى خلافا
للامامية والاسماعيلية **نصب امام** اي يقوم بامر الامة **كامل الاهلية**
اي اهلية الامامة وهي كونه ذكرا لانهن ناقصات عقل ودين وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة رواه البخاري
وغيره ولانه لا يليق بهن مجالس الحكومات ومحافل الجماعات المركب
عليها امر الامامة لما يقصد منهن من الحيا والتستر ولان العبد
محتقر بين الناس ومشغول بخدمة سيده سميعا بصيرا ناطقا
لان الاعمى والاصم والاخرس ناقصون غير مقبولي الشهادة وغير
صالحين للقضا فضلا عن الامامة عدلا لانه متصرف في رقاب الناس
وابضاعهم واموالهم والفاسق لا يومن تعديه وصرف اموال الناس

في مشتبهاته وتضييع حقوق المسلمين كما هو الواقع في اكثر المتغلبين
ويتضمن هذا الشرط اسلامه بطريق الاولى ذا راي وتدبير يدبر
به امر الحرب والسلم وسائر الامور السياسية بان يكون شديدا في
محل الشدة ليباقي على الدين شجاعا لا يجبن في الحرب ولا يضعف
قلبه في اقامة الحد سليم الاعضاء المؤثر نقصها في الامامة عالما
مجتهدا في اصول الدين وفروعه ليتمكن من ايراد الدلايل على المطالب
الاصولية وحل الشكوك والشبه وان كان الغزالي تساهل في هذه
في حق القاضي اي ومثله الامام وعندي انه يشترط في حق الامام
لعلو رتبته وكونه مرشدا للامة ذابا عن ابدانهم واديانهم بطريق
الاولى وانه لم يشترط في القاضي مع ان اشتراطه فيه وهو ترجيح
الشيخين محققي المذهب الرافعي والنووي رحمهما الله تعالى ومن
الفتوى والوقايع واستنباط الاحكام في الفروع وكونه من قريش
القبيلة المشهورة من اي بطونها كان وقريش هو النضر بن كنانة
اما كونه واجبا علينا سمعا فقد تواتر اجماع المسلمين في الصدر الاول
عليه حتى جعلوه اهم الواجبات وبدؤا به قبل دفن النبي صلى الله
عليه وسلم واختلافهم في التعيين لا يقدح في ذلك الاتفاق واما
كونه لا يجب على الله تعالى فلما مر من انه لا يجب على الله شيء وقالت
الامامية يجب على الله لحفظ قوانين الشرع عن التغيير بالزيادة
والنقصان ولا سيما عليه اوجبوه ليكون معرفا لله وصفاته واما
كونه لا يجب عقلا فلما مر من ان العقل لا حكم له في مثل ذلك وقد يقال
بانه من العقلي المتفق عليه كحسن العدل ويوخذ من شرح الطوالع
للاصفهاني انه عقلي فيقال في تقريره نصب الامام يدفع ضررا
لا يندفع الا به وكل ما يدفع ضررا لا يندفع الا به فهو واجب فنصبه

واجب اما الصغرى فلانا نعلم بالضرورة ان الناس اذا كان لهم
رئيس قاهر يخافون عقابه ويرجون ثوابه كان حالهم في التحرز
عن الضرر والمفاسد اتم مما اذا لم يكن ولان البلد اذا شغر عن
رئيس قاهر يامر بالطاعات وينهى عن السيئات ويرد الناس
الظلمة عن المستضعفين استحوذ عليهم الشيطان وفشا فيهم
الفسوق والعصبيات وشاع الهرج والمرج فثبت ان نصب الامام
يدفع ضررا لا يندفع الا به واما الكبرى فلان دفع الضرر عن
النفس بقدر الامكان واجب باجماع الانبيا عليهم السلام واتفاق
العقلا وما يدفع ضررا لا يندفع الا به فهو واجب لان ما لا يتم الواجب
الا به فهو واجب فان قيل قد يحتمل نصب الامام مفاسد ايضا اذ ربما
استنكف الناس عن طاعته فيزداد الفساد وربما يستولي على الناس
فظلمهم وربما يحتاج لدفع المعارض وتقوية رياسته الى مزيد مال
فيغصب من الناس اموالهم قلنا احتمالات مرجوحة مكثورة اي اذا
قوبلت مفاسدها المرتبة عليها بالمفاسد الحاصلة من نصب
الامام كانت مرجوحة مكثورة وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر
كثير كيف وقد شرطنا فيه العدالة والعلم اللذين يقتضيان دفع ما
فرض فان وجد منه شيء فنزاد عليهما فان خرج عنهما عزل بشرطه
وقام غيره مقامه ومنهم من تساهل في العلم والراي والشجاعة
وقالوا ينيب موصوفا بها اي لان اجتماع الشروط المذكورة عسر
لا سيما في هذا الزمان ولا يخفى ضعفه لان الكلام فيما اذا وجد كامل
الاهلية فانه يجب على الناس نصبه فان عدلوا الى غيره عصوا
وكانت المصايب واما اذا لم يوجد فمنافي وكذا تساهل الحنفية
في العدالة فقالوا بجواز امامة الفاسق مع الكراهة وهذا التساهل

هو السبب في اضاعة الدين وفتنة المسلمين الا ترون هذه الفرق الزائغة
عندكم معشر اهل السنة والجماعة كالامامية والاسماعيلية والاباضية
وغيرهم يكابرون في نصب امام عادل عدل ولو سرا ويبالغون فيه
اعتقادا منهم ان الامور الدينية والدنيوية لا تصلح الا به وهم كما علمتم
واما عند الضرورة وغلبة الفساق وقلة الصالحين فلا كلام ولهذا
قال بعض الصحابة وال غشوم خير من فتنة تدوم فان قيل قد مر من
الحديث ما يقتضي ان الخلافة بهذه الشروط اي المذكورة لكامل الاهلية
قد انقضت وتمت بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما وانه من اعلام
النبوة فكيف يجب في المستقبل ما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانقضائه
في الماضي وما اخبر بانقضائه وتمامه لا يصح في المستقبل ولا يجب وان
لزم الخلف في خبره وهو محال او التكليف بما لا يطاق ولم يثبت وقوعه
وان جاز عقلا كما مر قلنا المذكور في الحديث خلافة النبوة وهي التي
احكامها قريبة من احكام النبوة والواجب علينا الان ما ذكر وان
لم تشابه تلك من كل وجه لفساد الزمان وقلة الاعوان الصالحين
لسلطان الصالح والميسور لا يسقط بالمعسور وقد اشار بعضهم
الى تضعيف الحديث المذكور بما ذكروه هنا من وجوب نصب امام كامل
الشروط وجوابه ما ذكرناه فلا اشكال ولا تضعيف ولله الحمد ويؤيده
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخبر بنزول عيسى عليه السلام في اخر
الزمان كما مر وان الاديان كلها تهلك في ايامه الا الاسلام وبشر
ايضا صلى الله عليه وسلم بخروج المهدي وانه يملأ الارض قسطا وعدلا
كما ملئت جورا وظلما وعيسى عليه السلام لا يحكم الا بشرعنا كما مر فكل
ذلك مما يدل للجواب المذكور واحاديث المهدي رواها ابو داود و
الترمذي وغيرهما ورويا عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال

قال لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي
وفي رواية لابي داود لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم
حتى يبعث فيه رجلا مني او من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم ابيه
اسم ابي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما فقوله يواطئ
اي يوافق في التسمية فيكون اسمه محمد بن عبد الله وفي رواية له عن ام
سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من عترتي
من ولد فاطمة وله عن ابي سعيد الخدري حديث المهدي مني اجلى
الجبهة اقنى الانف اي مرتفع يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا
وظلما يملك سبع سنين وللترمذي عنه في قصة المهدي قال اي في
الحديث فيجيء اليه الرجل فيقول يا مهدي اعطني قال فيحثي له في
ثوبه ما استطاع ان يحمله ولابي داود عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من اهل
المدينة هاربا الى مكة فياتيه ناس من اهل مكة فيخرجونه وهو كاره
فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث اليه بعث من الشام فيخسف
بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا راى الناس ذلك اتاه ابدال الشام
وعصائب اهل العراق فيبايعونه ثم ينشا رجل من قريش اخواله كلب
فيبعث اليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب اي يظهر
اهل الحق على بعث كلب ويعمل في الناس بسنة نبيهم ويلقي الاسلام
بجرانه في الارض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون
ورواه الحاكم في المستدرك بمعناه وقال صحيح وهو ايضا من
السمعيات وقد ذكر خروجه وانه مما يعتقد لشهرته عند اهل الاسلام
بعض المتكلمين في العقائد والله سبحانه اعلم واما كون الامام من قريش
فلما رواه النسائي عن انس بلفظ الائمة من قريش ورواه بمعناه

الطبراني في الدعا والبزار والبيهقي قال الشريفي وافرده شيخنا الامام
الحافظ ابو الفضل بن حجر بجزء جمع فيه طرقه عن نحو من اربعين صحابيا
وفي الصحيحين الناس تبع لقريش وفي البخاري ان هذا الامر في قريش
وخالف جمع من المعتزلة في هذا الشرط متمسكين بخبر البخاري اسمعوا واطيعوا
وان عبدا حبشيا كان راسه زبيبة ورد بحمله على من نصبه الامام اميرا
على سرية او غير ذلك جمعا بين الادلة وبين هذا ما قررناه انه لا يشترط
ان يكون الامام هاشميا او فاطميا ولا ان يكون معصوما خلافا للرافضة
والاسماعيلية حيث قالوا ان الحاجة اليه انما هي لتعليم المعارف الالهية
لا نعلم الا منه كما هو مذهب اصحاب التعليم او تعليم الواجبات العقلية
وتقريب الخلق الى الطاعات كما هو قول الامامية وذلك لا يحصل الا اذا
كان معصوما ليحصل الوثوق بقوله وفعله وبان احتياج الناس
الى الامام انما هو لجواز الخطا عليهم فلو لم يكن الامام واجب العصمة
لجاز الخطا عليه فيحتاج الى امام اخر ويتسلسل واحتجوا ايضا
بقوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين وغير المعصوم مذنب والمذنب
ظالم فلا يكون اماما واجيب عن الاول بمنع انحصار الحاجة في
الامرين المذكورين ولئن سلم فلا نسلم انه يلزم من ذلك وجوب
عصمته بل يلزم من ذلك ان يكون عدلا وقد شرطناه فيما مر وعن
الثاني بانه قد صحت امامة ابي بكر مع اجماع الامة على انه غير واجب
العصمة لانه غير معصوم فالخطا جائز عليه ولم يحتج الى امام اخر
والا لما صحت امامته وعن الثالث بانه لا يلزم من كونه غير ظالم
ان يكون معصوما بل كونه عدلا وقد اشرت الى شروط الامامة وانها
لا تنحصر فيما ذكروه بقولي يدفع اي الامام الموصوف بما مر الظلوما
اي الظالم عن ظلمه ليتم نظام العدل وينشر الكتاب العزيز وهو

العدل

القران الكريم اي يظهره ويبين للناس ما فيه من العلوم والمعارف
لينزجروا عن مخالفته عند الجهل به وينشر العلوما الاخر كالحديث
والفقه ونحوهما من العلوم الشرعية وكذا ما ينتفع فيها كاللغة والنحو
لان معرفة الكتاب العزيز متوقفة على معرفتها ويحمي الثغورا
التي في اطراف الحدود بالعدد والعدد ليامن اقتحام العدو وعدم رصد
شاغل مثلا ويعمر ايضا الرسوما عند الحاجة الى عمارتها وهي ما بقي
من الاثار وينبغي عمومه بضبطه اي بانتباهه وحزمه يعم
ما ذكر وينصر المظلوما بدفع الظالم عنه كما مر وفي الحديث كيف
يقدس الله امة لا يوخذ من شديدهم لضعيفهم رواه ابن ماجة
وابن حبان وقدمت انه لا يشترط في الامام ان يكون فاطميا واشترطته
واشترط الزيدية ولا حجة لهم في ذلك بل هو مندوب كما اشرت اليه
بقولي وكونه اي الامام من عترة للنبي صلى الله عليه وسلم قد ندبا
لكونهم اليه ادنا القربا اي اقرب القرباء والمراد بالعترة هاهنا الذرية
لان المنصب له صلى الله عليه وسلم فينبغي ان يقوم به اقرب الناس اليه
ولا اقرب من الفاطميين لوجهين احدهما كونهم اولاد ابنته سيدة
النسا رضي الله عنها والثاني كونهم اولاد ابن عمه شقيق ابيه كما مر
وآية التطهير وهي قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت الاية قد تشهد له اي لهذا الحكم وهو كونهم اولى على
سبيل الندب لا الوجوب لاطلاق النصوص المارة ووجه الندب
ما ذكرناه ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله
عليه وسلم خرج ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء
الحسن ابن علي فادخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة
فادخلها ثم جاء علي فادخله ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس

اهل البيت ويطهركم تطهيرا وفي الترمذي خبر يا ايها الناس اني
تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله تعالى وعترتي
اهل بيتي وفيه خبر اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي
احدهما اعظم من الاخر كتاب الله حبل ممدود من السما الى الارض
وعترتي اهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف
تخلفوني فيهما قال بعضهم فيه اشارة الى ان الامامة تكون فيهم الى
اخر الزمان لان الكتاب لا يقوم امره الا بالسيف فلا يفترقان
اي الكتاب والعترة وهو الواقع فيكون من اعلام النبوة ايضا لان
هذا المنصب منذ زمن طويل انما هو فيهم وانه وجد في غيرهم فعلى
غير ما وصفناه من الشروط كما هو معلوم عند المصنف الطالب
للحق فنسل الله تعالى ان يوفقنا لامتثال امر رسوله صلى الله عليه
وسلم في وصيته وان يرزقنا محبة اهل بيته والقيام بما يرضيه
في عترته ففي الترمذي عن زيد بن ارقم رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين انا حرب لمن
حاربهم وسلم لمن سالمهم وقد صرح اصحابنا في الفقهيات وغيرها
بما ذكرت فقالوا الهاشمي اولى والذرية احض الهاشميين لما مر
والاسد والسديد بلا عنف واللين بلا ضعف مرحل بكسر الميم
و مهملتين الاولى ساكنة اي كسا مرحل بمهملتين كمعظم اي عليه
صورة الرجال ثم نظرنا اذ اي وقت ان فقدنا الكمله من
قريش لفقد بعض الشروط المتقدمة الى كنانة جمع الشروط المارة
لان كنانة واحد النضر الذي هو قريش الجامع لبطونه قريش كلها
كما مر وفي صحيح مسلم خبر ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل
وفي رواية للترمذي ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل

واصطفى

واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة فان لم نجد كنانيا جامعا للشروط
فعربي اي فننتقل الى عربي كامل اي كامل الشروط ما عدا النسب
مسدد في اموره بناء على ان العرب كلهم من ولد اسمعيل وهو الاصح
لخبر البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على قوم من اسلم وهم
يتناضلون فقال ارموا بني اسمعيل فان اباكم كان راميا واسلم حي
من اليمن وقال ابو هريرة في هاجر ام اسمعيل عليه السلام كما في الصحيحين
تلك امكم يا بني ما السما يخاطب الانصار او قوما من اليمن
من بني ماء السماء وهو عامر بن حارثة الازدي والد عمرو بن عامر
ملك اليمن الملقب مزيقيا لانه كان يلبس كل يوم حلتين ويمزقهما
بالعشي كراهة ان يعود فيهما او يلبسهما غيره وهو جد الانصار
ولهذا قال بعضهم ٥ انا ابن مزيقيا عمرو وجدي ٥ ابوه عامر ماء السما
وسمي ماء السما لانه كان يقوم بكفاية قومه عند الجدب فيغنيهم عن
ماء السما وهو المطر فسمي به فان فقد العربي او فقد منه بعض
الشروط المارة قال البغوي من اصحابنا فعجمي اي جامع للشروط وقال
المتولي والماوردي فجرهمي وجرهم اصل العرب فان فقد فاسحاقي
فان تبارى اي تعارض بمعنى تنازع عالم مخلط اي غير عدل
وجاهل عدل مع بقية الشروط والمساواة في المنصب فهذا
اي الجاهل العدل اضبط اي احق بالامامة لان العدالة هي
المقصودة لصحة التصرف لتفرع العدل عنها فهي خير من العلم
مع التخليط لان الجاهل العدل يستفتي اهل العلم فيما عرض له فيعمل
بقولهم وفاء بحق العدالة والمخلط يستبد برايه وهو غير
سديد فيوقع الناس في المحذور والدين اي العدالة من غير
النسب اولى من مراعاة النسب مع الفسق لكونه اي الدين

يرعى اي يراعي حقوق ما وجب فيجريها على وفق دينه وعدالته و
الصورة الاولى فيما اذا تساويا في النسب فلا تكرار وما ابتنا اي
وما حل على الناس واصيبوا في جميع الازمنة الماضية وما يصابون
ايضا في المستقبلة الا من التخليط من ولي الامر فيما ائتمنه الله
عليه من هذه الامانة العظمى التي ابى من حملها السموات والارض
والجبال واشفقن منها لان المقصود من الامامة اقامة الدين وحفظ
حوزة الملة فاذا كان الامام الذي يقصد منه ذلك هو المخلط فكيف
يستقيم للدين نظام او يكون للعالم انتظام فمن وجد منه التخليط
ومال الى جانب الافراط او التفريط فلا يستغرب ما رده الله عليه
من انواع التكدير وبسوقه اليه من التشويش والتغيير مع ما هو
معدله من الحساب العسير والمناقشة على النقير والقطمير ثم المصير
والعياذ بالله الى عذاب السعير فالله ذو الرحمة الواسعة لا يغير
على الناس نعمة افاضها عليهم ويبدلهم حتى يغيروا على انفسهم
فاذا غيروا عليها بان استعملوا نعم الله في معاصيه واستخفوا
باوامره ونواهيه فليتبوءوا في الدنيا للهوان دارا وفي الاخرى
خزيا وخسارا قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم
يوم القيمة وفي البيت اقتباس من قوله تعالى ان الله لا يغير ما
بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم الاية تكن ايها الطالب للسلامة
ومن الله الكرامة على النعمة اي على بقائها عليك من احرصهم اي
اشدهم لها حراسة لتفوز بنعيم الدارين وتحظى بالمزيد في
المنزلتين قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان
عذابي لشديد ففيه مبالغة من ثلثة اوجه احدها اللام في
الثلثة المواضع الثاني جعل عدم الشكر كفرا ولم تكتف فيه بذكر

الام

الاثم او المعصية الثالث وصف العذاب المرتب على كفران النعم بالشدة
ويجوز ان يقرا من احرصهم بالصاد المهملة اي فكن من احرص الناس
على ابقاء النعمة وذلك بالتمسك باذيالها وترك التسبب في زوالها
كما قيل من شكر فقد قيدها بعقالها ومن كفرها فقد تعرض لزوالها
خاتمة ختم الله لنا ولكم بالايمان واعاذنا واياكم من الهوى والتعصب
ومكايد الشيطان ذكرنا فيها ما يقتضي التكفير بعد وجود الايمان
اعلم ان الذي استقر عليه راي الشيخ ابي الحسن الاشعري رحمه الله
تعالى في اخر امره عدم القول بتكفير احد من اهل القبلة بما ارتكبه من
المعاصي او اعتقده من البدع الا ما سياتي والى ما ذكرته اشرت
بقولي ولا تكفر ايها الطالب احدا من المسلمين يصلي ويوجه قبلتنا
بدين لان المسايل التي اختلف فيها اهل القبلة ككونه تعالى عالما بعلم
او موجدا لفعل العبد او غير متحيز ولا في جهة ونحوها لم يبحث النبي
صلى الله عليه وسلم عن اعتقاد من حكم باسلامه فيها ولا الصحابة
ولا التابعون فعلم ان الخطا فيها ليس قادحا في حقيقة الاسلام الا من
خرج ببدعته عن اهل القبلة وان صلى وصام وزعم انه مسلم كمنكري
حدوث العالم والحشر للاجسام والعلم بالجزئيات فلا نزاع في تكفيرهم
لمخالفتهم ما علم ضرورة مجيء الانبياء به كما ان مثلهم منكر وجود
الصانع بطريق الاولى والى ما ذكرت اشرت بقولي الا الذي فيه
نفي الصانع اي نفي ذاته تعالى عن ذلك علوا كبيرا او نفي القدرة
عنه والعياذ بالله القادر اي ذي القدرة فهو القادر بالحقيقة والمقتدر
على جميع الممكنات وما عداه انما يقدر باقداره وعلى بعض الاشيا
وفي بعض الاحيان فيجب في حقه ان لا يسمى قادرا الا مقيدا
او على قصد التقييد كما يشير اليه قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني

فاعل ذلك عذاك ان يشاء الله المختار في افعاله سبحانه كما قال تعالى
وربك يخلق ما يشاء ويختار فليس فاعلا بالذات كما يزعمه اهل الضلالات
ربي النافع الذي يصدر عنه النفع بل فالضر فلا نفع ولا ضر الا وهو
صادر عنه سبحانه ومنسوب اليه اما بوسط او بغير وسط او بشيء
فيه شرك للباري تعالى وان اعترف بوجوده كتعظيم صنم او كوكب
بالسجود له او التقرب اليه بالذبح باسمه او نحو ذلك او به اي فيه
انكار نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كاليهود والنصارى والمجوس
وسائر فرق الكفر او عمومها كالعيسوية اي اصحاب ابي عيسى
الاصفهاني اليهودي المعترفين ببعثة نبينا عليه افضل الصلاة
والسلام لكن الى بني اسمعيل خاصة وهم العرب او فيه اهدار
اي ابطال ما اي لما جا به النبي محمد صلى الله عليه وسلم مما علما مجيئه
به ضرورة كوجوب صلوات الخمس وصوم رمضان ونحوهما
او فيه انكار مجمع عليه قد حرما اي جزم بالاجماع فانكر تحريمه
كالخمر والزنا وقتل النفس بغير حق فمنكر شيء من ذلك كافر لانكاره
ما علم من الدين ضرورة فمستحله اي المجمع على تحريمه كالخمر والزنا
يكفر قطعا يجوز قتله بل يجب عند تحقق موجبه والجواز لا ينافيه
ويوخذ من ذلك ان المستحل لما ذكر اي المعتقد لحله يكفر ويجب
قتله الخ يجب وان لم يفعل شيئا منه ويوخذ من ذكر الصلوة في النظم
ان كلام السلف انما هو في المصلي المبتدع او المرتكب للكبائر من غير
اعتقاد حلها واما قاطع الصلوة فاختلفوا في تكفيره فنقل عن عمر
وابن مسعود وعلي رضي الله عنهم وابن المبارك واسحق واحمد في
احدى الروايتين عنه تكفيره وهو وجه عندنا وقد فرع عليه بعض
الاصحاب مسئلة فقهية وهي ان نكاح الذمية بشروطها اولى من

نكاح تاركة الصلوة لانها تصير مرتدة عند هولاء والمرتدة لا يصح
نكاحها والذمية متفق على صحة نكاحها فهي اولى ونظير ذلك
ما ذكره القرافي في القواعد ان معاملة الكفار الذين لا يتحرون
عن الربا اولى من معاملة المسلم المرابي لان الكافر مقر على الربا
بخلاف المسلم انتهى ويويد ما نقل عن علي ومن معه الحديث
المار في ان النبي صلى الله عليه وسلم انما يعرف امته الذين يردون
عليه الحوض باثار الوضوء لانهم يردون غرا محجلين من اثاره فمن
لم يصل لم يكن له اثر يعرف به فهو مطرود وكذا في حديث اخراج
الجهنميين وهو ان المخرجين لهم انما يعرفونهم باثار السجود لان النار
لا تاكل مواضع السجود فمن لم يسجد لله لا يعرف فلا يخرج منها هذا
والجمهور على تفسيقه ومذهب الشافعي وغيره انه يقتل بشروطه
اي يقتله الامام حدا لا ردة بعد استتابته ندبا فان قتله احد
في مدة الاستتابة فلا قصاص عليه اذا كان معصوما وانما عليه
تعزيره لافتياته وقتل بشيء مما مر فهو مرتد لا يجوز الصلوة عليه
ولا تكفينه بل يجوز اغرا الكلاب عليه اهانة له ويجوز دفنه لئلا
يوذى برايحته و غيره اي وغير ما يتضمن نفي الصانع وما ذكر
معه كانكار صفات الذات من العلم والقدرة ونحوهما وكالقول
بخلق القران وان افعال العباد ليست بارادة الله تعالى وكنفي
الرويه في الاخرة على الوجه الذي ذكرناه قائله مبتدع لانكاره
ما اثبته الله تعالى في كتابه وقال به السلف الصالح واحداثه ما لم
يكن عندهم هذا وجه كونه مبتدعا وليس هو كافرا لان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يلزم من اسلم بخلاف ذلك ولم يبحث عنه
فعلم ان اسم الاسلام يشمله مع ما فيه من الابتداع ولكن عنه

اي عن ابتداعه يردع اي يزجر بل يهجر في الله تعالى حتى يرجع عن
بدعته فان ابتلي المؤمنون بمن لا يمكن زجره ولا يتيسر هجره لشوكته
وغلبة مخالطته فلا حرج في مخالطته بقدر الحاجة ومنه اي ومن
الابتداع المنهي عنه وليس بكفر تجسيم اي اعتقاد انه تعالى جسم
لان المجسم انما حمله على ذلك ظواهر الايات لا سيما ان قال جسم لا
كالاجسام بل بمعنى موجود او انه متصف بما فانه انما اتى بلفظ مبتدع
لم يكن في الصدر الاول مع ما فيه من الايهام المخل بالواقع واما كونه
غير كافر فلما مر من انه انما حمله على ذلك ظواهر الايات وهذا انما هو
على ما جزما به في الاصل وعليه جماعة من الفقها والمتكلمين وغيره
اي وغير المصنف من المحققين كفره اي كفر المصرح بالجسمية
وصمما على تكفيره لما في اطلاق الجسم مع الاختيار وبعد العلم
بما فيه من اقتضا النقص من الاستخفاف بجناب الربوبية
والاستخفاف به كفر وهو اختياري اي وتكفيره بعد ما ذكر هو
المختار عندي لما مر من الاستخفاف ولوجه ثان ذكرته في قولي
فالذي يعتقده اي يعتقد التجسيم يعبد جسما بزعمه ولا يعبد
الله الذي نحن نوحده ونعتقد انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض
كامر ولقوله تعالى ليس كمثله شيء فذاته تعالى مخالفة لجميع ذوات
المخلوقات فكيف ساغ للمجسم تسميته جسما واعتقاده ذلك وعلم
من قولنا فيما مر ولا نكفر الخ ان من ارتكب شيئا من الكبائر بلا استحلال
او اعتقد شيئا من البدع لا يخرجه ذلك عن جملة اهل الايمان وقالت
الخوارج كافر هو كافر والمعتزلة مرتكب الكبيرة منزلة بين منزلتين
اي هو فاسق لارتكابه ما يفسقه وفاقا وليس بكافر لتصديقه
بالله وكتبه ورسله ولا مؤمن لاختلال الركن العمل الذي هو من

اجزاء الايمان عندهم وقد مر تحقيق كل ذلك تنبيه البدع كما يكون
بالعقد كما ذكرنا قد تكون بالقول وبالفعل ايضا اما القول فكما
يصدر عن كثير من المتهتكين الذين لا تحقيق عندهم او لا يبغين
لهم او نحو ذلك ومنه ما حكاه الاستاذ القشيري رحمه الله تعالى
في رسالته انه سئل ابو علي الروذباري عمن يسمع الملاهي ويقول
هي لي حلال لاني قد وصلت الى درجة لا يؤثر في اختلاف الاحوال
فقال نعم قد وصل ولكن الى سقر وسئل عن التصوف فقال
هذا مذهب كله جد فلا تخلطوه بشيء من الهزل ونقل في الرسالة
ايضا عن ابي العباس احمد بن محمد الدينوري انه قال نقضوا اركان
التصوف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها باسام احدثوها
سموا الطمع زيادة وسوء الادب اخلاصا والخروج عن الحق
شطحا والتلذذ بالمذموم طيبة واتباع الهوى ابتلاء والرجوع الى
الدنيا وصولا وسوء الخلق صولة والبخل جلادة والسؤال عملا
وبذاءة اللسان ملامة وما هذا كان طريق القوم واما الفعل فكما
اخترعه جماعة من جهال متصوفة الزمان من البدع المذمومة
التي اجمع على ذمها وتحريم اكثرها الائمة المجتهدون كالائمة الاربعة
وغيرهم وهي العكوف على سماع الاوتار والدفوف والمزامير وقد
يضمون الى ذلك الرقص والتواجد ويفعل في المساجد وربما جعلوا
ذلك بعد قراءة شيء من القران والاتيان بشيء من الذكر
ومن نهاهم او انكر عليهم من اهل العلم عاندوه وبغتوه لعدم
القائمين بالحق المعاضدين له وكثرة المعاندين والمارقين فليت
شعري اي مذهب انتحلوه واي امام من الائمة قلدوه و
يخشى عليهم ان يكونوا من جملة من قال الله فيهم فيه انهم اتخذوا

الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون ومن
قال فيه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ومن قال فيه انا وجدنا
اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فتراهم يتبعون اهواهم
في هذه النزهات ويتركون ما جاء به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من البينات ويرتكبون ما نهي عنه من البدع المحدثات ومنه
ما رواه ابو داود والترمذي وصححه عن ابي نجيح العرباض بن
سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول
الله كانها موعظة مودع فاوصينا قال اوصيكم بتقوى الله
عز وجل والسمع والطاعة وان تامر عليكم عبد وانه من يعش منكم
فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين
المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان
كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وفي الصحيحين من احدث
في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد اي مردود عليه لا يقبل منه
ولا يقر عليه وفي رواية لمسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو
رد واما سماع محققي الصوفية فمختلف فيه وقد حمله جماعة كما
ذكره الغزالي والقشيري وابو طالب المكي والسهروردي
صاحب العوارف وعم ابو النجيب وقد حققه الشيخ الفاضل
القدوة ابو الحسن البكري في تفسيره عند قوله تعالى ومن الناس
من يشتري لهو الحديث الاية فقال سماع الصوفية المحمود عند
هؤلاء هو الانشاد بمنشد ينشد من كلمات القوم ما كان في
التوبة والزهد والتوكل والرضا والمحبة والانس او ما اثار الى

ذلك

١١٧

ذلك مع اجتماع هذه المعاني في غير منكر شرعي كحضور امرد حسن
الوجه او امراة او اطلاع نساء على رجال او الة او شي يدار على
هيئة الخمر ولو ماء واما الغنا مما كان منه بالة من شعار الشربة
كعود ونحوه حرم فلا تغتروه قال واما شرب النبي صلى الله عليه
وسلم اللبن والماء وادارته بين يديه في دعوة اصحاب الصفة اللبن
الذي اداره ابو هريرة رضي الله عنه كما في صحيح البخاري وغيره فانما
كان ليحصل كل واحد لحصته والادارة على هيئة الخمر لها كيفية معلومة
في العرف وليس ذلك منها بغير مرية قال وقد احدث في اواخر
المائة التاسعة ان البن الموجود ببلاد اليمن والحجاز يقشر ويطبخ
قشره فيخرج منه ماء اسود يقال له القهوة فتكلم فيه اناس كثيرون
والحق انه نفسه مباح فان كان وسيلة القربة صار قربة كما افتى به
بعض فقهاء زبيد وهو حسن واما الادارة فقد علم حكمها انتهى
وانما ذكرت ما ذكرته شفقة على الاخوان المنتمين الى هذه الملة الشريفة
ورجاء ان يرجعوا الى الحق وتوهما من ان بعضهم يفعل ذلك جهلا
لا عنادا فاتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحق قال الله تعالى
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية والله الموفق والهادي
و اجمع السلف ايضا على انه واجب توبة من يرتكب كبيرة ليخرج
بها من الاثم الذي ارتكبه قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها
المؤمنون وقال يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا
واصل الامر للوجوب فتجب التوبة مما ذكر فورا اي عاجلا ولا
تعقب اي ولا تؤخر بل يؤتى بها عقب الفعل الموجب لها بل هو
مطالب بها حالة الفعل وافهم ذكر الكبيرة ان الصغيرة لا يجب

التوبة منها عينا بل اما التوبة واما الاتيان بمكفر من فعل طاعة
كصلوة ووضوء واجتناب كبيرة وقيل لا تصح التوبة عن الصغيرة
لانه مكفر بما ذكر وما افهمه النظم هو ما اشار اليه الشيخ ابو الحسن
تقي الدين السبكي وقال ولده التاج الذي اراه وجوب التوبة عينا
اعني التوبة عن كل ذنب نعم ان فرض عدم التوبة عن الصغيرة
ثم جاءت المكفرات كفرت الصغيرتين وهما تلك الصغيرة وعدم
التوبة منها انتهى ولعل هذا هو التحقيق ولا يخفى ان محله ما لم يصر
على الصغيرة فان اصر عليها وجبت التوبة منها عينا لانها صارت
كبيرة داخلة في حكمها المعلوم مما مر والتوبة النصوح هي المبالغة
في النصح الغاية وهي صفة التايب لانه ينصح نفسه بالتوبة والنصح
ضد الغش وانما وصفت به التوبة على الاسناد المجازي للمبالغة
المعنى الناصحة وهي الخايطة كانها تنصح اي تخيط ما خرقه الذنب
تنبيه قد ذكرنا الكبيرة هنا وفيما مر ولم نعرفها بما يميزها
عن الصغيرة ولا عددنا اعيانها وما فيها من التهديد ليقوى
اجتنابها فبينا ذلك هنا تتميما للفايدة فنقول المشهور الذي
عليه الجمهور ان الذنوب كباير وصغاير والاكثر ان الكبيرة ما
توعد عليه بخصوصه في الكتاب والسنة وقيل ما فيه حد
قال بعضهم وهم الى ترجيح هذا اميل والاول اوفق لما ذكروه
عند تفصيل الكباير لانهم عدوا الربا بالموحدة واكل مال اليتيم
والعقوق والفرار من الزحف من الكباير ولا حد في شيء منها
وقال استاذ ابو اسحق الاسفرايني والتقي الدين السبكي كل ذنب
كبيرة ونفيا الصغاير نظرا الى عظمة من عصي به وشدة عقابه
تعالى وعلى هذا يقال انها ينقسم الى كبير واكبر وعلى قول

الجمهور

الجمهور الكباير ايضا تتفاوت لان بعضها افحش من بعض
نظرا الى المفاسد المترتبة عليها كالقتل الذي هو اعظم الذنوب
بعد الكفر عمدا او شبه عمد والزنا بالراي لخبر الصحيحين قال رجل
يا رسول الله اي ذنب اعظم عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو
خلقك قال ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال ثم
اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين
لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا يزنون الاية واللواط لانه تضييع لما النسل كالزنا وقد اهلك
الله قوم لوط وهم اول من فعله بسببه كما قص في كتابه العزيز
وشرب الخمر وان لم تسكر لقلتها وهي المشتد من ماء العنب ومطلق
المسكر الصادق بالخمر وبغيرها كالمشتد من نقيع الزبيب او التمر
المسمى بالنبيذ ومثل المزر وهو شراب يعمل من الذرة والشعير
ونحوها وكذا البتع المصنوع من العسل ونحوها روى مسلم
في صحيحه حقا على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من
طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال قال عرق اهل
النار وروى الطبراني وغيره خبر لن يزال العبد في فسحة من
دينه ما لم يشرب الخمر فاذا شربها خرق الله عنه ستره وكان
الشيطان وليه وسمعه وبصره ورجله يسوقه الى كل شر
ويصرفه عن كل خير ويقال في النبيذ هو مسكر وكل مسكر
حرام ﻓ النبيذ حرام اما الصغرى فحس ودية بالمشاهدة
واما الكبرى فلخبر الصحيحين كل شراب اسكر فهو حرام بل كله عما
في الخبر نبي صحيح مسلم كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب
الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها في الاخرة

والسرقة والغصب قال الله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا
ايديهما وفي الصحيحين واللفظ لمسلم من اقتطع شبرا من الارض
ظلما طوقه الله اياه يوم القيامة من سبع ارضين وقيد جماعة الغصب
بما تبلغ قيمته ربع مثقال كما يقطع به في السرقة اما سرقة الشي القليل
فصغيرة قال الحليمي الا اذا كان المسروق منه مسكينا لا غنى به
عن ذلك فتكون كبيرة قلت ومثله المغصوب منه بطريق الاولى
اذا لم يجد من يستنقذه له فبه يقيد كلام الجماعة المذكورين
والله اعلم والقذف قال الله تعالى ان الذين يرمون المحصنات
الاية قال الحليمي الا قذف الصغيرة والمملوكة والحرة المتهتكة فانه
من الصغاير لان الايذا في قذفهن دونه في الحرة الكبيرة المستترة
قلت وفيه نظر ولئن سلم في المتهتكة فلا يسلم في غيرها لاسيما
السرية المصونة والصغيرة والمراهقة ولاسيما ان كانت من
بيت صلاح او حشمة مع ان اسم الكبيرة لا يختلف باختلاف المفاسد
المرتبة عليه بدليل القتل والربا بالموحدة والله اعلم وقال ابن عبد
السلام قذف المحصن في خلوة بحيث لا يسمع القاذف الا الله و
الحفظة ليس بكبيرة موجبة للحد لانتفاء المفسدة وخالفه
البلقيني فقال بل هو كبيرة لظاهر والذين يرمون المحصنات
الاية قلت ابن عبد السلام لا ينكر ذلك ولكنه استنبط معنى
خصص به عموم الاية كما استنبط الشافعي علة خصص بها في
اية الملامسة غير المحارم والفرق بين هذه وما قبلها انتفاء
المفسدة ههنا بالكلية والله اعلم اما قذف الرجل زوجته اذا اتت
بولد يعلم انه ليس منه فمباح وكذا جرح الراوي والشاهد بالزنا
اذا علم بل هو واجب والنميمة وهي نقل كلام بعض الناس

الى

الى بعض على وجه الافساد بينهم ففي الصحيحين خبر لا يدخل الجنة
نمام وفي رواية قتات وهو بمعناه وقيل القتات من لا يعلم المتكلم
والنمام من يعلم حال تكلمه وفي حديث القبرين المار بلى انه كبير
واختلفوا في الغيبة وهي ذكر الشخص اخاه بما يكره وان كان فيه
فقال صاحب العدة هي صغيرة واقره الرافعي ومن تبعه لعموم
البلوى بها فقل من يسلم منها وحكى القرطبي في تفسيره انها
كبيرة بلا خلاف ويشملها تعريف الاكثر الكبيرة بما توعد عليه
بخصوصه قال النبي صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم
اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من
هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون
في اعراضهم رواه ابو داود وسياتي في النظم الاشارة اليها وما
يستثنى منها وشهادة الزور لان النبي صلى الله عليه وسلم عدها
كما في الصحيحين في خبر من الكباير وفي اخر عندهما ايضا من اكبر
الكباير وهل يتقيد المشهود به بقدر نصاب السرقة تردد فيه
ابن عبد السلام وجزم القرافي بالنفي بل قال ولو لم تثبت الا فلسا
اي لان المقتضى لكونها كبيرة الهجوم والتجري على ما حد والله تعالى
واليمين الفاجرة ففي الصحيحين من حلف على مال لامرئ مسلم
بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان وفي مسلم من اقتطع حق
امرئ مسلم بيمينه فقد اوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال
له رجل وان كان شيئا يسيرا يا رسول الله قال وان كان قضيبا
من اراك ولعل ذكر المسلم جرى على الغالب لانها تحرم في حق الذمي
ايضا وقطيعة الرحم ففي الصحيحين لا يدخل الجنة قاطع رحم
قال سفين بن عيينة في رواية يعني قاطع رحم والقطيعة

فعيلة من القطع ضد الوصل والرحم القرابة من قبل الاب او الام
ولا يتقيد بمحرمية وهل يختص القطيعة بالاساءه او تتعدى الى
ترك الاحسان قال بعضهم بالاول وبعضهم بالثاني ورجحه
بان الاحاديث آمرة بالصلة امرا موكدا ناهية عن القطيعة
نهي تحريم موكدا ولا واسطة بينهما ولهذا قال في الحديث القدسي
يخاطب الرحم من وصلك وصلته ومن قطعك بتته والصلة
ايصال نوع من انواع الاحسان كما فسرها بذلك غير واحد وهو
الموافق لظاهر قوله تعالى والذين يصلون ما امر الله به ان
يوصل الايه والقطيعة ضدها وهي ترك الاحسان وعقوق
الوالدين وهو ايذاوهما بما ليس بهين والتسبب فيه فعلا
او تركا قال الله تعالى فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما الايتين وفي
الصحيحين عده في حديث من الكبائر وفي اخر فيهما من اكبر
الكبائر واما حديث الخالة بمنزلة الام وحديث البخاري عم
الرجل صنو ابيه فلا يدلان على انهما كالوالدين في العقوق
كما توهم بعضهم بل المراد بالاول انها بمنزلتها في الحضانة لخروج
الحديث عليه اي في ابنة حمزة وبالثاني الاكرام كما هو خارج
عليه ايضا لانه في العباس واصل الصنوان يطلع نخلتان
من اصل واحد والمعنى ان العباس وابي من اصل واحد فمن
اكرمني اكرمه والفرار من الزحف في الصحيحين
عده من السبع الموبقات اي المهلكات نعم قال بعضهم يجب اذا علم
انه اذا ثبت يقتل من غير نكاية في العدو ولا نتفاء اعزاز الدين
بثباته والمراد بالعلم هنا الظن الموكد والتعدي على مال اليتيم
باكل ونحوه قال الله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما

الايه

الايه وفي الصحيحين عده من السبع الموبقات وتردد ابن عبد السلام
في تقييده بنصاب السرقة ويجاب بما مر في شهادة الزور وان
حاول الشربيني في حاشيته الفرق بينهما وخيانة الكيل
او الوزن في غير الشيء التافه قال الله تعالى ويل للمطففين
الايه والكيل يشمل الذرع عرفا اما في التافه فصغيرة والكذب
على النبي صلى الله عليه وسلم لخبر الصحيحين من كذب علي متعمدا
فليتبوأ مقعده من النار اي توطن نفسه عما ذكر اما الكذب
على غيره فصغيرة الا ان جر الى مفسدة فكبيرة وكذا الكذب على
بعض الانبيا عليهم السلام وتقديم الصلوة على وقتها
او تاخيرها عنه بغير عذر لخبر الترمذي من جمع بين صلاتين بغير
عذر فقد اتى بابا من ابواب الكبائر واولى بذلك تركها وضرب
المسلم بلا حق ففي مسلم خبر صنفان من امتي من اهل النار لم ارهما
في زمنه قوم معهم سياط كاذناب البقر ونسا كاسيات عاريات
مائلات مميلات رؤسهن كاسنمة البخت لا يدخلون الجنة ولا
يجدون ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا وهذا
الحديث من اعلام النبوة لانه اخبار بما وقع قبل وقوعه قوله
كاسيات عاريات اي تستر احداهن بعض بدنها وتبدي
بعضه اظهارا لجمالها او تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها
ومائلات اي عن طاعة الله مميلات غيرهن اما اليهن او الى
مثل فعلهن المذموم بتعليمهن ورؤسهن الى اخره اي يكبرنها
ويعظمنها بلف عمامة ونحوها تحت الخمار وسب الصحابة
لخبر الصحيحين لا تسبوا اصحابي الحديث وخبر البخاري ان الله تعالى
قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب اي اعلمته باني محارب

له اي معاقب والصحابة من اوليائه تعالى وسبهم مشعر بعداوتهم
اما سب واحد من غير الصحابة اذا لم يكن وليا فصغيرة وخبر
الصحيحين سباب المسلم فسوق معناه تكرر السب لان السباب
مصدر ساب وهو يقتضي التكرر وهو اصرار فيكون كبيرة
لا اصل السب الا ان يكون وسيلة الى عقوق لخبر الصحيحين
من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم
الرجل والديه قال نعم يسب ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه
فيسب امه وكتمان الشهادة قال الله تعالى ومن
يكتمها فانه اثم قلبه اي ممسوخ واطلاقه هنا يويد ما قررناه من
انفا شهادة الزور ونحوها على الاطلاق والرشوة وهي ان
يبذل مالا ليحق باطلا او يبطل حقا لخبر ابن ماجه وغيره لعنة الله
على الراشي والمرتشي وزاد الترمذي في رواية في الحكم وحسنه
والحاكم في رواية ايضا والرايش الذي يسعى بينهما وقال فيه
بدون الزيادتين صحيح الاسناد وقال الترمذي فيه بدونهما
حسن صحيح اما بذل مال للتكلم في جائز مع السلطان مثلا
فجعالة جائزة وقيده بعضهم بما اذا لم يكن التكلم فرضا عليه ولو كفاية
والدياثة وهي استحسان الرجل على اهله وفي حديث ثلثة
لا يدخلون الجنة العاق والديه والديوث ورجلة النساء بكسر
الجيم ضبطه المنذري اي المتشبهة بالرجال رواه النسائي والبزار
واللفظ له قال المنذري باسنادين جيدين ورواه ابن حبان
ايضا والحاكم وقال صحيح الاسناد وكذا قال الذهبي اسناده
صحيح والقيادة وهي استحسان الرجل على غير اهله وهي
مقيسة على الدياثة او هي الاستحسان مطلقا فيكون اعم

من

من الدياثة والسعاية وهي ان يذهب بشخص الظالم ليوذيه بما يقوله
في حقه وفي نهاية الغريب حديث الساعي مثلث اي مهلك بسعايته
نفسه والمسعي به واليه ومنع الزكوة لخبر الصحيحين ما من صاحب
ذهب ولا فضة لا يودي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح
من نار فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه الحديث
وياس الرحمة قال الله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
وامن المكر بالاسترسال في المعاصي والاتكال على العفو قال الله
تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وفي عقايد الحنفية ان
الياس من روح الله والامن من مكره كفر كما هو ظاهر الاستدلال
قال بعض اصحابنا ان اراد من الياس ان الرحمة لا تسع الذنوب
ومن الامن الاعتقاد ان لا مكر فهما كفر وفاقا لانه رد للقران وان
اراد وان من استعظم ذنوبه فاستبعد العفو عنها استبعادا
يدخل في حد الياس او غلب عليه من الرجا ما دخل به في حد الامن
فالاقرب ان كلا منهما كبيرة لا كفر قال ويتمسك له بحديث ابن مسعود
من الكبائر الاشراك بالله والياس من روح الله اي القنوط من رحمته
والامن من مكر الله رواه الدارقطني في العلل لكن قال الصواب انه
موقوف من قوله وكذا رواه غير الدارقطني عن ابن مسعود قلت
في التمسك المذكور نظر من وجهين احدهما عدم ثبوت رفع
الخبر والثاني ان الكفر قد يكون بغير الشرك فيكون من عطف
العام على الخاص والله اعلم والظهار كقول الرجل لزوجته انت علي
كظهر امي قال الله تعالى فيه وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا
اي شبهوا الزوجة بالام في التحريم وتناول لحم الخنزير والميتة لغير
ضرورة قال الله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه

الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس
واما للضرورة فيباح وقد يجب اذا خشي الهلاك قال الله تعالى
فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم وقال
فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه الاية وفطر رمضان لا لعذر
لان صومه من اركان الاسلام ففطره يوذن بقلة الاكتراث بمرتكبه
بالدين والغلول وهو الخيانة في الغنيمة قاله ابو عبيد قال تعالى
ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة والمحاربة وهي قطع الطريق على المارين
باخافتهم قال الله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
ويسعون في الارض فسادا الاية فان ضم الى الاخافة قتل واخذ
مال فكل كبيرة بانفراده والسحر والربا بالموحدة لعدهما في
الصحيحين من السبع الموبقات وادمان الصغيرة اي الاصرار
عليها من نوع او انواع اي من غير تخلل مكفر وقد ضبط ابن
عبد السلام الاصرار المعدود كبيرة بان من تكررت منه صغيرة
تكرارا يشعر بقلة مبالاته بدينه اشعار مرتكب الكبيرة ردت شهادته
وروايته وكذا من وجدت منه انواع من الصغاير بشعر مجموعها
بما يشعر به ادنى الكباير وهو ضابط حسن قال الشربيني في الحاشيه
عين ان اشعار غلبة المعاصي بقلة المبالاة بالدين اظهر وقد ثبت
اعتبار الغلبة شرعا فالضبط بما يستند اليها اولى بان يقال المصر هو
من غلبة معاصيه طاعته قال بعضهم وليست الكباير منحصرة
فيما ذكر وما ورد من خبر الصحيحين الكباير الاشراك بالله والسحر
وعقوق الوالدين وقتل النفس زاد البخاري واليمين الغموس ومسلم
بدلها وقول الزور وخبرهما اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله
والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم واكل الربا

والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات فمحمول
على بيان المحتاج اليه منها وقت ذكره وقد قال ابن عباس فيما رواه عنه
الطبراني والقاضي اسمعيل هي الى السبعين اقرب وسعيد بن جبير
وروي عن ابن عباس ايضا هي الى السبعماية اقرب يعني باعتبار انواع
اصناف انواعها المختلفة انتهى واما الصغاير فكثيرة جدا ومحل تعدادها
كتب الفروع وربنا سبحانه يقبلها اي يقبل التوبة المذكورة
فيما مر بشروطها المارة تفضلا منه سبحانه ووفاء بوعده في قوله تعالى
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وقوله الم يعلموا
ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ووعده حق لا خلف فيه ولولا ذلك
لجوز العقل ان لا يقبلها تغليظا على من عصاه مع كونه مختارا متمكنا
من طاعته ولكن لما علم سبحانه ان عباده لا يستطيعون القيام بحقه
كما طلبه منهم الا من عصم الله لما ركب فيهم من القوى المتضادة والشهوات
الغالبة تفضل عليهم بقبول التوبة لا للوجوب عليه جل عزه وعلا
لما مر من انه سبحانه لا يجب عليه شيء والقايل بذلك المعتزلة فان اراد
الوجوب العقلي فقد علم بطلانه ولما جاز سوا لم في قوله المتكم فاغفر
للذين تابوا كما مر وان ارادوا كونه لا يتخلف عن الوقوع للوعد به فهو واجب
الوقوع فلا باس غير انه مستهجن كما مر فلا ينبغي اطلاقه وهذا القدر
هو المقصود من هذه المسئلة في كتب العقايد وغيره من تتمات العايدة
كما مر ومما نعتقده وجرى عليه السلف الصالح قرنا فقرنا الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ولهذا قلت كما اشار اليه الاصل والامر بالمعروف
وهو ما استحسنه الشرع والنهي عن المنكر وهو ما استقبحه كما مر
واجب على من يحتمل ذلك بالشروط الاتيه قال الله تعالى ولتكن منكم امة
يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك

هم المفلحون ومن للتبعيض تدل على انه فرض كفاية يسقط بفعل
البعض ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترط فيها
جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن
من القيام بها وانما خاطب الجميع بقوله منكم ليدل على انه واجب على الكل
حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا وهذا شان فرض كل كفاية وفي صحيح مسلم
من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم
يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان اي اقله ثمرة وفيه ما من نبي
بعثه الله تعالى في امة قبلي الا كان له من امته حواريون واصحاب
ياخذون بسنته ويقتدون بامره ثم انها تخلف من بعده خلوف يقولون
ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يومرون فمن جاهدهم بيده فهو مومن
ومن جاهدهم بلسانه فهو مومن ومن جاهدهم بقلبه فهو مومن
ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل حواري الرجل خاصته وهو بفتح
الحاء المهملة وخلوف بالضم جمع خلف بفتح المعجمة وسكون اللام من
تخلف بعد الصالحين ولا يكون على طريقتهم في الصلاح كقوله تعالى
فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات
الاية وبالفتح من يكون على طريقتهم ومنه قولهم السلف والخلف
وفي الترمذي حديث والذي نفسي بيده لتامرون بالمعروف
ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا منه ثم
تدعونه فلا يستجيب لكم وفي رواية للترمذي وصححها ان الناس
اذا راوا منكرا لا يغيرونه يوشك ان يعمهم الله بعقابه وفي رواية
لابي داود اذا راوا الظالم لم ياخذوا على يديه اوشك وفي رواية له ما من
قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على ان يغيروا ثم لا يغيرون
الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب وفي رواية له يعمل فيهم بالمعاصي

دهم

وهم اكثر ممن يعمل تنبيه من راى او علم منكرا يقدر على ازالته وجب
عليه ازالته كما يوخذ من الحديث المار وان كان الرائي او العالم به
يرتكب جنسه من المنكر لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط
بترك احدهما وجوب الاخر لا سيما ان كان المرتكب صاحب امر لما في
تركه من المعاضة عليه والاستخفاف بامره بهتك سلطانه وكثير
من العوام يرى منكرا يقدر على ازالته ولا يزيله لكونه يرتكب جنسه
ويرى ان في ازالته ازراء عليه ومعاضة في امره توهما من قوله تعالى
اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب الاية
وهو توهم باطل وفهم ساقط وعقل سخيف بل يجب عليه ازالته
فلعل ثواب ازالته يكفر وزر ارتكابه او يخففه فان تركه يضاعف
الوزر ويهتك الامر ويقتضي العقوبة العاجلة والمصائب
الاجلة واما الاية الكريمة فالمراد منها حث الواعظ على تزكية نفسه
ليقوم فيقيم غيره لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد
الامرين المامورين بهما لا يوجب الاخلال بالاخر كما مر الحاق
قد تنفع موعظة الفاسق اما لعدم علم الموعوظ بفسقه واما لهداية
يخلقها الله تعالى حينئذ بسبب ما صدر منه من الوعظ المناسب
لحال المنتفع به وقد يزيد حال الموعوظ في احترامه على حال الواعظ
بمراتب كثيرة كما يحكى عن بعض المشايخ الكبار انه انما رجع الى الله
تعالى بموعظة قاص ثم ال امره الى معارف واحوال كبار فقال
بعض المشايخ المعتبرين حين سمع بقصته عصفور صاد كركيا
وقد لا تنفع موعظة المتقي اما لعدم اعتقاد الموعوظ او لغلبة
الشقاء عليه والفسوق عليه الا تسمع قوله تعالى حكاية عن نوح عليه
السلام ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد

ان يغويكم وقوله تعالى عنه ايضا رب اني دعوت قومي ليلا و
نهارا فلم يزدهم دعاي الا فرارا الايات ومكث النبي صلى الله
عليه وسلم بمكة ثلث عشرة سنة يعظهم بالقران الذي لا ابلغ منه
ولا انفع الواعظ فلم ينتفع منهم الا القليل لغلبة الشقا حينئذ على
اكثرهم والله الموفق **لكنه** اي الامر بالمعروف **يتبع ما يومر به**
ان كان المامور به **واجبا** في الاصل كالصلوة والزكوة والصيام
والحج بشروطها **فواجب ذا** اي الامر منك للمامور بالمامور به
فات به ولا تضيعه فتدخل في زمرة المتوعدين بما مر **وان يكن**
اي المامور به **ندبا** كصدقة التطوع وصلاته وصومه **فهذا**
اي الامر منك **ندب** لانه لا يزيد على الاصل **والنهي** عن المنهي
عنه تحريما وكراهة **داخل** فيما قلنا **وفيه** اي وفيما فهمه منه
قرب لان الامر بالشي نهي عن ضده والنهي عن الشي امر
بضده كما قرر في محله فيوخذ منه ندب النهي عن فعل المكروه ووجوب
النهي عن فعل الحرام **فافعلهما** اي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ايها المكلف **واصبر اذن** اي اذ فعلتهما **على ما اتاك في الله فلن**
تلوما لان المتعرض لهما معرض للايذا عادة وهي وظيفة
الانبيا عليهم السلام والاوليا والعلما نفع الله بهم الا تسمع ما في
القران مما جرى على الانبيا من اممهم وما قال لقمن لابنه كما قص
الله تعالى علينا في كتابه حكاية عنه يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف
وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور
وشرطه اي شرط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر **ان لا يوديه**
بالسكون للوزن **الى تفاتن** اي الى فتنة انكر منه **وشرطه ايضا**
ظنه ان يقبلا منه فان كان يوديه الى فتنة او ظن ان لا يقبل

منه

منه سقط الوجوب وبقي الندب او الاباحة بشروط مفصلة في كتب
الفقه ولما كان الاحتساب مظنة التطلع الى احوال الناس وذلك
يقتضي الخوض في الاقوال ليتبين بها تلك الاحوال والخوض يفضي
الى الغيبة عادة قلت **وتحرم الغيبة** بالكسر وهي ذكرك اخاك
بما يكره وان كان فيه كما مر وهي محرمة بالنصوص والاجماع وان
وقع الاختلاف في انها كبيرة او صغيرة كما مر قال الله تعالى ولا يغتب
بعضكم بعضا الاية وفيها مبالغات كثيرة لا يحتملها هذا التعليق
وروى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله
اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل افرايت ان كان في اخي ما اقول قال
ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته
اي فالبهتان اخبث نوعيها **و** كذا يحرم **التجسس** بالجيم وهو
البحث عن عورات المسلمين ماخوذ من الجس باعتبار ما فيه من معنى
الطلب كالتلمس ومنه اخذ اسم الجساسة المذكورة في خبر مسلم
المروي في قصة تميم حيث وجد الدجال في جزيرة من جزائر البحر
واقرا اذا شئت ان تاخذ ذلك من النص قوله تعالى **ولا يغتب**
بعضكم بعضا **و** قبله **ولا تجسسوا** الى اخر الاية **و** يحرم **ظنك**
السو بغير ريبة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا
من الظن ان بعض الظن اثم وفي الصحيحين وغيرهما اياكم والظن
فان الظن اكذب الحديث قال بعضهم في معنى الاية من الظن ما يجب
اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله
تعالى وما يحرم كالظن في الالهيات والنبويات وحيث يخالفه
قاطع وظن السو بالمومنين اي كما يفيده قوله تعالى ولا تقف

ماليس لك به علم وان الظن لا يغني من الحق شيئا قال ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية قلت ولكن ظهرت عليه ريبة وكشف ستر الله عنه بما يرتكبه من المعاصي او يظهره من الخلاعة كما يفهمه النظم **واستثن ستة** من الاشياء **تبيح الغيبة** وقد نظمها بعضهم فقال ٥ الذم ليس بغيبة في ستة ٥ متظلم ومعرف ومحذر ولمظهر فسقا ومستفت ومن ٥ طلب الاعانة في ازالة منكر اما المتظلم فبان يقول للقاضي او السلطان مثلا فلان ظلمني بكذا وكذا فانصفني منه واما المعرف فكقول المحدثين مثلا عن الاعمش او الاعرج او الاعور لشهرته بذلك لا للحط منه واما المحذر فكالمستشار فانه يجب عليه النصيحة بحال من استشير فيه فان كان لا يتاتى ذلك الا بذكر عيبه ذكره وان امكن بدونه حرم على القاعدة وفرعوا على هذا انه لو استشير في نفسه وجب عليه ذكر عيوبه قال بعضهم وهو ظاهر ان لم يندفع مستشيره بدون ذكرها قال والاولى ان يقول انا لا اصلح لكم واما مظهر الفسق فيجوز ذكره بما اظهره من الفسق ولا يتعدى الى غيره واما المستفتي فكان يقول للمفتي فلان ظلمني بكذا فهل له ذلك وما طريقي في الخلاص منه ودفع ظلمه عني ونحو ذلك قال بعضهم والاحوط ان تقول ما تقول في رجل مثلا كان من امره كذا وكذا واما طلب الاعانة فبان يقول للسلطان او المحتسب مثلا ممن له قدرة على ازالة المنكر فلان يفعل كذا في موضع كذا فاعني على ازالته او فازجره عنه **وبعضهم** اي من غير السبعة المشهورة **قرا ولا تحسسوا** بالحاء المهملة من الحس الذي هو التحسس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس **فاصغوا** ايها الطلاب اي القوا اسماعكم **الى كل** مما ذكرناه في هذه المنظومة

المباركة

من المعارف الالهية والمواهب الربانية فانها لا يفيد الا بذلك كما قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد اي حاضر بذهنه ليفهم معانيه فدل ذلك على ان الاستماع من غير حضور القلب وجمع الذهن لا يفيد كما هو الواقع المشاهد **وقيسوا** مالم تعلموا على ما قد علمتم فان القياس احد الادلة الاربعة الوهي التي هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس قال الله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار والاعتبار قياس الشيء بالشيء **وانسوا** اي ليوانس بعضكم بعضا فيعلم ما علم مالم يعلم ويتلطف به في التفهيم والارشاد طلبا للثواب ووفاء بحق الاخوة المذكورة في قوله تعالى انما المومنون اخوة وبحق الصحبة والنعمة التي افاضها الله عليهم بواسطة الشيخ فكانهم اولاده فهذه اخوة خاصة غير اخوة الايمان العامة واخوة النسب الغالبة **تمت** هذه المنظومة تماما كافيا **بحمد الله** تعالى حال كونها **كالجمان** وهو اللؤلؤ او اشكال من فضة تشبهه واحدتها جمانة وحال كونها **صحيحة في اللفظ** اي الفاظها صحيحة اي فصيحة سالمة من الغرابة والتنافر ومخالفة القياس كما مر **و** صحيحة ايضا **في المعاني** لسلامتها من التعقيد ومطابقتها لمقتضى الحال فقد جمعت بين الفصاحة والبلاغة وكان تمامها اي المنظومة كابتدائها **باب** اي مدينة اب بكسر الهمزة وتشديد الموحدة علم لمدينة صغيرة **ذات اليمن** اي البركة **من ارض اليمن** الاقليم المشهور عن يمين البيت وبذلك سمي او سمي باليمان بن الهميسع بن تيم بن نبت بن اسمعيل الذبيح بن ابراهيم الخليل عليهما السلام **لدى** اي عند بمعنى قريب **ضريح** اي مشهد **شيخها** اي شيخ اب **ابي الحسن احمد** بن محمد بن عبد الله بن مسعود بن سلمة بن يوسف البريهي ثم السكسكي ثم الكندي

سيف السنه اي المشهود بهذا اللقب والعلم والصلاح والتحرير
لما يقوله او ينقله وكان فاضلا عابدا عالما بالفقه واصوله واصول
الدين على مذهب السلف وبالحديث والنحو واللغة وغيرها وهو ممن
اخذ عن العمراني صاحب البيان كتب الفقه والاصول كالبيان واللمع
ويقال ان العمراني المذكور اخذ عنه علم الكلام ومكث سيف السنه
دهرا طويلا ينشر العلوم باب وجبلة والجند وغيرها وهو فوق
ما يوصف به من الفضل ولاهل اب وغيرهم فيه اعتقاد عظيم ولم يزل
على الافادة وارشاد المسترشدين الى ان توفي بمدينة اب ليلة الجمعة
من اواخر القعدة الحرام سنة ست وثمانين وخمسمايه رحمه الله تعالى
ونفع به وكذا كان ابتداء هذا الشرح المبارك وتمامه بالمحل المذكور فيه
وفي عمومين اتى اي كان نظامها اي هذه المنظومة واحر للمحرم
اي وفي اخره كان اختتامها اي فراغها من عام سبعة تلي خمسينا
بتبع تسعا بتقديم التاء على السين فذلها مبينا اي سنة سبع بتقديم
السين وخمسين وتسعمايه وفي مايتين من الابيات خلاف
الخطبة والختم وثلثة عشر اتتك ايها الطالب تهدى اي تزف
كسموط جمع سمط وهو العقد من درر وهي كبار اللولو وانما
كانت كذلك لوجازتها وجمعها وفصاحتها وشرف موضوعها سعديه
اي هي سعديه او حال كونها سعدية نسبة الى الجد الاعلى وهو
سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن ابي خزيمة بن ثعلبة بن طريف
بن الخزرج بن ساعدة الساعدي الخزرجي الانصاري الصحابي
رضي الله عنه قال ابن عبد البر في الاستيعاب شهد العقبة وبدرا
وما بعدهما من المشاهد قال وكان نقيبا سيدا جوادا مقدما وجيها
له رياسة وسيادة يعترف قومه له بها وفيه وفي سعيد

بن

بن معاذ قال الهاتف الذي هتف بمكة قبيل او اول الاسلام فان يسلم السعدان
يصبح محمد ٥ بمكة لا يخشى خلاف مخالف فظن اهل مكة انهما سعدا
قضاعة فهتف ليلة اخرى على ابي قبيس وقال
ايا سعد سعد الاوس كن انت ناصرا ٥ ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
اجيبا الى داعي الهدى وتمنيا ٥ على الله في الفردوس منية عارف
فان ثواب الله للطالب الهدى ٥ جنان من الفردوس ذات زخارف
فقالوا هذان والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة والغطارف
بالغين المعجمة وبالطاء والراء المهملتين جمع غطريف بالكسر وهو السيد
الشريف والسخي السري وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
مع سعد فقال حين نظر الى ابي سفيان بن حرب اليوم يوم الملحمة
فاشفقوا منه فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فانتزعها منه واعطاها
ابنه قيسا الا في ذكره وكانت الانصار قد رشحته للخلافة يوم
السقيفة وقالوا لقريش منا امير ومنكم امير فلما بويع ابو بكر تخلف
سعد بن عبادة وعلي بن ابي طالب وغيرهما فاما علي فبايع بعد ذلك
كاهر واما سعد فخرج من المدينة الى حوران من ارض الشام فاقام
بها حتى مات في خلافة ابي بكر او اوايل خلافة عمر ولم يختلفوا انه
وجد ميتا في مغتسله وقد اخضر جسده ولم يشعروا بموته
حتى سمعوا قايلا يقول ولا يرون احدا ٥ قتلنا سيد الخزرج
سعد بن عبادة ٥ رميناه بسهمين ٥ فلم نخط فواده ٥ روى
عنه من الصحابة ابناه قيس وسعيد وابن عباس رضي الله عنهم
غرا اي كريمة لكرم موضوعها انصاريه نسبة الى الانصار
انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم لما من النسبة الى سعد و
هو كبير الانصار وقد سماهم الله تعالى بهذا الاسم في قوله تعالى

ياءالذين امنوا كونوا انصار الله ولهذا لما قيل لانس ا هذا الاسم
سماكم الله به قال نعم سنية اي على مباحث اهل السنة والجماعة
من السلف والخلف في العقايد حساهن رجيه اي لا اوسية
لان لفظ الانصار يشمل الحيين اعني الاوس والخزرج وان كان
معناه لا يخرج عنهما وبالعبادية ايضا تنتسب اي لنسبة
ناظمها الى الجد الاقرب وهو عبادة بن زيد بن عامر من ولد قيس
بن سعد بن عبادة المذكور قريبا وقيس هذا كان ايضا كما في الاستيعاب
شريفا في قومه سيدا جوادا داهيا قال ابن عبد البر لم يكن في الاوس
والخزرج اربعة يطعمون يتوالون في بيت واحد الا قيس بن سعد
بن عبادة بن دليم قال ومر ابن عمر يوما على اطم دليم في المدينة ومعه
غلامه نافع فالتفت اليه وقال كان منادي دليم ينادي كل يوم من اراد
اللحم والشحم فليات دار دليم فلما مات دليم فعل ابنه عبادة مثله ثم سعد
ثم قيس قد رايته يفعل ذلك وقال انس كان قيس من النبي صلى الله
عليه وسلم بمكان صاحب الشرط من الامير وشهد المشاهد مع النبي
صلى الله عليه وسلم وكان مع علي رضي الله عنه في حروبه كلها وهو
القايل يوم صفين ٥ هذا اللوا الذي كنا نحف به ٥ مع النبي وجبريل لنا مدد
ما ضر من كانت الانصار عيبته ٥ ان لا يكون له من غيرهم احد
قوم اذا حاربوا طالت اكفهم ٥ بالمشرفية حتى يفتح البلد
وكان عاقد مع علي ومعه خمسة الاف قد حلقوا رووسهم
وتعاهدوا على الموت فلما قتل علي كان مع ابنه الحسن فلما دخل الحسن
في بيعة معوية غضب قيس ونزع منه في الحسن وقد خشن اخرج
الغضب وابى ان يدخل في بيعة معوية فاجتمع اليه قومه فقال لاصحابه
ما شئتم ان شئتم جالدت بكم ابدا حتى يموت الاعجل وان شئتم اخذت

لكم امانا فاخذه لهم وقيل الا اخذ لهم الحسن فالتزم لهم معوية الوفا
بما اشترطوه وهو ان لهم كذا وكذا وان لا يعاقبوا بشي وان قيسا
رحل منهم ولم ياخذ قيس لنفسه خاصة شيئا ثم ارتحل الى المدينة
واقبل على العبادة حتى مات بها سنة ستين او تسع وخمسين وكان
قيس يقول اللهم ارزقني حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال ولا مجد
الا بمال وله في الجود وقايع مشهورة منها قصة العجوز التي شكت
اليه قلة جرذان بيتها ففهم مرادها وقال هذا سوال بلطف فارسل
لها من البر والشعير والتمر والدهن ما ملا بيتها واكثر جرذانه و
منها ان اباه لما خرج الى الشام قسم ماله بين ولده وكانت له حمل لم
يشعر به فولد بعده فكلم ابو بكر وعمر قيسا في نقض القسمة لاجل
الولد فقال لا انقض ما فعل ابي ولكن نصيبي للمولود ومنها قصة
صاحب البيت الذي اقترض منه ثلاثين الفا ثم ردها فقال له انا لا نرجع
فيما فعلنا ومنها ان غرماءه الذين تخلفوا عن عيادته فتراجعوا
بعد ذلك على عيادته حتى كسر درجة كان يصعد اليه منها رضي
الله عنه روى عنه جماعة من الصحابة وجماعة من التابعين وهو
معدود في المدنيين قال وقصته مع معوية في السراويل وانشاده
الشعر مختلق اي موضوعة لا اصل لها فان نزاهته وشرفه ومذهبه
في معوية يابى ذلك انتهى كلام ابن عبد البر في الترجمة قيس وابيه
مع الاختصار فيهما فالحمد لله لختمي بعقب عودا على بدء ثم
صلاة الله والسلام منه ما اهتز غصن او شذى بالمعجمة فالمهملة
اي صاح حمام اي نوع كان اي مدة بقايهما والمراد عموم الازمنة
على النبي المصطفى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم
وعلى اله وهم مومنوا بني هاشم والمطلب اوصالحوا امته على



مامن اهل التقى اي اصحاب المتقي التقوى والاستقامة في الدين والسودد بضم السين اي السيادة للعرب والعجم لقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو افضل الخلق وفي صحيح مسلم حديث ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وقد ذكرنا معنى الاصطفى في حق غيره صلى الله عليه وسلم من المذكورين في غير هذا التعليق وفي الصحيحين نحن وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم كلما ذكرهم الذاكرون وكلما سهى عن ذكرهم الغافلون

تمت هذه النسخة المباركة بحمد الله وحسن توفيقه بخط الفقير الحقير
المعترف بالذنب [illegible] عبد الرحمن بن محمد بن محمود بن حسن [illegible]
[illegible]
والرشد [illegible] ولوالديه
ولجميع المسلمين
[illegible]
آمين آمين آمين

كتبت برسم مالكها الشيخ عبد الله [illegible]

[illegible] غفر الله [illegible]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

بسم الله الرحمن الرحمن

مهربانم جرم حال تباهم یا رسول الله ضعیف و عاجز روی سیاهم یا رسول الله
هوا ابی نفسله گمراه راهم یا رسول الله اگرچه بنده غرق گناهم یا رسول الله
ولی داری امانکه پناهم یا رسول الله

مقدم خلقت ذاتگ موخر منتهاسیسن رسالت شاهنشاه سرفراز انبیاسیسن
جناب حق حضرتك حبیب کبریاسیسن اگرچه بنده غرق گناهم یا رسول الله
ولی داری امانکه پناهم یا رسول الله

بنم حالم پریشاندر ربود دنیای ملامتده افندم دستگیر اول قالیم چاه ندامتده
قصوریم چوق شفاعت ایله یوم قیامتده اگرچه بنده غرق گناهم یا رسول الله
ولی داری امانکه پناهم یا رسول

طوتر ارسه زبانیلر بنم دست گریبانم ندکاسین صاحب اولمزسن آثار آتشه جانم
کرم ایله شفاعت قیل بنم دولتلی سلطانم اگرچه بنده غرق گناهم یا رسول الله
ولی داری امانکه پناهم یا رسول الله

گمتر امتکدر حالی ایکی عالمده آواره یدرزی یوق روزی محشرده سنکدر ایوانگه واره
شفیع المذنبین سنسن محب گنهکاره اگرچه بنده غرق گناهم یا رسول الله
ولی داری امانکه پناهم یا رسول الله

رحم الله من نظر ودعا لكاتبه وهو عبده
العاجز الفقير الى شفاعة نبيه
طيب بن عبد الله
البلغاري عفى الله
ولوالديه رحمة للكاتب

[illegible]
طيب بهادر
البلغاري
النقشبندي
محمد
سنة ١٢٥٦